



الجامعة الإسلامية غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية

لمقاصد وأهداف الحزب العشرين من القرآن الكريم

(سورة التوبة الآيات: ٣٤ - ٩٢)

The analytical study of

The purposes and objectives of the party twenty of the Quran
(Surat of Al- Tawbah verses 34 - 92)

إعداد الطالبة

رابعة فرج حجو

إشراف الدكتور

إبراهيم عيسى صيدم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾

﴿وَمَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(سورة التوبة، آية: ١٠٥)

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ،



- ❖ إلى هادي البشرية جمعاء، إلى من أرجو شفاعته يوم القيامة، إليه حبيب الله وصفيه محمد ﷺ.
- ❖ إلى الذين قدموا أرواحهم رخيصة فداءً لهذا الوطن الغالي، إليهم وقد صبغوا بدمائهم هذه الأرض الطاهرة.
- ❖ إلى من كان دُعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي (أمي الحنون).
- ❖ إلى الروح الطاهرة ... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... والدي الحبيب الذي أفقده كثيراً، وكنت أتمنى أن يكون موجوداً بيننا في هذا اليوم.
- ❖ إلى توأم روحي، إلى زوجي الغالي الذي ساندني قلباً وقالباً وشجعني في مسيرتي العلمية ولم يقصر في ذلك أبداً.
- ❖ إلى تلك الشمعات التي أنارت حياتي وغيرت بوجودها معالم الكون، إلى بناتي الغاليات ... إلى قطرات (الندى) التي تساقطت على أوراق حياتي فجعلت للحياة طعماً آخر، وبوجودها ذقت (حلا) الشهد فكان الأروع، وكان للورد (شذى) ورائحة فواحة عطرت هذه الحياة بأجمل العطور.
- ❖ إلى من حبهم يجري في عروقي، إلى إخوتي الأعزاء وأخواتي الغاليات- رءاهم الله-.
- ❖ إلى هذا الصرح الشامخ الذي طالما خرَّج العلماء، إلى الجامعة الإسلامية الغراء.
- ❖ إلى جهاذة العلم وحملة رسالة الأنبياء، إلى أساتذتي الكرام، إلى كلِّ طالب علم، خاصة التفسير وعلوم القرآن الكريم.

إليهم جميعاً أهدي نختي هذا

شكر وتقدير

يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ويقول أيضاً: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ويقول رسوله الكريم ﷺ: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ"^(١)، أحمد الله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، وأصلي وأسلم على هادي البشرية جمعاء محمد ﷺ وبعد:

اعترافاً مني بالفضل لأهل الفضل من العلماء الأجلاء، فإنه يجب عليّ وأنا في هذا المقام أن أتوجه بجزيل الشكر والتقدير والإمتنان إلى فضيلة الدكتور/ إبراهيم عيسى صيدم - حفظه الله - لنفضله بقبول الإشراف على رسالتي، أشكره شكراً عميقاً لتوجيهاته، ونصائحه التي كان دائماً يمدني بها، وأشكره على سعة صدره وفيض كرمه لمساعدته لي كي يخرج هذا البحث على الوجه الأكمل، والكمال لله الأعظم... وكل ما أملكه بعد الشكر أن أدعو الله ﷻ أن يجزيه عني خير الجزاء ويبارك فيه.

كما أقدم عظيم شكري وامتناني لعضوي لجنة المناقشة، لتلطفهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وهما:

الأستاذ الدكتور/ عصام العبد محمد زهد حفظه الله

الدكتور/ مروان محمد عايش أبو راس حفظه الله

ولما بذلاه من جهودٍ لإبداء التعديلات التي ستزيد رونق وجمال هذه الرسالة حتى تخرج بالصورة الأفضل وذلك من خلال ملاحظاتها القيمة؛ لتتقيح الرسالة، فأسال الله ﷻ أن يثيبهما عني بكل الخير.

ولا أنسى وأنا في هذا المقام أن أتقدم بكل الشكر والامتنان إلى هذه الجامعة التي أظلتنا بظلمها فكانت منارة للعلم ومعقلاً للعلماء، وأخص بالذكر أساتذتي في كلية أصول الدين وخاصة قسم التفسير، والشكر أيضاً لعمادة الدراسات العليا بجميع كوادرها.

كما أقدم شكري وامتناني إلى رفيق دربي زوجي الغالي الذي كان له الفضل في توفير الجو الملائم للدراسة والتشجيع الدائم على المواصلة الذي كان يعتبر السند والدافع على مواصلة العلم.

والشكر موصول لكل من مد يد العون لي أو نصحني وأعانني... ولكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور، فجزاهم الله عني جميعاً خير الجزاء.

وأخيراً أسأل الله ﷻ التوفيق والسداد وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

(١) سنن الترمذي ٣٣٩/٤، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: ١٩٥٤، [حكم الألباني: صحيح لغيره].

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وعدد ما أحصاه كتابه، وعدد ما خطه قلمه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المبعوث رحمةً وهدىً ونوراً للعالمين.

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وجعل القرآن شرعةً ومنهاجاً لينير للبشرية جمعاء درب الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمي الهادي إلى سواء السبيل.

أما بعد :

مما لا شك فيه أنّ علم التفسير من أعظم العلوم وأجلها على الإطلاق؛ لأنه يتعلق بأصدق الحديث ألا وهو كلام الله ﷻ الذي أعجز البشرية جمعاء على الإتيان بأية من مثله، وقد تكفل الله ﷻ بحفظه قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فالقرآن الكريم مستودع من الأسرار الإلهية والإشارات الربانية، فالإنسان حينما يتأمل ويتبحر في القرآن الكريم، يجد فيه علاجاً شافياً لجميع مشكلات هذا العصر، وفي منهجه إصلاحاً للفرد والمجتمع، فلذلك كان لا بد من الوقوف على أهدافه ومقاصده ومراميه، فأرجو أن تحقق هذه الدراسة جانباً من تلك الأهداف والمقاصد، واستكمالاً لجهود العلماء السابقة في إظهار هذه الأهداف والمقاصد ولقد وفقني الله ﷻ لكتابة رسالتي بعنوان:

"الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب العشرين من القرآن الكريم"

(سورة التوبة الآيات: ٣٤ - ٩٢)

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم.
٢. اطلاع القارئ على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وسعادته في الدارين.
٣. تعميق النظر في كتاب الله ﷻ، والتفكير والتدبر لآياته، والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج المكنون فيها.
٤. بيان مقاصد وأهداف سورة التوبة التي تكشف عن حقيقة المنافقين، وتبين مدى خطورتهم على المجتمع الإسلامي، حيث إنهم فئة مدسوسة بين أبناء المجتمع، تظهر بثوب الإسلام، وتلبس لباس الدين، وهم في الحقيقة أشد خطراً على بناء المجتمع وتماسكه ووحدته من الكافرين الصّرف، فهذا البحث يبين بعض الصفات لتلك الطائفة المدسوسة من خلال تفسير الحزب العشرين تفسيراً مقاصدياً.

٥. وأخيراً فإن هذا البحث يأتي ضمن سلسلة أبحاث مطروحة من قِبل قسم التفسير وعلوم القرآن تهدف إلى دراسة أهداف ومقاصد سور القرآن الكريم بدءاً بسورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس، فكان اختياري لهذا الحزب (الحزب العشرين) تماشياً مع خطة القسم، وتتمايماً للجهود المبذولة من قِبل الدارسين.

ثانياً: أهداف البحث:

١. خدمة الدعوة إلى الله ﷻ: حيث جاء هذا البحث رجاء القيام بعمل موسوعة قرآنية تهدف إلى بيان مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم وآياته، ومن ثم ترجمة هذه الموسوعة إلى لغات أخرى لعرض دعوة الإسلام للأعاجم وإعلامهم بما يهدف إليه هذا الدين الحنيف، فهذه الدراسة تخدم الدعوة الإسلامية، وتيسر الطريق أمام الدعاة للقيام بواجبهم في توصيل فكرة الإسلام إلى الأعاجم بعد ترجمتها.

٢. يهدف هذا البحث إلى بيان أخطر طائفة في المجتمع، وهم المنافقون، وتبين أهم الصفات التي اتصف بها هؤلاء المنافقون؛ وذلك لاجتناب تلك الصفات والابتعاد عنها من ناحية، ولتعرف المنافقين والحذر منهم.

٣. فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي سيتم طرحها في هذه الأطروحة، والنتائج التي ستتوصل إليها الباحثة.

٤. إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير.

٥. وأخيراً فإن عملي هذا أرجو منه الأجر والثواب، وأبتغي به وجه الله ﷻ.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

١. يعد موضوع البحث: (مقاصد وأهداف الحزب العشرين من القرآن الكريم) من المواضيع الهامة في حياة الناس، وقد سبق للعديد من العلماء الأجلاء البحث في هذا الموضوع، منه تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الله شحاتة، والباحث حسن الخطيب بالجامعة الإسلامية حيث إنه كتب رسالة ماجستير بعنوان: (مقاصد وأهداف سورة التوبة)، ولكنني تناولت المقاصد والأهداف بطريقة تفصيلية تحليلية موسعة، وحاولت ربطها بالواقع بقدر المستطاع، وعليه فالدراسة لمقاصد وأهداف الحزب العشرين بهذه الصورة تكون غير مسبقة، حسب علمي واستكمالاً لمشروع قسم التفسير وعلوم القرآن الذي سيتناول سور القرآن الكريم من سورة الفاتحة وحتى نهاية سورة الناس.

رابعاً: منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير وكان عملي في البحث على النحو التالي:

١. تقسيم الحزب العشرين إلى أربعة فصول يتفرع منها عدة مباحث، جاعلةً لكل مبحث آياته المناسبة له، حسب موضوع آيات البحث نفسه، وقمت بتحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها، وقمت بالاستشهاد لهذه المقاصد والأهداف بالمنهج التحليلي بما فيه من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، والسنة، وإعجاز القرآن، وعلوم اللغة، وغيرها.
٢. كتابة الآيات مُشكَّلة، وطبقاً للرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، على مدار البحث مع عزوها إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة، وليس في حواشي الصفحات؛ وذلك بهدف تخفيف الحواشي.
٣. خدمة البحث بالرجوع إلى المراجع الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير وغيرها.
٤. تحليل مقاصد وأهداف الحزب العشرين تحليلاً عميقاً.
٥. تخريج الأحاديث التي وردت في البحث تخريجاً علمياً.
٦. الرجوع إلى المعاجم اللغوية من أجل بيان معاني المفردات الغريبة.
٧. عمل تراجم للأعلام المغمورين الذين وردوا في البحث.
٨. عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وتوثيقها حسب الأصول.

خامساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، تمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، وهي مرتبة على النحو الآتي:

أما المقدمة فتشتمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: أهداف البحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: خطة البحث.

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها، ويشتمل على:

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها، ويشتمل على:

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة التوبة:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الثالث: جو نزول السورة.

المطلب الرابع: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

الفصل الأول

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الأول من الحزب العشرين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٣٤-٣٧)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صد الرهبان والأخبار عن سبيل الله ﷺ.

المطلب الثاني: عدة الشهور في حكم الله ﷺ.

المطلب الثالث: تحريم النسئ.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٣٨-٤٠)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحث على الجهاد في سبيل الله ﷺ.

المطلب الثاني: التحذير من ترك الجهاد ومعجزة الغار في الهجرة.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٤١-٤٥)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب النفير للجهاد في سبيل الله ﷺ.

المطلب الثاني: مواقف المنافقين من الجهاد والمجاهدين.

المطلب الثالث: الإذن للمنافقين في القعود عن الجهاد.

الفصل الثاني

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الثاني من الحزب العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٤٦-٥٢)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موقف المنافقين من الإعداد للغزو.

المطلب الثاني: خطر خروج المنافقين للقتال.

المطلب الثالث: اعتذار المنافقين وأسبابه.

المطلب الرابع: بغض المنافقين للمؤمنين وترصصهم بهم.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٥٢-٥٧)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إحباط ثواب المنافقين.

المطلب الثاني: عدم الاغترار بأموال المنافقين.

المطلب الثالث: حلف المنافقين الأيمان الكاذبة وخوفهم الشديد.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٥٨-٦٠)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لمز النبي ﷺ في تقسيم الصدقات.

المطلب الثاني: مصارف الصدقات.

الفصل الثالث

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الثالث من الحزب العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٦١-٦٦)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: مصير المحاربين لله والرسول ﷺ.

المطلب الثالث: تخوف المنافقين عند نزول القرآن فاضحاً لهم.

المطلب الرابع: استهزاء المنافقين بالله ورسوله.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٦٧-٧٠)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات المنافقين.

المطلب الثاني: مصير المنافقين في الآخرة.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال للمنافقين للاعتبار من أحوالهم.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٧١-٧٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات المؤمنين ومصيرهم في الآخرة.

المطلب الثاني: جهاد الكافرين والمنافقين والإغلاظ عليهم.

المطلب الثالث: حث المنافقين على التوبة وتحذيرهم من التولي.

الفصل الرابع

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الرابع من الحرب العشرين

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٧٥-٧٩)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنافقون وخيانة العهد.

المطلب الثاني: مجازاة و تهديد الله للمنافقين.

المطلب الثالث: لمز المنافقين للمؤمنين في الصدقات.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٨٠-٨٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدم قبول الاستغفار للمنافقين.

المطلب الثاني: فرح المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله ﷻ.

المطلب الثالث: أسباب رفض مشاركة المنافقين في القتال.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٨٤-٨٧)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحذير المؤمنين من الصلاة على أموات المنافقين.

المطلب الثاني: مقاطعة أموال المنافقين وأولادهم.

المطلب الثالث: استئذان المنافقين في التخلف عن الجهاد ورضاهم به.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٨٨-٩٢)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال المؤمنين عند دعوتهم للجهاد وبيان ما أعد الله ﷻ لهم.

المطلب الثاني: نفاق الأعراب واستئذانهم للتخلف عن الجهاد.

المطلب الثالث: صور من أصحاب الأعذار المقبولة في الجهاد.

الخاتمة:

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً: أهم التوصيات.

الفهارس وتحتوي على:

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس أطراف الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤- فهرس المصادر والمراجع.
- ٥- فهرس المحتويات.

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية
والمقاصد والأهداف.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة التوبة.

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية

والمقاصد والأهداف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها.

المطلب الثالث: طرق معرفة مقاصد السور، وأهم مصنفاتها.

المطلب الأول

تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها

إنَّ أجلَّ علم صُرِّفت فيه الهمم، كلام الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإنَّ من أهمَّ المُهمَّات وأولى ما تُعمر به الأوقات الاشتغال والعناية بكتاب الله ﷻ حفظاً وتلاوةً وتدبراً وتعلماً، وكتاب الله ﷻ خيرُ الكلام وأحسن الحديث وأصدق القول، وهو أشرف الكتب على الإطلاق، فمن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة الإسلامية على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستخراج كنوزه، ولأجل اهتمامهم بدراسته تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكوناته، ومن الأمور التي تخدم القرآن الكريم استخدام أسلوب الدراسة التحليلية من خلال بيان أهدافه ومقاصده.

فإذا نظرنا إلى هذا المصطلح نجد أنه مركَّب يتكون من لفظين [الدراسة التحليلية]، لذا نرى أنه من الواجب علينا أن نُعرِّف هذا المصطلح بصورته المنفردة أولاً ثم بصورته المركبة:

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية:

١. تعريف الدراسة لغةً:

هي مصدر الفعل (دَرَسَ)، ودُرِسَ الكتاب ونحوه أي قراءته لحفظه وفهمه، ودارست فلاناً كتاباً لكي أحفظ، ودَرَسَ العِلْمَ على فلان أي تلقاه عنه وتتلذذ على يديه، وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء^(١)، ودرستهُ الرياح أي عفته ومحته، ودرسه القوم: عفوا أثره.^(٢)

٢. تعريف التحليلية لغةً:

مصدر من الفعل (حَلَّلَ)، وتقول: "حللت العقدة أحلُّها حلاً إذا فتحتها فانحلت"^(٣)، وحل الشئ رجعه إلى عناصره يُقال حلل الدم، ويُقال حلل نفسية فلان درسها لكشف خباياها.^(٤)

التحليل: مفرد وهو عملية تقسيم الكلِّ إلى أجزائه وردَّ الشئ إلى عناصره.

وبحثٌ تحليليٌّ: "يتخذ التحليل أساساً"، وتحليل الجملة: "بيان أجزائها ووظيفة كلِّ منها".^(٥)

(١) ينظر: العين، الفراهيدي ٢٢٧ / ٧، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار ١٢٢٧، وتحفة الأريب، أبو حيان ١٢٧.

(٢) ينظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي ١٦ / ٦٤، ولسان العرب، ابن منظور ٦ / ٧٩.

(٣) العين ٣ / ٢٧، والصاحح تاج اللغة، الفارابي ٤ / ١٦٧٢، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٥٥٠.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١ / ١٩٤، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٥٥٠.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٥٥٠.

٣. تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

تعريف الدراسة التحليلية القرآنية من وجهة نظر الباحثة أنها: عبارة عن تفكيك وتجزئة الآية إلى أجزاء، وتحليل كل ما صعب فهمه، والتعمق في أسراره للوصول للهدف المنشود، ومعرفة المراد منه.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:

"البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنتفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهباً أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله".^(١)

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم تتناول كلام الله ﷻ لبيان مراده، والغاية منه؛ لذلك يتعين على أي باحثٍ أو عاملٍ يخوض في غمار هذا المجال ويعيش معه أن تتوافر فيه متطلبات هذه الدراسة؛ لخدمة كتاب الله ﷻ.

وحتى تخرج هذه الدراسة كاملةً ومكاملةً، تؤدي دورها ورسالتها، فإنها يجب أن ترتكز على عدة أمور منها:

١. متطلبات ذاتية مطلوبة في صاحب الدراسة:

أ. أن يكون صحيح العقيدة؛ لأن صحة العقيدة وسلامتها لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يحمله من أفكارٍ ومعتقداتٍ تظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً، ولا بد أن تؤثر على دراسته وأهدافه التي يستخلصها أثناء بحثه.

ب. التجرد من الهوى؛ لأن الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرته مذاهبهم، وإثبات صحتها، والتعصب لها، ولو كانت على غير حق، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان.

ج. أن يكون سليم المقصد لينال التسديد، ويكون تقياً، مقبلاً على الطاعات، وقاطعاً لعلاقته مع المنكرات والمعاصي، ليحظى بتوفيق الله ﷻ، ويفتح عليه من بركاته، فهو يعمل في أجلّ المجالات وأعظمها.

د. حسن الخلق والتواضع ولين الجانب، فالتكبر يحول بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعاً لنفعه.

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ٣٤٠.

هـ. تحري الصدق والضبط في النقل: فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللحن.

و. أن يتحلى بالتأني والروية، فعليه أن يتأنى حتى يحسن في دراسته ويقويها، ويلم بكل نافع مفيد، أيضاً ليحذر أن يسرد كلامه سرداً سريعاً لا يفهمه القارئ والمتلقي، بل عليه أن يفصل الكلام ويبينه ويوضحه فيكون مفهوماً.^(١)

٢. متطلبات علمية مطلوبة في صاحب الدراسة:

أ. العلم باللغة العربية وفروعها؛ فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، والمعاني التي تختلف باختلاف الإعراب، ومعرفة علوم البلاغة، إذ لا بد للمفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يُدرك الإعجاز بهذه العلوم.

ب. العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، فإن لها عظيم الأثر في هذه الدراسة والوصول بها إلى الأهداف المنشودة كعلم القراءات، وعلم التوحيد، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمكي والمدني إلى غير ذلك.

ج. علم الفقه لمعرفة الأحكام الشرعية العملية فيه وبيانها في محالها، وآراء المجتهدين فيه، والأخذ بما هو أقوى دليلاً والأحوط عنده.

د. دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

هـ. أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل منه في موضع فإنه قد فُصل في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان فإنه قد بُسط في مكان آخر.

و. أن يطلب التفسير من السنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله ﷺ إنما تصدر منه عن طريق الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَا اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال رسول الله ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"^(٢)، المقصود به السنة، والأمثلة على أن السنة موضحة للقرآن كثيرة منها: تفسير (الظلم) بالشرك، وتفسير (الحساب اليسير) بالعرض.

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن ٣٤٠-٣٤٣.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤١٠/٢٨، مسند الشاميين، باب: حديث المقداد بن معد يكرب الكندي، حديث رقم: ١٧١٧٤، [حكم الألباني: حديث مشهور صحيح].

ز. إذا لم يجد التفسير من السنَّة رجع إلى أقوال الصحابة الذين شاهدوا النبي وعاشوه، وشاهدوا الأحوال التي نزلت فيها الآيات، فإذا لم يجد فيرجع إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وغيرهم من التابعين، الذين لقوا أصحاب النبي وتلقوا منهم.^(١)

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن ص: ٣٤٠-٣٤٢.

المطلب الثاني

تعريف بالمقاصد والأهداف وبيان أهميتها

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات:

١. المقصد لغةً:

أ. استقامة الطريقة: وَقَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا فَهُوَ قَاصِدٌ، وقوله ﷺ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾

[النحل: ٩] أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة. (١)

ب. الاعتماد والام، وإتيان الشيء وأمه والتوجه والنهوض: تقول قصده يقصده قصداً وقصد له وأقصدني إليه الأمر (٢)، وفي سر الصناعة لابن جني (٣): "أصل (ق ص د)، ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور". (٤)

ج. العدل والوسط بين الطرفين: والقصد في الشيء يكون ضد الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة هي أن لا يسرف ولا يقتير، يقال: فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد، واقتصد فلان في أمره أي استقام، وقصد في الأمر لم: يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتوسط. (٥)

د. الغاية والهدف: يقول أحمد مختار عمر في كتابه: "مَقْصِدٌ مفرد مقاصدٌ، وهو اسم مكان من قَصَدَ، قَصَدَ إِلَى، قَصَدَ فِي، قَصَدَ ل: "مَقْصِدِي مَكَّة"، وأيضاً بمعنى غاية، فحوى "مَقْصِدِي من فعل كذا مساعدته، ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها". (٦)

(١) ينظر: تاج العروس ٩ / ٣٥ - ٣٦، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ص: ٣١٠، والمعجم الوسيط ٢ / ٧٣٨.

(٢) ينظر: تاج العروس ٩ / ٣٦، ولسان العرب ٣ / ٣٥٣.

(٣) عثمان بن جني الموصلي: أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل وتوفي ببغداد عام (٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م)، عن نحو ٦٥ عاماً، وكان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من تصانيفه: رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء، وشرح ديوان المتنبي، والمبهج، والمحتسب. [ينظر: الأعلام، الزركلي ٤ / ٢٠٤].

(٤) تاج العروس ٩ / ٣٦.

(٥) ينظر: لسان العرب ٣ / ٣٥٤، العين ٥ / ٥٥، وتاج العروس ٩ / ٣٦.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة ص: ٢٤٩٥.

٢. المقصد اصطلاحاً:

للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية ذُكرت في كتب العلماء المعاصرين وأبحاثهم، أما العلماء السابقين فلم يحددوا تعريفاً جامعاً مانعاً، ومن هذه التعريفات:

عرفها الإمام الشاطبي^(١): "إنها كل المعاني المقصودة من شرع الأحكام والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب عن تحقيق امتثال المكلف لأوامر الشريعة"^(٢)، وعرفها علّال الفاسي^(٣): "الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من الأحكام"^(٤).

تعريف ابن عاشور^(٥): "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"^(٦).

من خلال التعاريف السابقة لمقاصد الشريعة، يُمكن تعريف مقاصد القرآن الكريم بأنها: تلك المعاني المرادة من كلام الله ﷻ، والأسرار والغايات الكامنة وراء آياته، تشريعية كانت أو غيرها.

٣. الأهداف لغةً:

جمع هدف من أَهْدَفْتُ وَدَنَوْتُ مِنْكَ، والاستقبال، والانتصاب من انتصب الأمر أي استوى واعتدل، ويقال: أَهْدَفَ لِي الشَّيْءُ، وَأَهْدَفَ الْقَوْمَ، أَي قَرَّبُوا، فَهُوَ مُسْتَهْدَفٌ، والهدفُ: كل شيءٍ عريض مرتفعٍ وكل بناءٍ مرتفعٍ مشرفٍ، وأهدف الشيء إذ انتصب، ومنه سُمي الغرضُ هدفاً، والهدف من الرجال الجسم الطويل العنق العريض الألواح، وأهدف على التل أي أشرق وأسرع،

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: "الموافقات في أصول الفقه"، "الاتفاق في علم الاشتقاق"، "أصول النحو"، الاعتصام في أصول الفقه، توفي سنة ٧٩٠هـ. [ينظر: الأعلام ١/٧٥].

(٢) نظرية المقاصد عند ابن عاشور، اسماعيل الحسني ص ١١٥.

(٣) علّال الفاسي: هو علّال أو - محمد علّال - بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علّال بن عبد الله بن المجنوب الفاسي الفهري، زعيم وطني، من كبار الخطباء العلماء في المغرب، ولد بفاس سنة ١٣٢٦هـ، وتعلم بالقرويين، وتولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، ودرّس في كلية الحقوق، وصدرت له كتب منها: "دفاع عن الشريعة" و"مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها" وتوفي سنة ١٣٩٤هـ. [ينظر: الأعلام ٤/٢٤٦-٢٤٧].

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، علاء الفاسي ص: ٧.

(٥) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد وتوفي ودرس بها، عُين عام ١٩٣٢ شيخاً للإسلام مالكي المذهب، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن.

[ينظر: الأعلام ٦/١٧٤].

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية ص: ٥١.

وأهدف إليه لجا، والهدف ما يلجا إليه^(١)، هَدَفَ إلى الأمر: جعله هَدَفًا وغرضًا يسعى إليه، هدف إلى مساعدة الفقراء، وتأتي بمعنى القصد.^(٢)

٤. الأهداف اصطلاحاً:

يوجد للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية، ولكن أكتفي بذكر أقرب هذه التعريفات للمعنى، وهي: "الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها وتنفيذها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفساد."^(٣) وعليه يمكن القول بأن أهداف القرآن الكريم هي: الأغراض والغايات التي يقف عليها المتدبر لآيات القرآن الكريم، سواء كانت هذه الأغراض تشريعية أو موضع عبرة أو غيرها، بما يجلب المصالح ويدرأ المفساد.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

لقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم لهداية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وهذه الهداية لا نصل إليها إلا بالتأمل الدقيق والعميق في نصوصه، ومن هنا تأتي أهمية علم مقاصد وأهداف السور، فهو علم عظيم الصلة والارتباط بالقرآن الكريم الذي يعتبر المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وهذا العلم يراد منه الوقوف على الأغراض والمعاني والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها السور القرآنية والآيات، فلذلك تبرز أهمية علم المقاصد فيما يلي:

١. بها تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات بين آياتها، فتكون لحمَةً واحدةً يجمعها معنى واحد" أن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آياتها، وقصصها، وجميع أجزائها."^(٤)
٢. معرفة مقاصد السور سبيل للسلامة من الخطأ أو الزلل أو تفسير كلام الله ﷻ على غير مراده، ومقصوده.
٣. أن علم المقاصد يُرسِّخ الإيمان، ويُبَيِّر القلب، وتقرُّ به العين.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، الرازي ٣٩/٦، والمعجم الوسيط ٩٧٧/٢، لسان العرب ٤٦٣٣/٦ - ٤٦٣٤.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٣٣٣/٣.

(٣) المقاصد العامة للشريعة، يوسف حامد العلم ٧٩.

(٤) مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي ١ / ١٤٩.

٤. ربط الآيات القرآنية بالواقع يتحقق بمعرفة علم مقاصد السور، والتدبر والتعمق في مقصد السورة يزيد من تفاعل المفسر والباحث، ويساعدهم على تطبيق ما جاء فيها من أحكام وشرائع.
٥. إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغايات كلام رب العالمين وتحقيق أهدافهم، ويحفظهم من الزلل والانحراف عن الطريق المستقيم.^(١)
٦. علم المقاصد يبرز إعجاز القرآن وبلاغته، فإن السور في وحدة بنائها وتناسقها في قمة الإعجاز والبلاغة؛ لذلك تحدى الله ﷻ العرب بأن يأتوا بسورة من مثله.^(٢)
٧. علم مقاصد السور راجع إلى بيان المقصد من إنزال القرآن كله، وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، فالله ﷻ أمرنا بالتدبر والتمعن لمعرفة مراده تعالى من كلامه ثم العمل بمقتضاه^(٣).

(١) ينظر: علم مقاصد السور، محمد عبد الله ربيعة ١١ - ١٣.

(٢) الأساس في التفسير، لسعيد حوى ٢٥/١.

(٣) الموافقات، الشاطبي ٤ / ٢٦٢.

المطلب الثالث

طرق معرفة مقاصد السور، وأهم مصنفاتها

أولاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

أمرنا الله ﷻ بالتدبر في آيات كتابه العزيز، وذلك لهدفٍ عظيمٍ، يغفل عنه الكثير من الناس، وهو أن نفهم أهداف القرآن الكريم، والسبب الذي أنزل لأجله، وأن ندرك مقاصده وأن نفهم مراده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتنبيه على مقاصد الشريعة وما فيها من إخلاص الدين لله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له وما سدته من الذريعة إلى الشرك دِقَّةً وجلَّةً فإن هذا هو أصل الدين وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين".^(١)

نستطيع التعرف على مقاصد السور والآيات واكتشاف مدلولاتها ومعانيها من خلال عدة مصادر، وهي مبينة على النحو الآتي:

أ. القرآن الكريم:

هو المصدر الأول لمعرفة مقاصد وأهداف السور والآيات، فهو الطريق الذي يوصلنا لذلك، فمقاصد الشرع تُعرف أولاً بكتاب الله ﷻ، قال الشاطبي: "نصوص الشارع مفهومة لمقاصده؛ بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية"^(٢)، وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة تبين لنا أنه المرجع الأول في معرفة المقاصد والأهداف نذكر بعضاً منها:

- ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْحِكْمَةَ وَالْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ تَحْقِيقُ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ ﷻ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

- وَضَحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْحِكْمَةَ وَالْمَقْصِدَ مِنْ إِسْرَالِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

- بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ الْمَقْصِدَ وَالْحِكْمَةَ مِنْ أَدَاءِ الصَّلَاةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٣٨٥/٢.

(٢) الموافقات: ١٢٥/٣.

فالأمتثلة التي ذُكرت في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة، وما تم ذكره سابقاً إنّما على سبيل المثال لا الحصر، ويتبين لنا أن القرآن الكريم يسعى لمراعاة المقاصد وتيسير مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

ب. السنة النبوية الشريفة:

تعتبر السنة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، لذا نجد أن السنة النبوية بينت الكثير من فضائل السور والآيات بما يؤكد على أنّ عظم فضل هذه السور والآيات مستمد من عظم مقاصدها وأهدافها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".^(١)

يتبين لنا من خلال الحديث السابق أنّ من فوائد تلاوة سورة البقرة أنها تحمي الإنسان من الشيطان، وخاصة في بيوتنا التي تشكو من عدم الاستقرار، وقلوبنا التي يسكن فيها القلق وعدم الاطمئنان، فتأتي هذه السورة بمثابة علاج ووقاية للبيوت والقلوب معاً، فهذا هو المقصد العظيم الذي يبرزه هذا الحديث.

عن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها".^(٢)

يتضح لنا من خلال الحديث أنّ من فوائد المعوذتين أنها تحمي الإنسان من الألم وتبعد عنه الأوجاع والسقم، فهذا المقصد الذي يبرزه الحديث.

من الملاحظ أن النبي ﷺ عندما يُبين فضل السورة ومكانتها، إنّما يدل ذلك على عظيم مقصدها، وأن أفضلية هذه السورة إنّما بما تحققه من مقاصد وغايات.

والأمتثلة على ذلك في السنة النبوية كثيرة يصعب حصرها، وتعدادها.

ج. الآثار الواردة عن السلف:

إنّ من أهم ما يستعان به على معرفة مقاصد وأهداف السور ما ورد عن السلف الصالح من التعبير عن السورة باسم أو وصف أو غرض يُبين مقصودها، ومن أمثلة ذلك: أن سورة "التوبة" والتي سأقوم بدراستها خلال رسالتي تسمى بعدة أسماء منها: "الفاضحة"؛ وسميت بذلك لأنها كشفت خبايا المنافقين وأسرارهم، يقول ابن عاشور في حديثه عن سورة التوبة "ولهذه السورة أسماء أخر،

(١) صحيح مسلم ٥٣٩/١، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث رقم: ٧٨٠.

(٢) صحيح البخاري ٦/١٩٠، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، حديث رقم: ٥٠١٦.

وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين، فروي عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما: كنا ندعوها -سورة براءة- (المقشقة)، من قشقه إذا أبراه من المرض، وكان هذا لقباً لها؛ لما فيها من وصف أحوال المنافقين^(١)، فجاء الوصف لهذه السورة من خلال مقصودها وهو الحديث عن المنافقين وكشف خباياهم وتوضيح وبيان أوصافهم وكثرة ما ورد فيها من نشر فضائحهم، وعيوبهم.

ثانياً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:

كتب كثيرٌ من العلماء والمفسرين في علم المقاصد، ولكن منهم من أشار إليه من غير تصريحٍ بلفظ الغرض أو المقصد، وهذا الصنف ظهر في المتقدمين من المفسرين، وبعد ذلك بدأ التصريح بذكر مقصد السورة من بعض المفسرين والعلماء الذين عنوا بهذا العلم وسلوكوا به منهجاً، وبناءً على ذلك يمكن تقسيم المفسرين في العناية بهذا العلم إلى الآتي:

١. المفسرون والعلماء الذين صرحوا بمقصد السورة، وكان لهم عناية في هذا العلم:
 - أ. الزمخشري: "الكشاف عن حقائق التنزيل".
 - ب. الشاطبي: في كتاب "الموافقات".
٢. المفسرون والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السور وسلوكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم، ومن هؤلاء:
 - أ. الفيروز أبادي: في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".
 - ب. البقاعي: في كتابه: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".
 - ج. ابن عاشور: في كتابه "التحرير والتنوير".
 - د. تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي.
 - هـ. الشيخ صالح آل الشيخ: "مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير".
 - و. سيد قطب: في كتابه "في ظلال القرآن".
 - ز. وهبة الزحيلي: في كتابه "التفسير المنير".
 - ح. محمد متولي الشعراوي في: "خواطره".

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٩٥/١٠.

المبحث الثاني

تعريف عام بسورة التوبة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الثالث: جو نزول السورة.

المطلب الرابع: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الأول

اسم السورة، وعدد آياتها

١. اسم السورة:

بعد الرجوع إلى كتب التفسير وقفت على عدة أسماء لهذه السورة المشهور منها اثنان، وهما:

أ. سورة التوبة: وسميت بذلك لأن فيها التوبة على المؤمنين.^(١)

ب. وسورة براءة: لأنها بدأت بالبراءة من المشركين.^(٢)

ولها أيضاً أسماء وألقاب أخرى، منها:

- الفاضحة: لما تضمنته من ذكر أسرار المنافقين وأبائهم، وما في قلوبهم من الكفر وسوء النيات، حتى كادت أن لا تدع أحداً، وعن ابن عباس رضي الله عنه في هذه السورة قال: "إنها الفاضحة ما زالت تنزل فيهم، وتنال منهم، حتى خشينا ألا تدع أحداً".^(٣)
- المخزية: لأنها أخزت المنافقين.
- المدممة: لأنها تدمم عليهم من النفاق.^(٤)
- البحوث: لأنها تبحث عن أسرار المنافقين.
- المبعثرة: لأنها بعثت أسرار المنافقين أي تبحث وتحفر عنها وتثيرها.
- المنكئة: لما فيها من التنكيل لهم.
- المُششقة: لأنها تقشش من النفاق، أي تبرئ منه.
- الحافرة: لكونها تحفر عن قلوب أهل النفاق.^(٥)
- العذاب: لأن فيها التوبة على المؤمنين، والبراءة من النفاق.^(٦)

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب البخاري ١ / ٣٢٠.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ٢ / ٣٥٥.

(٣) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي ١٠ / ٩١، والجواهر المضية، النجدي ١٣.

(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني ٢ / ٣٧٨، وتفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ١٠ / ٥٠، ٩١.

(٥) ينظر: فتح القدير ٢ / ٣٧٨، والتفسير المنير ١٠ / ٩١.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤ / ٣٩، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك ٢ / ١٥١٠.

- المثيرة: لأنها أثارت مخازي المنافقين، وأثارت أسرارهم.^(١)
- المُشردة: لأنها شردت المنافقين.^(٢)

وهكذا ترى الباحثة أن كثرة الأسماء لسورة التوبة تدل على أهمية ما تضمنته السورة من مواضيع كثيرة، فهي تعالج قضايا عديدة حصلت في المجتمع المدني، خصوصاً أحوال المنافقين وبيان خطرهم.

٢. عدد آيات السورة:

اختلف المفسرون في عدد آيات سورة التوبة على قولين، كالتالي:

القول الأول: أن عدد آيات سورة التوبة ثلاثون ومائة.^(٣)

القول الثاني: أن عدد آيات السورة تسع وعشرون ومائة.^(٤)

(١) ينظر: فتح القدير ٢/ ٣٧٨، والجواهر المضوية ص: ١٣، ودرج الدرر، الجرجاني ٢/ ٨٥٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٣/ ٣.

(٣) ينظر: نظم الدرر ٣/ ٢٥٥، وروح البيان، أبو الفداء ٣/ ٣٨١.

(٤) ينظر: فتح القدير ٢/ ٣٧٨، والتفسير الواضح، الحجازي ١/ ٨٥٠.

المطلب الثاني

مكان وزمان نزول السورة

١. مكان نزول السورة:

اختلف العلماء: هل كل آيات السورة مدنية، أم أنّ بعضها مكّي، كالتالي:

أ. نزلت سورة التوبة بالمدينة، وقال القرطبي: "مدنية باتفاق".^(١)

ب. أن سورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان.^(٢)

الراجح: يقول الدكتور فضل عباس: "إن سورة التوبة مدنية بدليل سياق الآيات التي وردت فيها"^(٣)، وهذا ما ترجحه الباحثة، وذلك لأنها تميزت بالحديث عن المنافقين، وهذه الشريحة لم تكن موجودة في مكة، ولكنها تواجدت بشكل كبير وانتشرت في المدينة، وكذلك تناولها لأحكام القتال في سبيل الله ﷺ، وأخبار بعض الغزوات كغزوة حنين وتبوك، وهذا من خصائص السور المدنية.

٢. زمان نزولها:

"أول السورة نزل سنة تسع بعد فتح مكة، فأرسل النبي ﷺ علياً ﷺ ليقراها على المشركين في موسم الحج".^(٤) وعن البراء بن عازب ﷺ^(٥) قال: "آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت براءة".^(٦) بعد ذلك نزل معظم سورة التوبة بعد غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ، وهذا في السنة التاسعة من الهجرة أيضاً.^(٧)

الراجح: ما عليه أكثر العلماء أن آخر القرآن نزولاً على الإطلاق ما ورد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨ / ٦١، وبحر العلوم، السمرقندي ٢ / ٣٧، وروح البيان ٣ / ٣٨١.

(٢) ينظر: الكشاف ٢ / ٢٤١، وزهرة التفاسير ٦ / ٣٢١١، والموسوعة القرآنية، الأبياري ١ / ٣٣٨.

(٣) إتيان البرهان، فضل حسن عباس ١ / ٣٨٣.

(٤) تفسير المراغي ١٠ / ٥٠.

(٥) البراء بن عازب: ابن الحارث الخزرجي، أبو عمارة أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة ٢٤ هـ، وعاش إلى زمان مصعب ابن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال، وتوفي في زمنه، روى له البخاري ومسلم ٣٠٥ أحاديث. [ينظر: الأعلام ٢ / ٤٦ - ٤٧].

(٦) صحيح البخاري ٦ / ٦٤، كتاب: تفسير القرآن، باب: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]، حديث رقم: ٤٦٥٤.

(٧) ينظر: تفسير المراغي ١٠ / ٥٠.

المطلب الثالث جوزول السورة

كان الاستعداد لغزوة تبوك وقت القيظ زمن العسرة، وفي أثنائها ظهر من علامات نفاق المنافقين ما كان خفياً من قبل، والسورة من آخر ما نزل من القرآن الكريم، وفي آخر غزوات الرسول ﷺ، حيث إنه خرج فيها لغزو الروم، والحر شديد، وحينها طابت الثمار، وأخذ الناس إلى نعيم الحياة، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وامتحاناً لصدقهم وإخلاصهم لدين الله ﷻ، وتمييزاً بينهم وبين المنافقين، وافتضحاً لنفاق المنافقين.^(١)

(١) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٩٣، وصفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١ / ٥١٨.

المطلب الرابع

محور السورة وخطوطها الرئيسية

تناولت سورة التوبة ثلاثة محاور رئيسية:

١. "بيان القانون الأساسي الذي تشاد عليه دولة الإسلام، وذلك بالتصفية النهائية بين المسلمين ومشركي العرب، بإلغاء معاهدتهم، ومنعهم من الحج، وتأكيد قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، ويوضع الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في جزيرة العرب، وإباحة التعامل معهم.
٢. إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع الرسول ﷺ حينما استنفرهم، ودعاهم إلى غزو الروم، وفي هذه الدائرة تحدثت السورة عن المتناقلين منهم، والمتخلفين والمتباطئين وكشفت الغطاء عن فتن المنافقين، وما انطوت عليه قلوبهم من أحقاد، وما قاموا به من أساليب النفاق".^(١)
٣. تناولت السورة (الطابور الخامس) المندس بين صفوف المسلمين ألا وهم (المنافقون) الذين هم أشد خطراً من المشركين، ففضحتهم وكشفت أسرارهم ومخازيهم، التي كانوا عليها، وظلّت تقذفهم الحمم حتى لم تُبق منهم دياراً، فقد وصل الكيد في التآمر على الإسلام، أن يتخذوا بيوت الله ﷻ أوكاراً للتخريب والتدمير، وإلقاء الفتنة بين صفوف المسلمين.^(٢)

(١) الموسوعة القرآنية ٣ / ٢٣٠.

(٢) ينظر: صفوة التفسير ١ / ٥١٨.

المطلب الخامس

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

١. مناسبة السورة لما قبلها:

يوجد اتصال مباشر بين سورة التوبة والسورة السابقة لها سورة الأنفال، فإنه أظهر من التناسب بين سائر السور بعضها مع بعض، فهي كالمتممة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه، والسنن الإلهية والتشريع وجعله في أحكام القتال، وما يتعلق به من الاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وغير ذلك من الأمور الروحية والمالية، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضى له، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، كذا أحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب، فما بُدئ به في الأولى أتم في الثانية، ولولا أن أمر القرآن الكريم في سوره ومقاديرها موقوف على النص لكان الذي ذكرناه مؤيداً من جهة المعاني لمن قال إنهما سورة واحدة، كما يؤديه من ناحية ترتيب السور بحسب طولها وقصرها، وتوالي السبع الطوال منها، ويليهما المئون والأنفال دونها.^(١)

ومن الأمثلة على الترابط والتناسب بين السورتين:

أ. أن العهود ذكرت في سورة الأنفال قَالَ تَعَالَى ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢] ، وأفتحت سورة التوبة بتفصيل الكلام فيها قَالَ تَعَالَى ﴿١﴾ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ [التوبة: ١ - ٤] .

ب. تفصيل الكلام في قتال المشركين، وأهل الكتاب في كل منهما.

(١) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١٠/ ١٣٢، وتفسير المراعي ١٠/ ٥٠.

ج. ذكر في سورة الأنفال صد المشركين عن المسجد الحرام، وأنهم ليسوا بأوليائه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَنَفِّونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

د. ذكر في الأنفال الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٣ - ٤]، وجاء مثل هذا الترغيب بأبلغ من ذلك وأوسع في التوبة، وذكرت في الأنفال مصارف الغنائم من هذه الأموال قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وفي التوبة مصارف الصدقات^(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

هـ. ورد ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الأولى في آية واحدة، وفصل في الثانية أوسع تفصيل، حتى وردت فيها ألقاب جميعها تخص المنافقين.^(٢)

و. ذكر في أول الأنفال صفات المؤمنين الكاملين قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، وذكر بعد ذلك بعض صفات الكافرين، ثم ذكر في آخرها حكم الولاية بين كل من الفريقين، وجاء في التوبة مثل هذا في مواضع أيضاً.^(٣)

ز. الأنفال تتحدث عن جهاد المسلمين في غزوة بدر، والتوبة تصف جهاد المسلمين في تبوك.^(٤)

(١) ينظر: الكشاف ٢/٢٤١، وتفسير المراغي ١٠/٥١، وتفسير المنار ١٠/١٣٣.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ١٠/٥١، وتفسير المنار ١٠/١٣٣.

(٣) ينظر: تفسير المنار ١٠/١٣٣.

(٤) تفسير القرآن الكريم ٩/١٧٩٩.

٢. مناسبة السورة لما بعدها:

وجه مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة يونس عليه السلام أن سورة التوبة خُتمت بذكر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأُفتحت بها سورة يونس عليه السلام، وأن جلّ تلك في أحوال المنافقين، وما كانوا يقولونه، ويفعلونه حين نزول القرآن الكريم، وهذه في أحوال الكفار، وما كانوا يقولونه في القرآن. (١)

وقد ختمت سورة التوبة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وفي هذا إلفات للعرب عامة، ولقريش خاصة إلى الحقوق الإنسانية الواجبة عليهم نحو هذا الرسول المبعوث إليهم من بينهم، ومن ذوي قرابتهم، وسورة يونس جاء ابتدائها منكرًا على قريش وعلى العرب تنكّرهم لهذا الرسول، ووقوفهم منه موقف المشاقة والعناد، مع ما بين يديه من آيات ربه، التي تشهد بأنه رسول رب العالمين.

فناسب لذلك أن تجيء سورة يونس بعد سورة التوبة إذ كانت خاتمة التوبة أشبه بسؤال، قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٦) وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [التوبة: ١٢٦ - ١٢٩]، وكان بدء يونس أشبه بجواب لهذا السؤال حيث قال تعالى: ﴿الرَّبُّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْلُنَا (٢) إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ١ - ٤] أو كانت خاتمة التوبة تقريراً لحكم، وكان بدء يونس تعقيباً على هذا الحكم. (٢)

(١) ينظر: تفسير المراغي ١١ / ٥٨.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٦ / ٩٢٨ - ٩٢٩.

الفصل الأول

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد

الربع الأول من الحزب العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية
(٣٤-٣٧).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٣٨-٤٠).

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٤١-٤٥).

المبحث الأول
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٣٤-٣٧)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صد الرهبان والأخبار عن سبيل الله ﷺ.

المطلب الثاني: عدة الشهور في حكم الله ﷻ.

المطلب الثالث: تحريم النسيء.

المطلب الأول

صد الرهبان والأخبار عن سبيل الله ﷻ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ بِعَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿التوبة: ٣٤-٣٥﴾.

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن وصف الله ﷻ رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية؛ لادعائهم حق التشريع للناس، وصفهم في هذه الآية بالطمع والحرص على أخذ أموال الناس تحقيراً لشأنهم، فهم ذنوا أطماع وحرص شديد على أخذ أموال الناس بالباطل، وما قاوموا الإسلام إلا خوفاً من ضياع مصالحهم المادية، فهم يتخذون الدين مطية لنيل الدنيا.

ووصفهم ﷻ أيضاً بالبخل الشديد، وحب كنز المال في صناديقهم، والامتناع عن أداء الواجبات في أموالهم". (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"بعد أن ذكر الله ﷻ في الآيات السالفة أن اليهود والنصارى اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﷻ، وأنهم ما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً فعبدوا غيره من دونه قفى على ذلك بذكر سيرة جمهرة هؤلاء الرؤساء الدينيين في معاملاتهم مع الناس؛ ليعرف المسلمون حقيقة أحوالهم والدواعي التي تحملهم على إطفاء نور الله ﷻ، ببيان أن أكثرهم عباد شهوات وأرباب أهواء وذنوا أطماع وحرص على أموال الناس بالباطل، وأنه ما حملهم على مقاومة الإسلام إلا خوف ضياع تلك اللذات، وفوات تلك الشهوات .

ثم أوعد الباخلين الذين يكنزون الذهب والفضة في صناديقهم ولا ينفقونها في سبل البر والخير بالعذاب الأليم في نار جهنم يوم يحمى على تلك الأموال المكنوزة فتصير كالنار التهاباً ثم تكوى بها الجباه والجنوب والظهور ويقال لهم: هذا جزاء صنيعكم في الدنيا، منعموه البائس الفقير

(١) التفسير المنير ١٠ / ١٩٠.

لنتمتعوا به فكان جزاؤكم أن صار وبالاً عليكم وميسماً تكتون به على جنوبكم وظهوركم فلم تنتفعوا به في دين ولا دنيا".^(١)

ثالثاً: سبب النزول:

"عن سالم بن أبي الجعد^(٢) قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها في سبيلِ اللَّهِ﴾، قال النبي ﷺ: "تَبّاً للذهب! تَبّاً للفضة! يقولها ثلاثاً، قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: فأَيُّ مالٍ نتخذ؟! فقال عمر: أنا أعلم لكم ذلك! فقال: يا رسول الله، إن أصحابك قد شق عليهم، وقالوا: فأَيُّ المالٍ نتخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجةً تُعين أحكم على دينه".^(٣)

رابعاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «ليأكلون أموال الناس بالباطل»: "يعني ليأخذون أموال الناس بالحرام".^(٤)
- «يصدون عن سبيل الله»: يصرفون الناس، ويمنعونهم عن الدخول في دين الله ﷻ.^(٥)
- «يكنزون»: الكنز في اللغة: الضم والجمع مطلقاً، والمراد جمع الأموال وخبزها وإسماها عن الإنفاق.
- «نبشروهم»: "أي أنذرهم"^(٦)، وأخبرهم بعذاب أليم: أي موجع".^(٧)
- «يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ»: "أي يوم يحمى عليها بالنار المستعرة حتى تصبح حامية كاوية".^(٨)

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٠٧.

(٢) سالم بن أبي الجعد: هو سالم بن أبي الجعد الأشجعي الغطفاني الكوفي، توفي سالم في خلافة عمر بن

عبد العزيز سنة مائة أو إحدى ومائة. [ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧ / ٣١٣، والطبقات الكبرى ٦ / ٢٩٦].

(٣) جامع البيان ١٤ / ٢٢٠-٢٢١، وأخرجه أحمد في مسنده ٣٧ / ٧٥، حديث رقم: ٢٢٣٩٢، والطبراني في

الأوسط ٢ / ٣٧٦، حديث رقم: ٢٢٧٤. حكم عليه شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال

الصحيح، لكن سالم ابن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان فيما قاله غير واحد من أهل العلم.

(٤) صفوة التفاسير ١ / ٤٩٦.

(٥) ينظر: بحر العلوم ٢ / ٥٤.

(٦) التفسير الواضح ١ / ٨٧٨.

(٧) أيسر التفاسير ٢ / ٣٦٢.

(٨) صفوة التفاسير ١ / ٤٩٧.

— «فَتَكَوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ»: "أي تحرق بها الجباه والجنوب والظهور بالكي" (١)،
"والكي: هو إصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى يحترق الجلد". (٢)

٢. البلاغة:

أ. «لِيَأْكُلُونَ»: "عبر ﴿لِيَأْكُلُونَ﴾ عن أخذ الأموال بالأكل على سبيل الإستعارة؛ لأن المقصود الأعظم من جمع الاموال هو الأكل، فسمي الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده". (٣)

ب. «وَلَا يُنْفِقُونَهَا»: "كناية عن عدم أداء الزكاة ونحوها". (٤)

ج. "قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾: ولم يقل: "يُنْفِقُونَهَا"، لقد تعددت الأقوال في الضمير في كلمة "ينفقونها" على النحو الآتي:

١. أنه رجع على الكنوز، والكنوز تشتمل على الذهب والفضة.

٢. الضمير يرجع على: "الأموال" التي تؤكل بالباطل.

٣. الضمير يعود على: "الفضة"، وحذف العائد على الذهب لدلالة الكلام". (٥)

د. «فَبَشَّرْنَاهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»: "أسلوب تهكم بهم؛ لأن البشارة تكون في الخير لا في الشر" (٦)، "أي أخبرهم بالعذاب الأليم في دار الجحيم". (٧)

قال الزمخشري: وإنما قرن بين الكانزين وبين اليهود والنصارى؛ تغليظاً عليهم، ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطي من المسلمين من طيب ماله، سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم. (٨)

هـ. «فَتَكَوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ»: "الحكمة من الترتيب بين الجباه فالجنوب فالظهور؛ لأن «جباههم» هي أشرف أعضائهم؛ لأنها مجمع الوجوه والرؤوس وموضع الجاه الذي يجمع المال لأجله؛ لتعبيسهم بها في وجوه الفقراء، «وجنوبهم» التي يحوونه لملئها بالمآكل المشتهاة والمشارب المستلذة ولازورارهم بها عن الفقراء، «وظهورهم» التي يحوونه؛ لتقويتها وتحميلها

(١) صفوة التفاسير ١ / ٤٩٧.

(٢) التفسير الواضح ١ / ٨٧٨.

(٣) التفسير المنير ١٠ / ١٨٩.

(٤) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ٣٣٢.

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية ٤ / ٢٩٧٨.

(٦) التفسير الواضح ١ / ٨٧٨.

(٧) صفوة التفاسير ١ / ٤٩٧.

(٨) ينظر: الكشاف ٢ / ٢٦٦.

بالملابس وتجليتها، ولتوليتهم إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء في مكان" (١)، "فخصت هذه الأماكن بالكي؛ لأن البخيل يرى الفقير قادماً فيقطف جبهته، فإذا جاء أعرض بجانبه، فإذا طالبه بإحسان وياه ظهره". (٢)

قال القرطبي: "الكي في الوجه أشهر وأشنع، وفي الظهر والجنب آلم وأوجع، فلذلك خصها بالذكر من بين سائر الأعضاء". (٣) «هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» أي يقال لهم تبكيتاً وتقريعاً: (هذا ما كنزتموه لأنفسكم فذوقوا وبال ما كنتم تكنزونه).

٣. الإعراب:

- «والذين يَكْنُزُونَ» وفيها تأويلان:
- أولاً: أنها استئنافية، و«الذين» مبتدأ ضمَّن معنى الشرط؛ ولذلك دَخَلَتْ الفاءُ في خبره «فبشرهم».
- ثانياً: أنه من أوصاف الكثير من الأحابار والرهبان، ويجوز أن يكونَ «الذين» منصوباً بفعلٍ مقدرٍ يفسره «فبشَّرهم» وهو أرجح. (٤)
- «يوم يحمى»: ظرف على المعنى، أي: يعذبهم في ذلك اليوم، وقيل: تقديره: (عذاب يوم)، و«عذاب» بدل من الأول، فلما حذف المضاف أقام اليوم مقامه، وقيل التقدير: (انظر).
- «وعليها»: في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل، وقيل: القائم مقام الفاعل مضمرة؛ أي: يحمى الوقود، أو الجمر. (٥)
- «بها»: أي بالكنوز. وقيل: هي بمعنى فيها، أي في جهنم. وقيل: «يوم» ظرف لمحذوف تقديره: (يوم يحمى عليها يقال لهم هذا ما كنزتم). (٦)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• بيان حقيقة علماء اليهود والنصارى:

حقيقتهم أنهم ماديون باعوا آخرتهم بدنياهم يحاربون الإسلام ويصدون عنه؛ للمحافظة على الرئاسة ولأكل الأموال على حساب الإسلام، وفيه كشف عن نفسياتهم المالية الخبيثة حتى يقف

(١) نظم الدرر ٨ / ٤٤٨.

(٢) صفوة التفاسير ١ / ٤٩٧.

(٣) تفسير القرطبي ٨ / ١٢٩.

(٤) المرجع السابق ٦ / ٤١.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٤٢.

(٦) المرجع السابق ٢ / ٦٤٢.

أهل الكتاب على خطئهم في اتخاذهم الأبحار والرهبان أرباباً من دون الله ﷻ والافتداء بهم، وليعلم المسلمون السر في عنادهم وكفرهم، وأنهم يريدون إطفاء هذا النور لأنهم ألقوا الضلال، ألا ساء ما كانوا يعملون، فهؤلاء الأبحار والرهبان يجعلون من أنفسهم ويجعلهم قومهم أرباباً تتبع وتطاع وهم فيما يشرعون يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﷻ. (١)

• التحذير من علماء السوء:

للعلماء الملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي مكانة عظيمة عند الله ﷻ والناس، فهم ورثة الأنبياء في الأرض؛ أي إنهم يخلفون الأنبياء في هداية الناس، ولقد حصر الله ﷻ خشيتهم منه حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] ولكن إن باع العالم دينه بعرض زائل من أعراض الدنيا، واستغل مكانته العلمية لخداع الناس والاستيلاء على أموالهم بطرق غير مشروعة كالربا والرشا والاختلاس والنصب والسرقة والاحتيال.... الخ، ولم يكتف بذلك، بل قام بجرم أعظم وزرٍ من السابق، ألا وهو صد الناس عن الدخول في الإسلام، فقد خسر الدنيا والآخرة، وما أكثر العلماء الذين يبيعون دينهم بدنياهم في زماننا فتراهم يلهثون خلف الحكام، يحاولون إرضاءهم بشتى الطرق، ويأتمرون بأمرهم خوفاً منهم ولمثل هؤلاء المتعاملون نقول: لتتقوا الله في علمكم، فلا يخالف فعلكم علمكم، لئلا تخسروا دنياكم وآخراكم.

• حرمة جمع المال وكنزه وعدم الإنفاق منه:

المال عصب الحياة، وأساس العمار الكوني، وهو وسيلة لا غاية وحب المال غريزة في النفس البشرية حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَكْثُوبُ الثَّرَاتِ أَكْثَلًا لَمَّا ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا ﴾ [الفجر: ١٩-٢٠]، ومن أجل الحصول عليه يرتكب الناس - إلا من رحم ربي - العديد من الجرائم، وهو ابتلاء واختبار من الله ﷻ للخلق؛ ليعلم من يطيعه، ومن يعصيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، إذن هو سلاح ذو حدين، يمثل نعمة للإنسان ونقمة في أن واحد، فمن جمعه بطرق مشروعة، وأنفقه في وجوه الخير أفلح ونجا، ومن جمعه وكنزه ولم يؤد زكاته خسر الدنيا والآخرة.

وفي زماننا هذا نرى كثيراً من أغنياء المسلمين يكتزون أموالهم، ولا يخرجون زكاتها حسب ما أقره الشرع الإسلامي، منهم إن أخرجوا الزكاة يخرجون القليل، فلو أخرج أغنياء المسلمين زكاة أموالهم حسب ما أقره الشرع لما بقي فقير على وجه الأرض.

(١) ينظر: التفسير الواضح ١/ ٨٧٨.

• صور التحايل على الناس وأكل أموالهم:

شهد التاريخ على الكثير من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة التي تنتهي أموالهم إلى أيدي رجال الدين وتؤول إلى الكنائس والأديرة، وقد جاء عليهم زمان كانوا أكثر ثراء من الملوك المتسلطين والأباطرة الطغاة، وتعددت الأشكال والصور التي كان وما زال من خلالها يأكلون أموال الناس ومنها: ما كانوا يحصلون عليه من خلال فتاوى يصدرونها بتحليل الحرام وتحريم الحلال لصالح من يملكون المال أو السلطان، وما يأخذه القسيس أو الكاهن مقابل الاعتراف له بالخطايا وغفرانه لتلك الخطايا، والربا- وهو أوسع أبوابها وأبشعها- وغيرها كثير.

كذلك ما يجمعونه من أموال الناس لمحاربة دين الحق وقد كان الرهبان والبابوات يجمعون مئات الملايين في الحروب الصليبية، وما يزالون يجمعونها للتبشير والاستشراق للصد عن سبيل الله ﷻ. (١)

(١) ينظر: التفسير الواضح ١/ ٨٧٨.

المطلب الثاني

عادة الشهور في حكم الله ﷻ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"عادت الآية الكريمة للكلام عن المشركين في تعداد قبائحهم، وهو إقدامهم على السعي في تغييرهم أحكام الله ﷻ، وذلك مثل فعل اليهود والنصارى الذين غيروا حكم الله ﷻ، فكان الكلام مناسباً عن حكم قتالهم ومعاملتهم، ثم العود إلى أحكام المشركين، فصار هناك تشابه بين المشركين وبين اليهود والنصارى في تعاطي أسباب القتال، وفي إيجاب القتال".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشر شهراً، في حكم الله ﷻ وتقديره، وفيما بيّنه في كتبه منذ بدء العالم، ومن هذه الاثني عشر شهراً أربعة أشهر يحرم القتال فيها، وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هو دين الله ﷻ المستقيم، الذي لا تبديل فيه ولا تغيير، فلا تظلموا في هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها، وقاتلوا أيها المؤمنون جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعاً، وكونوا على يقين من أن الله ﷻ ناصر للذين يخافون، فيلتزمون أوامره ويجتنبون نواهيه".^(٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

– «عدة»: "أي عدد".^(٣)

– «الشهور»: "واحدها شهر، وهو اسم للهلال سميت به الأيام".^(٤)

(١) التفسير المنير ١٠ / ٢٠٠.

(٢) المنتخب ٢٦٥.

(٣) أيسر التفاسير ٢ / ٣٦٤.

(٤) تفسير المراغي ١٠ / ١١٣.

- ﴿إن عدة الشهور عند الله﴾ أي: "في قضائه وقدره".^(١)
 - ﴿في كتاب الله﴾: "أي كتاب المقادير: اللوح المحفوظ"^(٢)، "أو في نظام الخلق والتقدير والسنن الإلهية فيه، أو في حكمه التشريعي كحرمة الأشهر الحرم، وكون الحج أشهراً معلوماً، وكون ما يتعلق بالشهور من الفرائض والسنن: كالحج والصيام وعدة المطلقات والرضاع، فالمعتبر فيه الأشهر القمرية، ومن حكمة ذلك أنه يجعل الصيام والحج يدور في جميع أجزاء السنة، ومنها ما يشقّ فيه أداؤهما، ومنها ما يسهل فيه ذلك".^(٣)
 - ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾: واحداً حراماً، من الحُرمة بمعنى التعظيم. أي منها أربعة فرض الله ﷻ احترامها وحرّم فيها القتال.
 - ﴿الدين القيم﴾: أي الشرع الصحيح المستقيم الذي لا عوج فيه.^(٤)
٢. البلاغة:

- أ. ﴿إن عدة الشهور عند الله﴾: "افتتاح الكلام بحرف التوكيد؛ للاهتمام بمضمونه؛ لتتوجه أسماع الناس وألبابهم إلى وعيه".^(٥)
- ب. ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾: ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾: لقد حرّم الله القتال في هذه الأشهر، وحث الناس على ألا يظلموا فيهن أنفسهم؛ لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أن الظلم في غيرها جائز.^(٦)
- ج. ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾: أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال، وإنما وضع المظهر موضع مدحاً لهم بالتقوى، وحثاً للقاصرين عليه، وإيداناً بأنها سبب الفوز والفلاح والنصر، وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم^(٧)، "وختم الله ﷻ الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ لإشعار المؤمنين بأنه من التقوى إطاعة الله ﷻ في تحريم القتال في الأشهر الحرم حقناً للدماء، وأن الله ﷻ لا يصاحب ولا ينصر إلا المتقين، وأكد ذلك بالأمر بالعلم، كما أكدته بالصحبة السامية لله ﷻ، وبالجملة الاسمية".^(٨)

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٣٦.

(٢) أيسر التفاسير ٢ / ٣٦٥.

(٣) تفسير المراغي ١٠ / ١١٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١٠ / ١١٣.

(٥) التحرير والتنوير ١٠ / ١٨٠.

(٦) ينظر: التفسير الميسر ١ / ١٩٢.

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم ٤ / ٦٤، والتفسير المنير ١٠ / ١٩٩.

(٨) زهرة التفاسير ٦ / ٣٣٠٢.

٣. الإعراب:

- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾: "استئناف ابتدائي؛ لإقامة نظام التوقيت للأمة على الوجه الحق الصالح لجميع البشر، والمناسب لما وضع الله عليه نظام العالم الأرضي، وما يتصل به من نظام العوالم السماوية، بوجه محكم لا مدخل لتحكمات الناس فيه، وليوضح تعيين الأشهر الحرم من قوله: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ [التوبة: ٥]، بعد ما عقب ذلك من التفاصيل في أحكام الأمن والحرب مع فرق الكفار من المشركين وغيرهم".^(١)
- ﴿الْعِدَّةُ﴾: مصدر بمعنى ﴿العدد﴾، و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ منصوب به، أي: في حكمه، و﴿اثْنَا عَشَرَ﴾: خبر "إِنَّ".
- ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: يجوز أن يكون صفة لـ ﴿اثْنَا عَشَرَ﴾، والتقدير: اثنا عشر شهراً مثبتة في كتاب الله ﷻ. ويجوز أن يكون الكتاب مصدر والتقدير: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شهراً في كتاب الله ﷻ، أي: في حكمه الواقع يوم خلق السموات والأرض.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• بيان عدد الأشهر عند الله ﷻ:

إن أشهر السنة الهجرية اثنا عشر شهراً وأيامها ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً، والأشهر الحرم أربعة وقد بينها الرسول ﷺ وهي: رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، ومحرم، وهذه الأشهر حُرْم فيها القتال، والسيئات فيها مضاعفة وتقبح فيها الذنوب، بالرغم من كل ذلك هذا لا يعني بأنه عندما يحدث اعتداء من الكيان الصهيوني على أبناء شعبنا العزل في هذه الأشهر بأن يقفوا مكتوفي الأيدي لحرمة القتال فيها؛ لأننا في أرض الرباط إلى يوم الدين ويجب الدفاع عن أنفسنا وعن أرضنا الحبيبة ومقدساتنا الإسلامية العريقة، وقد أكد الله ﷻ القتال فيها في قوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ مِمَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ مِثْلَ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

• الابتعاد عن الدين يُوقع في الظلم:

إذا كان الناس يسبغون في دروب حياتهم بمقتضى أهوائهم وشهواتهم، ويمحض عقولهم وآرائهم الشاذة، فلا يستغرب عنهم الوقوع في غرائب الأفكار، والخروج عن الأعراف العامة، وهذا ما أوقع ذوي العقلية البدائية في الجاهلية العربية في مهاوي الانحراف والعبث بالقيم

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ١٨٠.

الإنسانية، بل تغيير حركة الزمان ونظامه، وهذا هو النسيء في الجاهلية أي تأخير حرمة الأشهر الحرم إلى وقت آخر حسبما يروق لهم وينسجم مع مصالحهم في الاستمرار في الحروب ودوام الاقتتال والمنازعات وهذا ما يقع في عصرنا الحالي من ظهور بعض الفئات الطائفية التي تدعي أنها تسير وفق تعاليم ديننا الإسلامي ولكنهم بعيدى كل البعد عن مبادئه وقيمه وأخلاقه؛ لذا شنع القرآن الكريم على أولئك العابثين بنظام الشهور.^(١)

• وجوب وحدة الصف:

إنَّ إعلاء كلمة الله ﷻ توجب على المسلمين الاتحاد في جميع أنحاء المعمورة، وأن يكونوا يداً واحدة على دفع عدوهم وكفّ أذاهم، على سبيل المثال القدس ليست قضية الفلسطينيين فحسب بل هي تخص كل مسلم غير على دينه ذلك لأن أعداء الإسلام يقاتلون لدينهم وإطفاء نور الإسلام لا للانتقام ولا للعصبية ولا لكسب المال كما هو دأبهم في قتال قوِيهم لضعيفهم، فنحن حينئذ أجدر وأولى بالاتحاد لدفع العدوان وجعل كلمة الله ﷻ هي العليا، وكلمة الشيطان هي السفلى.

• صفة المعية لله ﷻ:

"وهذه المعية معيتان:

أ. معية الله ﷻ لجميع المخلوقات ومقتضاها العلم والإحاطة والاطلاع.

ب. معية خاصة لأهل الإيمان والتقوى ومقتضاها الحفظ والعناية والنصرة والمعية العامة من الصفات الذاتية، والمعية الخاصة من الصفات الفعلية"^(٢)، "والمعية المقصودة في الآية المعية الخاصة بالنصر والتأييد لأهل تقواه، والله ﷻ ينصرهم بمعيته وتوفيقه لما فيه خير وصلاح، فمن يتق الظلم والعدوان في الأرض وأسباب الفشل والخذلان في القتال من تفرق الكلمة واختلاف الأهواء وبيتعد عن مخالفة سنن الله ﷻ في الكون يكن الله ﷻ معه، ومن كان الله ﷻ معه فلا يغلبه أحد".^(٣)

(١) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي / ١ / ٨٥٨.

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة / ١ / ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) تفسير المراغي / ١٠ / ١١٦.

المطلب الثالث

تحريم النسيء

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْكِرُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَجْلُؤُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"عادت الآية إلى بدء الكلام في أحوال المشركين، وقد كان الكلام في قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، وهو حكم قتال المشركين ومعاملتهم"^(١)، "وهنا بينت الآية ما في النسيء من القباحة، فإن المشركين كانوا لو اضطروا للقتال في الشهر الحرام قاتلوا، وهم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها باعتبارهم أصحاب غارات وحروب، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال فكانوا بذلك غير خارجين عن دائرة التقوى بالكلية، فإذا هم بتحليله قد صاروا خارجين عن دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عزيمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك"^(٢).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

إن تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتبها الله ﷻ عليه - كما كان يفعله أهل الجاهلية - إلا إمعان في الكفر، يزداد به الذين كفروا ضلالاً فوق ضلالهم، وذلك لجعلهم الشهر الحرام حلالاً، لقد زين لهم الشيطان أعمالهم وحسن لهم أهواءهم بهذه الشبهة الباطلة، والله ﷻ لا يهدي القوم الضالين المصيرين على كفرهم إلى طريق الخير"^(٣).

ثالثاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «إنما النسيء»: "النسيء من نسا الشيء ينسؤه نساً ومنسأة: إذا أخره، أي الشهر الذي أنسى تحريمه: أي أخر عن موضعه"^(٤)، "وقال ابن عباس: إن تأخير المحرم إلى صفر معصية زيادة مع الكفر"^(٥).

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١١٣.

(٢) نظم الدرر ٨ / ٤٥٢.

(٣) ينظر: المنتخب ٢٦٥.

(٤) تفسير المراغي ١٠ / ١١٣.

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١٥٧.

- «يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا»: "أي يضل بسببه الكافرين ضلالاً على ضلالهم.
- «يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً»: أي يحلون المحرم عاماً والشهر الحلال عاماً فيجمعون هذا مكان هذا والعكس".^(١)
- «عِدَّةٌ مَّا حَرَّمَ اللَّهُ»: "أي ليوافقوا عدة الأشهر الحرم الأربعة"^(٢)، "وذلك بتحريم شهر حلال، مكان شهر حرام استحلوه؛ فكانوا يحرمون صفر عاماً - مكان المحرم - ويحرمون المحرم عاماً؛ وذلك معنى قوله جل شأنه «فَيُحِلُّوْا مَّا حَرَّمَ اللَّهُ» بإحلالهم المحرم؛ الذي هو من الأشهر الحُرْمِ".^(٣)
- «زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ»: "أي زين لهم الشيطان والهوى سوء عملهم القبيح".^(٤)

٢. القراءات:

«النسيء»: قرأ ورش بتشديد الياء من غير همز، وذلك لأنه خفف الهمزة فأبدل من الهمز ياء، وأدغم فيها الياء التي قبلها، وقرأ الباقرن بالهمز على الأصل، لأنه "فعليل" من "أنسأته الذين" أي أخرته عنه، فمعناه أنهم أخرروا حرمة شهر حرام، جعلوا ذلك في شهر ليس بحرام ليبيحوا لأنفسهم القتال والغارات في الشهر الحرام، وقد كان ذلك محرماً في الشهر الحرام وغيره، ولكن كانت حرمة الشهر الحرام في ذلك أعظم، والذنب فيه أكبر منه في غيره.^(٥)

٣. الإعراب:

- قوله تعالى: «يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ» الجملة في محل رفع خبر ثان «لنسيء». .
- «يُحِلُّونَهُ...» في محل نصب حال من الموصول «الذين» .
- «يُحَرِّمُونَهُ...» في محل نصب معطوفة على جملة «يُحِلُّونَهُ» .
- «لا يهدي...» في محل رفع خبر المبتدأ «الله». ^(٦)

(١) صفوة التفاسير ١ / ٤٩٧ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٤٩٨ .

(٣) أوضح التفاسير ١ / ٢٢٨ .

(٤) زهرة التفاسير ٦ / ٣٣٠٣ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي ١ / ٥٠٢ .

(٦) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ١٠ / ٣٣٦ - ٣٣٧ .

٤. البلاغة:

أ. «يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا»: "بُني للمجهول؛ للدلالة على أن عوامل الضلال كثيرة رأسها شهواتهم في الحرب، وسيطرة الشيطان على نفوسهم، والعداوة والبغضاء بينهم، وكان هذا؛ لأنهم أصحاب غارات وحروب مستمرة، فإذا جاء الشهر الحرام، لم يحرموا ما هم عليه من قتال، بل يستمرون سادرين في غيهم، ويؤخرون التحريم إلى الشهر الذي يليه، ثم يسيرون في غيهم".^(١)

ب. «يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً»: "بين يحلون ويحرمون طباق".^(٢)

ج. «رَبِّينَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ»: "أي زين لهم الشيطان والهوى سوء عملهم القبيح، وبُني للمجهول للإشارة إلى أن عوامل كثيرة سولها لهم كفرهم، جعلتهم يغيرون خلق الله في الأشهر".^(٣)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• حرمة الاحتيال على الشرع:

"إنَّ ما شرعته العرب في جاهليتها من تحريم شهور الحل، وتحليل شهور الحرمة، والذي أكدته الروايات أن العرب كانت لا عيش لأكثرها إلا من الغارات وإعمال سلاحها، فكانوا إذا توالى عليهم حرمة ذي القعدة وذي الحجة والمحرم، صعب عليهم ووقعوا في مشكلة الفقر، فيتواطئون على تأخير حرمة المحرم وجعله في صفر، ليكون لديهم فاصل زمني للغارات، فيحلون المحرم ويغيرون فيه بقصد المعيشة، ثم يلتزمون حرمة شهر آخر وهو صفر، ثم يسمون ربيع الأول صفرًا، وربيع الثاني ربيعاً الأول، وهكذا في سائر الشهور، يستقبلون سنتهم من المحرم الموضوع لهم، فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حلَّ لهم، وتصبح السنة ثلاثة عشر شهراً أولها المحرم المحلل، ثم المحرم المصطنع وهو صفر، ثم إتمام السنة على هذا النحو المغيّر ففي هذا العبث والتلاعب بالأشهر نزلت هذه الآية"^(٤)، "ولقد روى التاريخ أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها وكانت عامة معاش العرب من الصيد والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر".^(٥)

(١) زهرة التفاسير ٦/ ٣٣٠٢ - ٣٣٠٣.

(٢) التفسير المنير ١٠/ ١٩٩.

(٣) زهرة التفاسير ٦/ ٣٣٠٣.

(٤) التفسير الوسيط ١/ ٨٥٩.

(٥) إعراب القرآن وبيانه ٤/ ٩٨.

- تزيين الباطل وتحسين المنكر من الشيطان:

لا يسئم الشيطان من تزيين الباطل للناس حتى يروه حسناً؛ وذلك ليصدهم عن سبيل الله ﷻ، فكل عاصٍ يتمنى أن يرى غيره يرتع في الضلالة مثله، وعلى الرغم من تحذير الله ﷻ لنا من الشيطان حيث قال تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر: ٥] ، إلا أننا نرى في هذه الحياة الدنيا من يتبع خطواته، ومن لم يهتد بهداية الدلالة حرم الله ﷻ عليه هداية التوفيق.

المبحث الثاني
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٣٨-٤٠)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحث على الجهاد في سبيل الله ﷻ.

المطلب الثاني: التحذير من ترك الجهاد ومعجزة

الغار في الهجرة.

المطلب الأول

الحث على الجهاد في سبيل الله ﷻ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"بعد أن ذكر الله ﷻ أسباب قتال الكفار من المشركين واليهود والنصارى، وذكر منافع مقاتلتهم، كقوله: ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ذكر هنا ما يوجب قتال الروم وأتباعهم من النصارى من عرب الشام في غزوة تبوك. وتبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق، تبعد عن الأولى ستمائة وتسعين كيلو متر وعن الثانية ستمائة واثنين وتسعين كيلو متر، وكانت هذه الغزوة في رجب السنة التاسعة للهجرة بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة حنين والطائف".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"لقد دعا الرسول ﷺ إلى غزوة تبوك، وكانوا في عُسرة وضيق، وشدة حر، وقد حان قطاف التمر عندهم حين طابت الثمار، فشق ذلك عليهم، فأبان الله ﷻ أنه لا يصح ترك سعادة الآخرة والخير الكثير الخالد، من أجل ترف الدنيا وطيباتها، فذلك جهل وسفه، وخص الله ﷻ بالعتاب ثلاثة من المؤمنين: وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، بسبب مكانهم من الصحبة، إذ هم من أهل بدر وممن يقتدى بهم، وكان تخلفهم لغير علة.

اشتد عتاب الله ﷻ للمؤمنين المتخلفين عن الجهاد في غزوة تبوك قائلاً لهم: يا أيها المؤمنون بالله ورسوله، ما لكم تتأقلمت وتباطأتم عن الجهاد، حين قال لكم الرسول الأمين: انفروا في سبيل الله ﷻ لقتال الروم الذين تجهزوا لقتالكم ومهاجمتكم؟! فأي شيء يمنعكم عن الجهاد؟ أرضيتم بلذات الحياة الدنيا بدلاً من الآخرة وسعادتها ونعيمها؟ إن كنتم فعلتم ذلك، فقد تركتم الخير الكثير في سبيل الشيء الحقيق، فما تتمتعون به في الدنيا متاعاً مقترناً بهم والألم، ولفترة مؤقتة- إذا قيس بنعيم الآخرة الدائم- إلا شيء حقير قليل، لا يصلح عوضاً عن العطاء الكثير في الآخرة".^(٢)

(١) التفسير المنير ١٠ / ٢١٤.

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي ١ / ٨٦٢.

ثالثاً: سبب النزول:

"نزلت الآية في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد؛ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وجذب من البلاد وشدة من الحر، حين أخرفت النخل وطابت الثمار، فعظم على الناس غزوة الروم وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال، وشق عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله ﷻ تناقل الناس أنزل هذه الآية".^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «مالككم»: يعني: "أي شيء ثبت لكم من الأعدار.
- «انفروا»: أي اخرجوا مستعجلين مندفعين.
- «اتأقلمتم»: أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً".^(٢)
- «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة» يعني: "بدلاً من الجنة.
- «فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة» يريد: الدنيا كلها.
- «إلا قليلاً» عند شيء من الجنة".^(٣)

٢. البلاغة:

- أ. «ما لكم إذا قيل لكم»: استفهام للإنكار واللوم أو التوبيخ".^(٤)
- ب. «اتأقلمتم إلى الأرض»: "والمعنى: (أتقلمتم مقاعدكم في الأرض). والجملة كناية عن عدم المسارعة إلى الاستجابة إلى دعوة النفرة في سبيل الله ﷻ ومقابلتها بالبطء والتناقل".^(٥)

(١) أسباب النزول، الحميدان ٢٤٦، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق مجاهد مقطوعاً ١٧٩٦/٦، حديث رقم: ١٠٠٢٥.

(٢) أيسر التفاسير ٢/٣٦٨.

(٣) الوجيز ٤٦٣.

(٤) التفسير المنير ١٠/٢١٢.

(٥) التفسير الحديث ٩/٤٣٦.

ج. «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة»: الاستفهام للإنكار والتوبيخ للمقترنين بالتعجب، وفيه إيجاز بالحذف، أي (أرضيتم بنعيم الدنيا بدل نعيم الآخرة) (١).

د. «فما متاع الحياة الدنيا»: إظهار الدنيا في مقام الإضمار؛ لزيادة التقرير، والمبالغة في التهوين بشأن الدنيا وبيان حقارتها بالنسبة للآخرة، أي فما التمتع بلذائذها في الآخرة أي في جنب الآخرة أي إذا قيست إليها. (٢)

٣. الإعراب:

"وقوله «إلى الأرض»: متعلق بـ «اثاقلتم» على تضمينه معنى الميل والإخلاق، أي: (اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما هو قليل، وكرهتم مشاق الغزو، المتتبع للراحة الخالدة، أو مائلين إلى الإقامة بأرضكم ودياركم). (٣)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• وجوب الخروج إلى الجهاد في سبيل الله ﷻ:

فرض الله ﷻ الجهاد على المسلمين فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، والجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض، واندفع به العدو سقط عن الآخرين، ولكنه يعتبر فرض عين على المسلمين إذا استتفرهم الحاكم المسلم للخروج للقتال، وإذا حضر المكلف أرض المعركة، وإذا اعتدى العدو على المكان الذي يقيم فيه المسلمون، وأعد الله ﷻ للمجاهدين الخارجين لنصرة الدين الإسلامي، وإعلاء كلمة الحق، لا رياءً أجراً عظيماً، ذلك لأن المرائي لا أجر له وجزاؤه جهنم، وإن قتل في أرض المعركة.

إنَّ ما أصاب الأمة الإسلامية اليوم من ذل وهوان كان بسبب ركونهم إلى الحياة الدنيا وتركهم لفريضة الجهاد، واعتبارهم من يجاهد إرهابياً يستحق القتل.

• فرضية الجهاد على مر الأزمنة والعصور:

لا يمكن لأمة الدعوة الإسلامية إلى العالم قاطبة أن تتخلى عن اتخاذ كل أسباب القوة والعزة، ولا أن تترك الجهاد في سبيل الله ﷻ؛ لأنها بسبب نشر دعوة الإسلام بين الناس لا بد أن

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٠٠.

(٢) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢١٢.

(٣) محاسن التأويل ٥ / ٤١٧.

يتعرض فيها الدعاة المؤمنون وأمتهم التي تساندهم للاعتداء والصد عن سبيل الله ﷻ، والكيد والقمع والطرْد والقتل، فتحتاج هذه الأمة لدفع الظلم ورد العدوان، لذا حرّض القرآن الكريم على الجهاد الخالص لله ﷻ، وأعلم المؤمنين أن الله ﷻ ينصر عباده المستضعفين المعتدى عليهم، كما نصر الله ﷻ نبيه ﷺ في ليلة الهجرة حين اختبأ مع صاحبه أبي بكر في غار جبل ثور. (١)

(١) التفسير الوسيط، للزحيلي / ١ / ٨٦١.

المطلب الثاني

التحذير من ترك الجهاد ومعجزة الغار في الهجرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٣٩-٤٠].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

تناولت الآية السابقة حكم القتال مع اليهود وبيّنت حقيقة أحوالهم من خروجهم من هداية الدين في العقائد والأعمال والفضائل التي تهذب النفوس وتزكيها وتسمو بها، وجاء الكلام هنا في غزوة تبوك والمراد بها قتال الروم وأتباعهم من عرب الشام وجميعهم نصارى.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"يُوجِهَ اللَّهُ ﷻ الْخَطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَا تَنْفَرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ يُنْزِلُ بِكُمْ عِقَابَهُ، وَيَأْتِ بِقَوْمٍ آخَرِينَ يَنْفَرُونَ إِذَا اسْتَنْفَرُوا، وَيَطِيعُونَ اللَّهَ ﷻ وَرَسُولَهُ ﷺ، وَلَنْ تَضُرُّوا اللَّهَ ﷻ شَيْئًا بِنُتُوْلِكُمْ عَنِ الْجِهَادِ، فَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْكُمْ، وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ ﷻ يَكُونُ لَا مَحَالَةَ، وَاللَّهُ ﷻ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ دُونَكُمْ".^(٢)

"يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنْ لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷻ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ كَفِيلٌ بِنَصْرِهِ، كَمَا أَيَّدَهُ وَنَصَرَهُ حِينَمَا اضْطَرَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا رَفِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ ثَانِي اثْنَيْنِ، وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْغَارِ مَخْتَفَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَعَقَّبُونَهُمَا خَشِيَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ مَطْمَئِنَّا: لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ مَعَنَا بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ. عِنْدَ ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ الطَّمَأْنِينَةَ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ، وَأَيَّدَ الرَّسُولَ ﷺ بِجُنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﷻ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِأَنْ جَعَلَ شَوْكَةَ الْكَافِرِينَ مَفْلُوْلَةً، وَدِينَ اللَّهِ ﷻ هُوَ الْغَالِبُ، وَاللَّهُ ﷻ مُتَّصِفٌ بِالْعِزَّةِ فَلَا يَقْهَرُ، وَبِالْحِكْمَةِ فَلَا يَخْتَلُ تَدْبِيرَهُ".^(٣)

(١) ينظر: تفسير المراعي ١٠ / ١١٨.

(٢) التفسير الميسر ١ / ١٩٣.

(٣) المنتخب ٢٦٦.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «ثاني اثنين»: "أي الرسول محمد ﷺ، وأبو بكر ﷺ".
- «في الغار»: غار ثور أي في جبل يقال له ثور بمكة.
- «سكينته»: أي طمأنينته.
- «كلمة الذين كفروا»: هي الدعوة إلى الشرك.
- «السفلى»: أي مغلوبة هابطة لا يسمع لها صوت.
- «وكلمة الله هي العليا»: أي دعوة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هي العليا الغالبة الظاهرة".^(١)

٢. البلاغة:

- أ. «قَوْماً غَيْرَكُمْ»: وصفهم بالمغايرة لهم؛ لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال، أي (قوماً مطيعين مؤثرين للأخرة على الدنيا ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم كأهل اليمن وأبناء فارس)، وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى".^(٢)
- ب. «إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا»: "أسند الإخراج إلى الكفار؛ لأنهم حيث هموا بإخراجه أن الله ﷻ في الخروج فكأنهم أخرجوه".^(٣)
- ج. «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى»: «كلمة الذين كفروا»: استعارة عن الشرك".^(٤)
- د. «كلمة الله هي العليا»: كناية عن التوحيد.

٣. الإعراب:

قوله «شيئاً»: "تائب مفعول مطلق أي: (ولا تضرُّوه ضرراً قليلاً أو كثيراً)".^(٥)

(١) أيسر التفاسير ٢ / ٣٦٨.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤ / ٦٥ - ٦٦.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ١ / ٦٨٠.

(٤) صفوة التفاسير ١ / ٥٣٨.

(٥) المجتبي ٢ / ٣٩٤.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

- وجوب نصره رسول الله ﷺ في دينه وأمته وفي سنته:

أرسل الله ﷻ لنا رسوله الكريم ﷺ؛ ليخرجنا من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والتوحيد، فأودي في سبيل نشر دعوته، وأخرج من موطنه الأصلي رغماً عنه، فصبر واحتمل الأذى في سبيل ذلك حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة فكان له فضل عظيم علينا، فجزاه الله ﷻ عنا وعن المسلمين خير الجزاء، ومن حقه علينا نصرته وذلك ببيان الصورة الحقيقية للإسلام والعمل على نشره في جميع أنحاء الدنيا، ولقد ورد عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ، قال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار".^(١)

فلقد نشر سيرته المطهرة المشتملة على أخلاقه السمحة، وكيفية تعامله مع الآخرين في السلم والحرب، واتباع سنته، والحفاظ عليها وتلقيتها من الأحاديث الموضوعية، والرد على الأكاذيب التي تُحاك ضده وضد زوجاته وصحبه الكرام، والضرب بيد من حديد على أيدي المُسيئين له ولزوجاته أمهات المؤمنين لفظاً وعملاً... الخ، ولكن يا حسرتاه ماذا فعلنا نحن المسلمين إزاء ما يتعرض له حبيبنا المصطفى ﷺ من إهانات ممتثلة في الرسومات المُسيئة له، أو في الطعن في زوجاته، أو في السب والشتم لصحابته الكرام؟! لحظات غضب عابرة ثم تزول وكأن شيئاً لم يكن.

- شرف أبي بكر الصديق ﷺ وبيان فضله:

من فضائله ﷺ أنه أول من آمن بالرسول ﷺ، وهو الذي صدّقه في حادثة الإسراء والمعراج عندما كذبه جميع الناس، وصاحب رسولنا الكريم ﷺ في رحلته من مكة إلى المدينة، ونزل بشأنه قرآن كريم يُتلى منذ أربعة عشر قرناً ونيف، وتكثر الأحاديث التي وردت في فضله وما سيتم وروده على سبيل الذكر لا الحصر، ومنها ما ذكر عن عبد الله بن مسعود ﷺ، يُحدّث عن النبي ﷺ، أنه قال: " لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله ﷻ صاحبكم خليلاً".^(٢)

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٧٠، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٤٦١.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ١٨٥٥، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق

رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٣٨٣.

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي" فقال أبو بكر: يا رسول الله، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ "أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي".^(١)

• الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه:

الإسلام دين الحق، والحق أحق أن يُتبع، به نسخ الله ﷻ الشرائع السابقة ولن يقبل منا ديناً غيره قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، الباطل مهما كبر وترعرع وعلا إلا أنه يأتي يوم ويزول ويبقى العلو والرفعة للإسلام وهذا يتضح جلياً في عصرنا الحالي الذي نعيش فيه.

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢١٣، كتاب: السنة، باب: في الخلفاء، حديث رقم: ٤٦٥٢. [حكم الألباني: ضعيف].

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة التوبة

من آية (٤١-٤٥)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب النفير للجهاد في سبيل الله ﷻ.

المطلب الثاني: مواقف المنافقين من الجهاد والمجاهدين.

المطلب الثالث: الإذن للمنافقين في القعود عن الجهاد.

المطلب الأول

وجوب النفير للجهاد في سبيل الله ﷻ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن عاتب الله ﷻ المتخلفين عن النفير مع الرسول ﷺ وتثاقلوا حين استتفرهم أتبعه بالأمر الجازم الذي لا هوادة فيه، وكان الأمر عاماً شاملاً فقال: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾، فأوجب النفير العام على كل فرد، والخفة والثقل تكون في الأجسام وأحوالها من صحة ومرض، ونحافة وسمن، وشباب وكبر، وغنى وفقير، وقلة وكثرة، ووجود ظهر وعدم وجوده .. إلخ، فلا عذر لأحد في التخلف وترك الطاعة (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

انفروا في سبيل الله ﷻ شباباً وشيوخاً، أغنياء وفقراء، فرادى وجماعات، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم؛ لإعلاء كلمته ﷻ فمن استطاع منكم الجهاد بنفسه وماله وجب عليه ذلك، ومن استطاع الجهاد بنفسه فقط أو ماله فقط وجب عليه، وذلك؛ لأن الخروج للجهاد بالنفس والمال خيرٌ لكم في حالكم ومآلكم من التثاقل والتخلف إن كنتم تعلمون ما لكم من الثواب والجزاء. (٢)

"هذا التجنيد العام واجب عند ظرفه الخاص به وفي الأحوال العادية فالواجب امتثال أمر القائد العام". (٣)

ثالثاً: سبب النزول:

"عن أنس رضي الله عنه قال: قرأ أبو طلحة: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ فقال: ما أسمع الله ﷻ عذر أحدٍ، فخرج مجاهداً إلى الشام حتى مات، وقال السدي: جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله ﷺ وكان عظيماً سميناً، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت فيه: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ فلما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس، فنسخها الله ﷻ وأنزل: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى

(١) ينظر: تفسير المراغي ١٠ / ١٢٣.

(٢) ينظر: التفسير الميسر ١ / ١٩٤، والتفسير الواضح ١ / ٨٨٦.

(٣) التفسير الواضح ١ / ٨٨٦ - ٨٨٧.

الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: ٩١﴾، ثم أنزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: 42] وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: 47] وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي عسكره على ذي جدة أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، فأنزل الله ﷻ يعزي نبيه ﷺ بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

– «انفروا» أصل النفر: الخروج إلى مكان، لأمر واجب، والمراد هنا الحث على الجهاد والدعوة إليه.^(٢)

– «خفافاً»: الخفاف جمع خفيف: وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد ومركوب.

– «وثقالاً»: الثقال جمع ثقيل: وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير الذي لا جدة عنده.

ويُراد به في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال.

– «ذلكم»: أي الجهاد بالمال والنفس خير من التثاقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومالاً.^(٣)

٢. البلاغة:

أ. «انفروا»: "تجريد؛ للأمر بالنفور بعد التوبيخ على تركه، والإنكار على المساهلة فيه".^(٤)

ب. «خفافاً وثقالاً»: "بينهما طباق".^(٥)

ج. «ذلكم»: "اسم الإشارة يفيد معنى البعد؛ للإيدان ببعد منزلة النفير والجهاد في الشرف".^(٦)

(١) أسباب النزول، الحميدان ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) التفسير المنير ١٠ / ٢٢٣.

(٣) أيسر التفاسير ٢ / ٣٧١، وتيسير الكريم الرحمن ص: ٣٣٨.

(٤) إرشاد العقل السليم ٤ / ٦٧.

(٥) التفسير المنير ١٠ / ٢٢٣.

(٦) إرشاد العقل السليم ٤ / ٦٧.

٣. الإعراب:

- «خفافاً»: "حال من الواو في «انفروا».

- «إن كنتم»: جملة مستأنفة، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله".^(١)**خامساً: مقاصد وأهداف النص:****• الجهاد بالمال والنفس:**

إذا أعلن النفير العام وجب تجنيد القوى كلها في البلد للحرب، ووجب الحرب على الكل ما عدا المعذورين عذراً شرعياً، وقد نبه القرآن على نوع العذر حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]، وقد كان الصحابة يجاهدون بالنفس والمال؛ إذا قُدر عليهما أو على أحدهما على حسب الحال والحاجة، فقد كان المسلمون ينفقون على أنفسهم من أموالهم، وهم يعدّون السلاح، وقد ينفقون على غيرهم، كأمثال عثمان ؓ الذي أنفق الكثير من ماله؛ لتجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك، وأبو بكر الصديق الذي أنفق كل ماله وعمر الذي أنفق شطر ماله.

ولما أصبح في بيت المال وفرة وسعة، صار الحكام يجهزون الجيوش من بيت المال، وهذا هو النظام السائد الآن، حيث تخصص بنود من الميزانية كل عام لنفقات الحرب والدفاع، وتزد الميزانية عند الحاجة.

وللجهاد ثمرة يانعة عظيمة، فهو يحقق إحدى الحسنين: إما النصر، وإما الشهادة في سبيل الله ﷻ، وفي ذلك من الخير العظيم ما لا يوصف، سواء في الدنيا بإعلاء كلمة الله ﷻ وإعزاز المسلمين، وفي الآخرة بالقرار في نعيمها والاستمتاع بخلود الجنة، ولا يقدر هذا إلا المؤمن الصادق الإيمان، الذي يؤمن بأن القيامة حق، وبأن الثواب والعقاب فيها حق وصدق.

فما يستفيد المجاهد من نعيم الآخرة خيرٌ وأعظم مما يستفيد القاعد عنه من الراحة والدعة والتنعيم بهما، ولا تدرك هذه الخيرات إلا بالتأمل، ولا يعرفها إلا المؤمن بالآخرة، لذا قال الله ﷻ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.^(٢)

(١) المجتبى ٢ / ٣٩٥.

(٢) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٢٦ - ٢٢٧.

إذا أعلن الحاكم المسلم النفير العام لمحاربة العدو وجب على الجميع الخروج للجهاد شبيهاً وشباناً وركباناً ومشاةً، في جميع الظروف والأحوال، ولا يجوز لأحد التخلف إلا لعذر شرعي قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدُّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

ويُعتبر الجهاد بالنفس أفضل أنواع الجهاد .. وكما يكون بالنفس يكون أيضاً بالمال فلقد ورد عن زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا"^(١)، وإن الجهاد بالنفس أو المال أفضل من التخلف عن القتال.

(١) صحيح البخاري ٤ / ٢٧، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، حديث رقم:

المطلب الثاني

مواقف المنافقين من الجهاد والمجاهدين

قَالَ تَعَالَى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن رغب الله ﷻ المؤمنين في الجهاد في سبيل الله ﷻ، ووبخ المتناقلين عنه بقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عاد إلى تقرير كونهم متناقلين، وبيّن أن أقواماً، مع كل ما تقدم من الوعيد والحث على الجهاد، تخلفوا عن غزوة تبوك، وأما الأكثر فكان يلبي نداء الجهاد بسرعة ونشاط؛ لأنهم ينتظرون إحدى الحسنين: إما الشهادة، وإما النصر". (١).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

ندد القرآن بالمنافقين في تخلفهم عن متابعة الرسول ﷺ في الجهاد، فقال: لو كان ما دُعوا إليه هولاء المنافقون غنيمة قريبة المنال، أو رحلة قصيرة المسافة قليلة العناء، لاتبعوه ولكنهم شق عليهم السفر ولسوف يحاولون الاعتذار ويحلفون أنهم لو استطاعوا لخرجوا معه في حين أن الله ﷻ يعلم أنهم كاذبون وليست أيمانهم إلا لتزيد في إثمهم ووسيلة جديدة لهلاكهم وعذابهم، وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم، والله ﷻ لا يخفى عليه حالهم، فهو يعلم كذبهم وسيجزئهم على ذلك. (٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾: متاعاً قريب المأخذ.
- ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: سهلاً مقتصدًا ذا قصد عدل. (٣)
- ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾: "في الخروج.
- ﴿الشُّقَّةُ﴾: القطعة من الأرض، أو المسافة التي تقطع بمشقة.

(١) التفسير المنير ١٠ / ٢٢٩.

(٢) ينظر: المنتخب ٢٦٦، والتفسير الحديث ٩ / ٤٤٦.

(٣) ينظر: إيجاز البيان ١ / ٣٨٠، والتحرير والتتوير ١٠ / ٢٠٨.

- ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: بإيقاعها في العذاب".^(١)

٢. البلاغة:

"قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ﴾: هو تعريض بأولئك الذين إذا دُعُوا إلى القتال، لم يخفوا له، بل تلبثوا، وأخذوا يديرون أعينهم هنا وهناك؛ ليتعرفوا إلى وجوه الريح والخسارة في الدعوة التي دعوا إليها، فإن كان المغنم فيها دانياً، والسفر إليها قريباً، استجابوا، وخرجوا مع المجاهدين"^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

٣. القراءات:

﴿عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ﴾: قرأ حمزة والكسائي ﴿عليهم﴾ بضم الهاء، وقرأها الباقون بالكسر.^(٣)

٣. الإعراب:

- قال تعالى: ﴿لخرجنا معكم﴾: "ساد مسد جوابي القسم والشرط، وهذا من المعجزات؛ لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه".^(٤)
- ﴿يُهْلِكُونَ﴾: "في هذه الجملة ثلاثة أوجه:
 - أ. أنها حالٌ من فاعل ﴿سَيَخْلِفُونَ﴾، أي: سَيَخْلِفُونَ مُهْلِكِينَ أَنْفُسَهُمْ.
 - ب. أنها بدلٌ من الجملة قبلها وهي ﴿سَيَخْلِفُونَ﴾.
 - ج. أنها حالٌ من فاعل ﴿لَخَرَجْنَا﴾".^(٥)
- ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾: "حال، أي هم يفعلون ذلك في حال عدم جدواه عليهم؛ لأن الله ﷻ يعلم كذبهم، أي ويطلع رسوله على كذبهم، فما جنوا من الحلف إلا هلاك أنفسهم.
- و﴿إنهم لكاذبون﴾: سدت مسد مفعولي يعلم".^(٦)

(١) تفسير العز بن عبد السلام ٢/ ٢٣، وأنوار التنزيل ٣/ ٨٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٥/ ٧٨٠.

(٣) التسهيل لقراءات التنزيل من الشاطبية والدرة، محمد خاروف ص: ١٩٤.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٨٢.

(٥) الدر المصون ٦/ ٥٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٨٢.

(٦) التحرير والتتوير ١٠/ ٢٠٩.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• إعداد الأمة تربوياً:

يكون ذلك لتحمل مسؤولياتها الكبرى في العزة والسيادة وإقرار السلام ودفع العدوان، وتتجلى طرق الإعداد في المواقف الحاسمة بالأمر بالنفير العام عند الحاجة والمصلحة، ولوم المنافقين الذين يتذرعون بأوهى الأسباب؛ للتهرب من الجهاد، وهذا مرض خطير تأصل في نفوس المنافقين الانهزاميين، الذين اندسوا في صفوف المسلمين باسم الإسلام تظاهراً، بعد أن غلب وظهر، فرأى هؤلاء أن حب السلامة وحب الكسب يقتضيان أن يحنوا رؤوسهم للإسلام، وأن يكيدوا له داخل الصفوف بعد أن عز عليهم أن يكيدوا له خارج الصفوف، وأراد القرآن الكريم التخلص من هذا المرض فقال تعالى ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١)

لو كان الأمر أمر عرض قريب من أعراض هذه الأرض، وأمر سفر قصير الأمد مأمون العاقبة لاتبعوا الرسول ﷺ ولكنها المسافة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة، والجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب الضعيفة.

فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة. كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن الركب ويميلون إلى عرض تافه أو مطلب رخيص من مطالب هذه الدنيا الزائلة، كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان وفي كل مكان بارعون بالحلف المصاحب للكذب الذي يخيل اليهم أنه سبيل للنجاة عند الناس، والله ﷻ يعلم الحق، ويكشفه للناس، فيهلك الكاذب في الدنيا والآخرة بسبب كذبه.

• حرص المسلمين على تلبية نداء الجهاد:

الذين يؤمنون بالله ﷻ، ويعتقدون بيوم الجزاء، لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد ولا يتكأون في تلبية داعي الجهاد في سبيل الله ﷻ بالأموال والأرواح بل يسارعون إليها خفافاً وثقالاً كما أمرهم الله ﷻ طاعة لأمره، ويقيناً بلقائه، وثقةً بجزائه، وابتغاءً لرضاه، وإنهم يقومون بذلك تطوعاً فلا يحتاجون إلى من يحثهم على الجهاد، فضلاً عن الإذن لهم، إنما يستأذن أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلمسون الأعذار، لعل عائقاً يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف العقيدة التي يتظاهرون بها، وهم يرتابون فيها ويترددون.

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي ١/ ٨٦٤، وفي ظلال القرآن ٣/ ١٦٦١.

إنَّ الطريق إلى الله ﷻ واضحة مستقيمة، فلا يتردد إلا الذي لا يعرفه، أو الذي يعرفها ويتكرها انقاءً لمتاعب هذه الطريق، ولقد كان أولئك المتخلفون عن الجهاد ذوي قدرة على الخروج، ولديهم وسائله وعندهم عدته، ولكنهم التمسوا الأعذار الواهية حتى يأذن لهم رسول الله ﷺ بالقعود عن الجهاد.^(١)

• الإيمان الكاذبة تُوجب سخط الله ﷻ وعذابه:

يجب على الإنسان أن يحذر من الحلف بالله ﷻ كاذباً لأنه سيحكم عليه بالنفاق أو تكون فيه خصلة منه، وفي حديث رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمرو ؓ أن النبي ﷺ قال: "أَرَبِعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَتْ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"^(٢)، فيجب الحذر والانتباه من هذه الخصلة، خاصة فيما يتعلق بالجهاد فهذه الأمور تكون بين العبد وربه وهم غير مكلفين بتقديم المبررات والأعذار الكاذبة، وهذا ما نراه في بعض أفراد مجتمعنا ويتكرر في حياتنا يومياً من كثرة الحلف ليس في الجهاد فقط وإنما ما يحدث في الأسواق من قبل بعض التجار بكثرة الحلف لرواج سلعهم، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ؓ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِيَاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنْفِقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ"^(٣)، حتى لا تمحق بركة تجارتهم ولا يحكم عليهم بالنفاق.

(١) ينظر: في ظلال القرآن ٣ / ١٦٦١ - ١٦٦٢.

(٢) صحيح البخاري ١ / ١٦، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث رقم: ٣٤.

(٣) صحيح مسلم ٣ / ١٢٢٨، كتاب: المساقاة، باب: النهي عن الحلف في البيع، حديث رقم: ١٦٠٧.

المطلب الثالث

عتاب الله ﷻ لنبيه لإذنه للمنافقين في القعود عن الجهاد

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكَرِهَتْ قُلُوبُهُمْ فَأَمْوَالُهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٣-٤٥].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن رغب الله ﷻ المؤمنين في الجهاد في سبيل الله ﷻ، ووبخ المتناقلين عنه بقوله ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، عاد إلى تقرير كونهم متناقلين، وبيّن أن أقواماً، مع كل ما تقدم من الوعيد والحث على الجهاد، تخلفوا عن غزوة تبوك، وأما الأكثر فكان يلبي نداء الجهاد بسرعة ونشاط؛ لأنهم ينتظرون إحدى الحسنين: إما الشهادة، وإما النصر".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

عفا الله ﷻ عنك وسامحك فيما قد جئت به يا أكمل الرسل من ترك الأولى، لم أذنت لهؤلاء المنافقين في التخلف عن الخروج معك بمجرد الاعتذار، هلا تركتهم حتى يتبين ويظهر لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم وتميز الكاذبين فيه من الصادقين، وبالجملة لا يستأذنتك الذين يؤمنون بالله ﷻ واليوم الآخر، أي ليس من عادة المؤمنين الاستئذان منك إلى الخروج نحو القتال مطلقاً، بل هم منتظرون دائماً مهيتون أسبابهم مترصدون إلى أن يجاهدوا في سبيل الله ﷻ بأموالهم وأنفسهم، وينتهبوا الفرصة بالمسابقة حين أمروا، فكيف أن يستأذنوا بالقعود وعدم الخروج؟! والمعذورون منهم متألّمون متحسرون ويكون في زوايا الحرمان محزونين ملهوفين متأسفين؛ لذلك أعد لهم سبحانه من فضله درجة عظيمة، والله ﷻ المطلع لضمائر عباده، عليم بالمتقين الذين يحفظون نفوسهم عن مخالفة أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ بلا عذر شرعي، بل إنما يستأذنتك بالقعود والتخلف المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ﷻ ويتوحيده واليوم الآخر المعد لجزاء الأعمال، ومع ذلك قد ارتابت قلوبهم؛ لعدم اطمئنانها ورسوخها بالإيمان والتوحيد، فهم في ريبهم المركوز في جبلتهم يترددون يتحيرون وينتذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.^(٢)

(١) التفسير المنير ١٠ / ٢٢٩.

(٢) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣٠٦، وصفوة التفسير ١ / ٥٣٧.

ثالثاً: سبب النزول:

قال مجاهد: نزلت في المنافقين قال أناسٌ منهم لبعضهم: استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿عفا الله عنك﴾: العفو التجاوز عن الخطأ وترك المؤاخذة عليه.^(٢)
- ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾: "بأن تمتحنهم؛ ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك".^(٣)
- ﴿لا يستأذنك﴾: "أي لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد.
- ﴿وارتابت قلوبهم﴾: أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق.
- ﴿في ريبهم﴾: أي في شكهم".^(٤)
- ﴿يترددون﴾: "حيارى لا يثبتون على شيء".^(٥)

٢. الإعراب:

- "﴿لم﴾ و﴿لهم﴾: متعلقان بأذنت، لكنه اختلف مدلول اللامين، إذ لام ﴿لم﴾ للتعليل، ولام ﴿لهم﴾؛ للتبليغ، فجاز ذلك؛ لاختلاف معنييهما.
- وقيل: إنَّ متعلق الإذن غير مذكور، فيتضح لنا مما تقدم أنه يدل على أنه القعود أي: لم أذنت لهم في القعود والتخلف عن الغزو حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له.
- وقيل: متعلق الإذن هو الخروج معه للغزو، لما ترتب على خروجهم من المفاصد؛ لأنهم كانوا عيناً للكفار على المسلمين.
- ﴿حتى﴾: غاية لما تضمنه الاستفهام أي: ما كان أن تأذن لهم حتى يتبين من له العذر.

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٥، والتفسير الواضح ١/ ٨٨٩، وصفوة التفاسير ١/ ٥٣٧.

(٢) ينظر: أيسر التفاسير ٢/ ٣٧١، والتفسير المنير ١٠/ ٢٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٤) أيسر التفاسير ٢/ ٣٧٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٣٣٩، ٣٣٨.

- وقوله: ﴿لم أذنت لهم﴾: يدل على المحذوف، ولا يجوز أن تتعلق ﴿حتى﴾ بأذنت؛ لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية، أو لأجل التبيين، وهذا لا يعاتب عليه".^(١)
- ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: "الجملة استئنافية مسوقة؛ لتقرير ما يستدل منه على أن المؤمنين ليس من عادتهم أن يستأذنونك في أن يجاهدوا".^(٢)
- "قوله تعالى: ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ : فيه وجهان:

الأول: أنه متعلق الاستئذان، أي: لا يستأذنونك في الجهاد، بل يمضون فيه غير مترددين.

الثاني: أن متعلق الاستئذان محذوف و﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ مفعولٌ من أجله تقديره: (لا يستأذنونك المؤمنون في الخروج والعودة كراهةً أن يجاهدوا بل إذا أمرتهم بشيءٍ بادرُوا إليه)".^(٣)

٣. البلاغة:

- أ. ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾: "لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لهم".^(٤)
- ب. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾: "كناية عن خطئه ﷺ في الإذن؛ لأن العفو يعقب الخطأ، وهو خبر قصد به تقديم المسرة على المضرة، وإن من لطف الله ﷻ بالنبي ﷺ أن بدأه بالعفو قبل العتاب".^(٥)
- ج. ﴿لَمْ أذْنَتْ لَهُمْ﴾: "بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه (مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنونك واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأنيت بالإذن)".^(٦)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• مشروعية العتاب للمحب:

ما أجمل العتاب بين المحبين، والأجمل منه أن يكون العفو قبله، ولا خير فيمن إذا عُوقب لم يعتب، أي لم يُحاول أن يُرضى محبوه، ويُزيل ما كان سبباً للسخط والمُعاتبة، ولو أننا في زماننا هذا طبقنا العفو قبل العتاب في حياتنا لاسترحنا من كثرة القيل والقال، ومن الخصومات التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى الجرائم.

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٠٦.

(٣) الدر المصون ٦ / ٥٧.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٦٨٢، ولطائف الإشارات ٢ / ٣٠.

(٥) التفسير المنير ١٠ / ٢٢٨.

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٦٨٢.

- وجوب حسم أمر المنافقين:

تذكّر الآية بالموقف الحاسم الذي يجب على النبي ﷺ والمسلمين من بعده أن يفقهه من المنافقين، حيث تُوجِب اعتبارهم خارج صف المسلمين، فلا يدعونهم ليشتركوا معهم في حرب، وفي كل هذا تلقين ومنهج مستمر المدى لما يجب أن يكون موقف المخلصين من أمثال هؤلاء - خاصة - حينما يتهزّبون من التضامن مع الناس وأداء واجباتهم في الأزمات والشدائد، معترزين بالأعذار الكاذبة، ومنطلقين بمختلف أساليب المكر والحيل، والبخل والتثبيط، والفرح بما قد يلّم بالناس من محن وبلاء في سبيل الله ﷻ. (١)

- الجهاد في سبيل العقيدة:

لقد رسمت الآية توجيهاً للنبي الكريم، وكذلك هو توجيه لهذه الدعوة ورجالها أبداً في كل زمان ومكان، فكما أمره بالألا يسمح للمتخلفين في ساعة العسرة أن يعودوا فينتظموا في الصفوف، كذلك أمره ألا يخلع عليهم أيّ ظلال من ظلال التكريم، ففي هذا دلالة أعمّ من الحوادث الخاصة، فالآية تُقرّر أصلاً من أصول التقدير في نظام الجماعة المكافحة في سبيل العقيدة، هو عدم التسامح في منح مظاهر التكريم لمن يُؤثرون الراحة المسترخية على الكفاح الشاق - بل ربما كانوا في الصف المُعادي وما زالوا - وعدم المجاملة في تقدير منازل الأفراد في الصف، ومقياس هذا التقدير هو الحقّ والثبات عليه والإصرار والعزيمة التي لا تسترخي ولا تلين. (٢)

- التردد في الجهاد من أخلاق المنافقين:

فرض الله ﷻ الجهاد على الناس بأشكاله كافة سواءً الجهاد بالنفس أو بالمال أو بالكلمة فلا عذر إلا لأصحاب الأعذار فمن لم يستطع الجهاد بنفسه فليجاهد بماله وله نفس الأجر ومن لا يملك المال فليجاهد بالكلمة وله الثواب الجزيل، والمؤمن الحقيقي لا يتردد في تقديم الغالي والنفيس في سبيل الله ﷻ رغبة في سلعة الله ﷻ الغالية التي أعدها الله ﷻ للمجاهدين في سبيله ألا وهي الجنة ورفيع المقامات فيها، لكن الذي يتردد في الجهاد هم المنافقون الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم وشكّت قلوبهم في الله ﷻ وثوابه.

(١) ينظر: التفسير الحديث ٩/ ٥١٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ٣/ ١٦٨٣.

الفصل الثاني

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الثاني من الحزب العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من

آية (٤٦-٥٢)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من

آية (٥٣-٥٧)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من

آية (٥٨-٦٠)

المبحث الأول
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٤٦-٥٢)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موقف المنافقين من الإعداد للغزو.

المطلب الثاني: خطر خروج المنافقين للقتال.

المطلب الثالث: اعتذار المنافقين وأسبابه.

المطلب الرابع: بغض المنافقين للمؤمنين وتريصهم بهم.

المطلب الأول

موقف المنافقين من الإعداد للغزو

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ خَزَائِنًا أُولَئِكَ سَمِعُوا لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن ذكر ﷺ فيما سلف أن استئذنانهم في التخلف عن القتال إنما كان سترًا لنفاقهم وتغطية لعصيانهم قفى على ذلك ببيان المفاصد التي كانت تنجم من خروجهم لو خرجوا وحصرها في أمور ثلاثة: الاضطراب في الرأي وفساد النظام، تفريق الكلمة بالسعي فيما بينهم بالنميمة، إن فيهم ناساً من ضعفاء الإيمان يسمعون كلامهم ويقبلون قولهم".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

أي لو قصدوا الخروج معك إلى القتال لاستعدوا وتأهبوا له بإعداد السلاح والزراد والراحلة ونحوها، وقد كانوا مستطيعين ذلك، ولكن ضعفت إرادتهم، ومالت دون الخروج بلادتهم، ولكن كره الله ﷻ انبعاثهم فثبطهم وقال اعدوا مع القاعدين وألزمهم الخروج من حيث التكليف، ولكن ثبتهم في بيوتهم بالخذلان فبالإلزام دعاهم، وبأمر التكوين أقصاهم.^(٢)

"لو خرج المنافقون معكم - أيها المؤمنون -؛ للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء، ييغون فتنتكم بتثبيطكم عن الجهاد في سبيل الله ﷻ، وفيكم - أيها المؤمنون - عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم، والله ﷻ عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك".^(٣)

ثالثاً: سبب النزول:

"أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاد لغزوة تبوك، فلما خرج رسول الله ﷺ هو وعسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي عسكرة على ذي جدة أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٣٠.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات، الفشيري ٢ / ٣١ - ٣٢.

(٣) التفسير الميسر ١ / ١٩٤.

العسكريين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، فأنزل الله ﷻ يُعزي نبيه: "لو خرجوا فيكم يعني المنافقين ما زادوكم إلا خبالاً وفساداً".^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿ولو أرادوا الخروج﴾: "لو قصدوا الخروج".^(٢)
- ﴿لأعدوا له عدة﴾: لهيأوا له العتاد.
- ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾: لم يرد الله ﷻ خروجهم.
- ﴿فثبّطهم﴾: فمنعهم وحبسهم وأزال عزمهم، وتثبيط الله ﷻ إياهم: أن خلق فيهم الكسل وضعف العزيمة على الغزو، وألقى في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا.
- ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾: يعني اقعدوا مع المرضى والزمنى، وقيل: النساء والصبيان.^(٣)
- ﴿لو خرجوا فيكم﴾: "أي مندسين بين رجالكم".^(٤)
- ﴿خبالاً﴾: "فساداً واضطراباً في الرأي.
- ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾: أسرعوا بينكم بالإفساد".^(٥)
- ﴿الفتنة﴾: "التشكيك في الدين والتخويف من الأعداء.
- ﴿سماعون لهم﴾: أي ضعفاء العزيمة يسمعون قولهم، وتقليب الشيء: تصريفه في كل وجه من وجوهه والنظر في كل ناحية من أبحاثه، والمراد أنهم دبّروا الحيل والمكايد ودوّروا الآراء في كل وجه لإبطال دينك".^(٦)

(١) الكشف والبيان، الثعلبي ٥ / ٥١.

(٢) تفسير السمعاني ٢ / ٣١٣.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٥ / ٥٠ - ٥١.

(٤) أيسر التفاسير ٢ / ٣٧٥.

(٥) إيجاز البيان ١ / ٣٨٠.

(٦) تفسير المراغي ١٠ / ١٣٠.

٢. البلاغة:

أ. «وقيل اعدوا مع القاعدين»: تمثيل لإلقاء الله ﷻ كراهة الخروج في قلوبهم، أو وسوسة الشيطان بالأمر بالعود، أو حكاية قول بعضهم لبعض، أو إذن الرسول ﷺ لهم، و(القاعدين) يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم^(١).

ب. "التميم بذكر «مع القاعدين» وعدم الاكتفاء بذكر اعدوا؛ لأنه لو اقتصر على الأمر لم يفد سوى القعود، ولكنه أراد أن ينظمهم في سلك الزمنى والمرضى وأصحاب العاهات والمعتهين والنساء والصبيان الذين من شأنهم الجثوم في البيوت بأنهم الموصوفون عند الناس بالتخلف والتقاعد والموسومون بسمة التلكؤ والجبانة"^(٢).

"وزيادة قوله: «مع القاعدين» مذمة لهم؛ لأن القاعدين هم الذين شأنهم القعود عن الغزو، وهم الضعفاء من صبيان ونساء وكالعمي والزمنى"^(٣).

٣. القراءات:

- «لأعدوا له عدة»: "العدة بضم العين: ما يحتاج إليه من الأشياء، كالسلاح للمحارب، والزاد للمسافر، مشتقة من الإعداد وهو التهيئة"^(٤).

- "قرأ زر بن حبيش^(٥)، وعاصم^(٦) في رواية أبان «عده» بكسر العين، مضافة إلى هاء الكناية.

- وورد أيضاً «عدة» بكسر العين، وتاء التأنيث، والمراد: عدة من الزاد والسلاح، مشتقاً من (العدد)^(٧).

٤. الإعراب:

"قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: عطف على جملة "فهم في ربهم يترددون"؛ لأن معنى المعطوف

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي ٣ / ٨٣.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٠٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢١٤ - ٢١٥.

(٤) المرجع السابق ١٠ / ٢١٤.

(٥) زر بن حبيش: هو ابن حباشة بن أوس، الإمام، القدوة، مقرئ الكوفة مع السلمي، أبو مريم الأسدي، الكوفي، ويكنى أيضاً: أبا مطرف أدرك أيام الجاهلية، وحدث عن: عمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، وغيرهم، وتصدر للإقراء، وكان ثقة، كثير الحديث. [ينظر: سير أعلام النبلاء ٥ / ٩١].

(٦) عاصم بن أبي النجود: هو أبو بكر الأسدي الكوفي المقرئ. [سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤١٢].

(٧) اللباب ١٠ / ١٠٥.

عليها: أنهم لم يريدوا الخروج إلى الغزو، وهذا استدلال على عدم إرادتهم الخروج إذ لو أرادوه لأعدوا له عدته، وهذا تكذيب لزعيمهم أنهم تهيأوا للغزو ثم عرضت لهم الأعدار فاستأذنوا في القعود؛ لأن عدم إعدادهم العدة للجهاد دل على انتفاء إرادتهم الخروج إلى الغزو.

والاستدراك في قوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْقِبَاءَهُمْ﴾ استدراك على ما دل عليه شرط (لو) من فرض إرادتهم الخروج تأكيداً لانتفاء وقوعه بإثبات ضده، وعبر عن ضد الخروج بتثبيط الله إياهم؛ لأنه في السبب الإلهي ضد الخروج فعبر به عن مسببه، واستعمال الاستدراك كذلك بعد (لو) استعمال معروف في كلامهم^(١).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• الحكمة من تثبيط الله للمنافقين:

"كان تثبيط الله ﷺ لهم عن الخروج مع رسوله ﷺ والمؤمنين، لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله، وأنهم لو خرجوا معهم ضررهم ولم ينفعوهم"^(٢)، وفي خروجهم فساد وفتنة للمسلمين؛ لذا ألقى في قلوبهم الكسل.

• تخلف المنافقين عن الجهاد:

"إنَّ ترك المنافقين الاستعداد للمعركة دليل واضح وبارز على أنهم أرادوا التخلف، سواء أذن لهم النبي ﷺ أو لم يأذن، مع أنهم كانوا قادرين على تحصيل الأهبة والعدة، وإنَّ لوم هؤلاء على ترك الإعداد للقتال يدل على وجوب الاستعداد للجهاد قبل وقت وقوعه"^(٣)، ففي كل مجتمع هناك من يؤمن بفكرة ويدافع عنها بكلية وفي المقابل تجد أناساً يُجارون الظروف طمعاً في مكاسب آنية فيحاولون دوماً أن يقتنصوا الفرص لتحقيق رغبات ذاتية بعيداً عن المصلحة العامة حتى ولو أدى ذلك إلى خراب في المجتمع وفساده وهلاكه مثل العملاء الذين يتسترون بستار الإسلام، ويتظاهرون أمام الجميع بحملهم هم هذا الوطن ولكن لو وقع المحذور وجاءت المفاصلة تجدهم يتهربون من أي التزام ويتعللون بأضعف الأسباب، ويتحججون بأوهى الحجج؛ لأنهم ما صدقوا وما آمنوا بهذه المبادئ إنما كانت مجرد شعارات يتخفون وراءها، وتجدهم في وقت الأزمات لا يؤدون دوراً إيجابياً نافعاً بل على العكس يثيرون القلاقل والفتن، ويبثون الإشاعات بين الناس؛ ليفتوا في عضدهم، ويوهنوا عزمهم، ويفرقوا وحدتهم.

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) جامع البيان ١٤ / ٢٧٧.

(٣) التفسير المنير ١٠ / ٢٣٩.

وكم عانينا في الحروب الأخيرة على غزة من شرهم فقد بثوا سمومهم في كل اتجاه لتدمير البنية الداخلية للشعب، فهم جبناء ومفسدون ولا يقتصر أذاهم على هذا الفعل المشين بل نلمس منهم دوراً خطيراً يمارسونه في السلم والحرب، في الشدة والرخاء إذ إنهم رضوا بأن يكونوا أذنباً للعدو، مجرد عدسات تصور لهم وتنقل كل صغيرة وكبيرة عن أبناء شعبهم، ولا يتورعون في التبليغ عن المجاهدين والمقاومين لتفتك بهم صواريخ العدو، ومع ذلك لا يهتز لهم طرف فلا هم خرجوا للدفاع عن أعراضهم ووطنهم ولا هم حفظوا ألسنتهم، وأغمضوا أعينهم عن تتبع عورات الناس، فهؤلاء مقبوحون، مذمومون عند الله ﷻ وعند الناس.

المطلب الثاني

خطر خروج المنافقين للقتال

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"في هذه الآية بيان لما جبل عليه هؤلاء المنافقون من إحداث الفتن، وإشاعة المخاوف بين المجتمع الإسلامي، فذكر الله ﷻ في هذه الآية أن هذا دينهم وعادتهم من قبل، فقد أحدثوا قبل ذلك عظام الفتن في المجتمع الإسلامي، كالذي كان منهم في غزوة بني المصطلق وأمثالها، ولكن الله ﷻ أوقفهم في موبقاتهم، وأوقعهم فيما دبروه لإفساد مجتمع المؤمنين".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصددهم عن سبيل الله ﷻ من قبل غزوة (تبوك)، وكشف أمرهم، وصرّفوا لك -أيها النبي- الأمور في إبطال ما جئت به، كما فعلوا يوم (أحد) ويوم (الخندق)، ودبروا لك الكيد حتى جاء النصر من عند الله ﷻ، وأعز جنده ونصر دينه، وهم كارهون له"^(٢)، "والآية لتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبّطهم الله ﷻ لأجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة اعتذارهم تداركاً لما فوت الرسول ﷻ بالمبادرة إلى الأذن؛ ولذلك عوتب عليه".^(٣)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «لقد ابتغوا الفتنة من قبل»: "الابتغاء: الطلب، والفتنة: إيقاع الاختلاف المؤدي إلى تفريق الكلمة.
- «وقلبوا لك الأمور»: أي صرفوا لك الأمور وأداروها ظهراً لبطناً وبطناً لظهور، وحقيقة المعنى: أنهم طلبوا بكل حيلة إفساد أمرك".^(٤)
- «وظهر أمر الله»: "فشا دينه، وسطع نوره".^(٥)

(١) آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد ١٧٨.

(٢) التفسير الميسر ١/ ١٩٥.

(٣) أنوار التنزيل ٨٣/٣.

(٤) تفسير القرآن، السمعاني ٢/ ٣١٥.

(٥) أوضح التفاسير ١/ ٢٣٠.

٢. القراءات:

– "قرأ مسلمة بن محارب "وَقَلَّبُوا لَكَ" بالتخفيف في اللام".^(١)

– و"قَلَّبُوا" بالتشديد تدل على تكرار هذا العمل منهم.

٣. البلاغة:

«لقد ابتغوا الفتنة من قبل»: "في هذه الآية تحقير لشأنهم، ومعنى قوله: «من قبل»: ما كان من حالهم في أحد وغيرها".^(٢)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• ابتغاء المنافقين الفتنة بين صفوف المؤمنين:

"لم تكن مشاركة المنافقين وخروجهم للقتال مع المؤمنين في غزوة تبوك وغيرها خيراً ومصالحة، وإنما كانت شراً ومفسدة، وقد شرح تعالى المفاصد وحصرها في ثلاث: إفساد النظام والعمل، وتفريق كلمة المسلمين بالنميمة، واستدراج فئة من ضعاف الإيمان والعقل والحزم إلى صفوفهم وسماع كلامهم".^(٣)

• ظهر الحق وزهق الباطل:

هناك من يسعى ويرنو للعلواء والتقدم، ويقف صامداً مواجهاً أمام كل عاديات الزمن مستمسكاً بحبل الله ﷻ مبتغياً رضاه لكن تجد من يحاول تثبيطهم، وكسر عزائمهم بإشاعة الفتن، واثارة القلاقل وتزيين الباطل، وتجميل وجهه القبيح، يظنون أن الحق ضعيف.

صحيح أن الأمة الاسلامية في هذه الأيام تمر بمرحلة فتن وأحلك من قطع الليل تكالبت عليها الأعداء، واستعملوا أبناء جلدتنا لتقويض أركان هذه الأمة المباركة، فتجدهم ينعنون في وسائل الاعلام بما يفتت أواصر الحب بين الناس، ويوهن النفوس ويحبط الآمال، فقلبوا الحقائق وزيفوها وأباحوا القتل، وسفك الدماء وترويع الآمنين، وحلوه بحجة حفظ الأمن.

فمهما كبر الباطل وانتفش آتية يوم سينهار ويفضح أمره ويكشف ستره؛ لأن أمر الله ﷻ غالب والحق ظاهر، والحق أبلج والباطل لجلج.

(١) المحرر الوجيز ٣ / ٤١.

(٢) الجواهر الحسان ٣ / ١٨٥.

(٣) التفسير المنير ١٠ / ٢٣٩.

المطلب الثالث

اعتذار المنافقين وأسبابه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أُنذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤٩) إِنَّ نُصَيْبَكَ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ نُصَيْبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة: ٤٩-٥١].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه الآيات تفصيل بعد اجمال، وكان قد أُشير سابقاً إلى أن منهم من كان قد استأذن في الخروج تمهيداً للاعتذار عنه، ثم بعد ذلك شرع يفصلهم، وبدأ المفصلين بمن صرح بالاستئذان في القعود فقال عاطفاً على «لقد ابتغوا»: «ومنهم من يقول»: أي في فطرته تجديد هذا القول من غير احتشام «أذن لي» أي في التخلف عنك «ولا تفتني» أي تكن سبباً في فتنتي بالحزم بالأمر بالنفر فأفتنت إما بأن أتخلف فأكون مصارحاً بالمعصية أو أسافر فأميل إلى نساء بني الأصفر فأرتد عن الدين فإنه لا صبر لي عن النساء، وقائل ذلك هو الجد بن قيس^(١)، كان من الأنصار منافقاً.^(٢)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

إن بعض المنافقين كان يقول للرسول: "أذن لي في القعود عن الجهاد، ولا توقعني في شدة وضيق"، وهم بهذا الموقف قد أوقعوا أنفسهم في معصية الله ﷻ، وإن نار جهنم لمحيطه بهم في اليوم الآخر.

هؤلاء المنافقون لا يريدون بك أيها الرسول وبأصحابك إلا المكاره، فيتألمون إذا نالكم خير من نصر أو غنيمة، ويفرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل، ويقولون حينئذ شامتين: قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد، وينصرفون مسرورين.^(٣)

(١) الجد بن قيس: هو عبد الله بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد وأمه هند بنت سهل من جهينة ثم من بني الربعة، وأخوه لأمه معاذ بن جبل. شهد عبد الله بدرًا وأحداً، وكان أبوه الجد بن قيس يكنى أبا وهب. وكان قد أظهر الإسلام وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، وكان منافقاً. [الطبقات الكبرى ٣ / ٤٣٠].

(٢) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٤٩٤.

(٣) ينظر: المنتخب ٢٦٧ - ٢٦٨.

"قل أيها النبي لهؤلاء المتخاذلين جزراً لهم وتوبيخاً: " لن يصيبنا إلا ما قدره الله علينا وكتبه في اللوح المحفوظ، هو ناصرنا على أعدائنا، وعلى الله، وحده فليعتمد المؤمنون به ".^(١)

ثالثاً: سبب النزول:

"أخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لجد بن قيس: "يا جد"، هل لك في جلد بني الأصفر؟ قال جد: أو تأذن لي يا رسول الله؟ فإني رجل أحب النساء وإني أخشى إن أنا رأيت نساء بني الأصفر أن أفنتن، فقال رسول الله - وهو معرض عنه -: قد أذنت لك، فعند ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَثَدْنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾.^(٢)

أخرج ابن أبي حاتم بإسناده أيضاً عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، يقولون إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم، وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك فأنزل الله ﷻ في ذلك من أمرهم ﴿ إِنْ تُصَبِّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصَبِّكَ مُصِيبَةٌ يَكْفُلُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ قَرِيحُونَ ﴾.^(٣)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿إِنْ تُصَبِّكَ حَسَنَةٌ﴾: الحسنة: الحادثة التي تحسن لمن حلت به واعتزته، والمراد بها هنا النصر والغنيمة.
- ﴿إِنْ تُصَبِّكَ مُصِيبَةٌ﴾ المصيبة: مشتقة من أصاب بمعنى حل ونال وصادف، وهي أيضاً بمعنى النكبة والشدة.^(٤)
- ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ "أي: قد أخذنا أمرنا بالحزم والحذر الذي هو دأبنا من قبل وقوعها إذ تخلفنا عن القتال، ولم نلق بأيدينا إلى الهلاك.

(١) التفسير الميسر ١/ ١٩٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٦/ ١٨٠٩، حديث رقم: ٩٦٠٠، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ١٢٢٥، حديث رقم: ٢٩٨٨. [حكم الألباني: حسن].

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٠.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٠/ ٢٢٢، وتفسير المنار ١٠/ ٤١٣.

- «ويتولوا وهم فرحون» أي: وينصرفوا عن الموضوع الذي يقولون فيه هذا القول عند بلوغهم خبر المصيبة إلى أهلهم، أو يعرضوا عنك بجانبهم وهم فرحون فرح البطر والشماتة".^(١)

٢. الإعراب:

- "جملة «هو مولانا»: في موضع الحال من اسم الجلالة، أو معترضة أي (لا يصيبنا إلا ما قدره الله لنا، ولنا الرجاء بأنه لا يكتب لنا إلا ما فيه خيرنا العاجل أو الآجل)؛ لأن المولى لا يرضى لمولاه الخزي.

- وجملة «وعلى الله فليتوكل المؤمنون»: يجوز أن تكون معطوفة على جملة "قل" فهي من كلام الله ﷻ خيراً في معنى الأمر، أي (قل ذلك ولا تتوكلوا إلا على الله دون نصره هؤلاء)، أي اعتمدوا على فضله عليكم.

- ويجوز أن تكون معطوفة على جملة «لن يصيبنا» أي قل ذلك لهم، وقل لهم إن المؤمنين لا يتوكلون إلا على الله، أي يؤمنون بأنه مؤيدهم، وليس تأييدهم بإعانتكم".^(٢)

٣. البلاغة:

أ. "قال تعالى: «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»: في هذه الآية مجاز مرسل، وعلاقته حالية أي: في جهنم، فأطلق الحال وأريد المحل؛ لأن الفتنة لا يسقط فيها الإنسان؛ لأنها معنى من المعاني وإنما يحل في مكانها فاستعمال الفتنة في مكانها مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل"^(٣)، والتعبير في هذه الآية يرسم مشهداً كأن الفتنة فيه هاوية يسقط فيها المفتونون وكأن جهنم من ورائهم تحيط بهم، وتأخذ عليهم المنافذ والمتجهات فلا يفلتون، وهو كناية عن مفارقتهم للخطيئة كاملة وعن انتظار العقاب عليها حتماً، جزاء الكذب والتخلف والهبوط إلى هذا المستوى المنحط من المعادير، وتقريباً لكفرهم وإن كانوا يتظاهرون بالإسلام وهم فيه منافقون"^(٤).

ب. «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»: هذا وعيد لهم على الفتنة التي سقطوا فيها، وضع فيه المظهر موضع ضميرهم؛ للنص على أن عقابهم بإحاطة جهنم بهم عقاب على الكفر الذي دفعهم للإعتذار، الذي هو ذنب في نفسه كان أقصى عقابه مس النار دون إحاطتها لو لم يكن سببه الكفر بتكذيب الرسول ﷺ فيما جاء به من حكم الجهاد وثوابه والعقاب على تركه...، والمراد:

(١) تفسير المنار ١٠ / ٤١٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٢٣.

(٣) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١١١.

(٤) في ظلال القرآن ٣ / ١٦٦٤.

أن جهنم ستكون محيطة بهم جامعة لهم يوم القيامة، وإنما عبر عن ذلك باسم الفاعل الدال على الحال؛ لإفادة تحقق ذلك حتى كأنه واقع ملموس ومشاهد، ويحتمل أن يقال: إنها محيطة بهم الآن؛ لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها، وإنما تحيط النار بمن أحاطت به خطاياهم حتى لا رجاء ولا أمل في توبته: **قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].^(١)**

ج. **﴿قد أخذنا أمرنا من قبل﴾** "والأخذ: حقيقته التناول، وهو هنا مستعار للاستعداد والتلافي.

د. **﴿ويتولوا وهم فرحون﴾** والتولي: حقيقته الرجوع، وهو هنا تمثيل لحالهم في تخلصهم من المصيبة، التي قد كانت تحل بهم لو خرجوا مع المسلمين، بحال من أشرفوا على خطر ثم سلموا منه ورجعوا فرحين مسرورين بسلامتهم وبإصابة أعدائهم".^(٢)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• موقف المنافقين عند الاعداد للقتال:

تصور هذه الآيات موقف بعض المنافقين من الدعوة إلى غزوة تبوك حيث جاء بعضهم يستأذن النبي ﷺ بالتخلف ويرجو عدم تعريضه للفتنة والإثم، وتبين تورط المنافقين بمواقفهم التي يقفونها في الإثم والفتنة، وتندر المنافقين بأن جهنم محيطة بالكافرين في كل حال ومآل.^(٣) وهذا شأنهم في كل زمان ومكان، فإنهم يختلقون المعاذير لئلا يقاتلوا، نظراً لحرصهم على الحياة، وحب الدنيا.

• تربيص المنافقين بالمؤمنين:

"هذه حال من أحوال المنافقين مع المؤمنين إنهم يتريصون بالمؤمنين وهم على طريق الجهاد، فإذا عاد المسلمون بالنصر والغنيمة اغتموا وحزنوا، وعلاهم الخزي والهوان، وإن وقع بالمسلمين سوء فرحوا فرحتين: فرحة لأن المسلمين قد أصيبوا، وفرحة لأنهم هم لم يكونوا في هذا الوجه الذي وقع للمسلمين فيه ما وقع من بلاء، ثم يدعوهم هذا إلى أن يحمدا لأنفسهم بعد نظرهم، وتقديرهم للأمور حيث سلموا وكان من شأنهم أن يعطبو لو أنهم استجابوا لما دعوا إليه **﴿وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلُ وَكَتَلْنَا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾** أي أخذنا حذرنا، ونظرنا إلى عواقب الأمور، ورأينا بحسن تقديرنا ألا نشارك في هذه الحرب التي يتجه

(١) ينظر: تفسير المنار ١٠/ ٤١٢ - ٤١٣.

(٢) التحرير والتوير ١٠/ ٢٢٢.

(٣) ينظر: التفسير الحديث ٩/ ٤٥٠.

إليها المسلمون، والتي لا يلقون فيها إلا الهزيمة، وقد ردّ الله ﷻ عليهم هذا الردّ الذي أمر المسلمين أن يلقوا المشركين به".^(١)

• أسباب اعتذار المنافقين عن الجهاد:

يتردد المنافقون في الخروج للجهاد ويُقدمون كل الحجج الواهية التي تمكنهم من عدم المشاركة مع المؤمنين في الجهاد، ومن هذه الأسباب:

١. ادعائهم الخوف من فتنة النساء، وهم لا يدركون أنهم سقطوا في فتنة أكبر ألا وهي فتنة التخلف عن الجهاد وظهور كفرهم ونفاقهم، وأن مآلهم جهنم تُحيط بهم من كل جانب.
٢. كرههم وصول الخير للمؤمنين وفرحهم عند وقوع المصيبة لهم، وعدم مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم بل على العكس تماماً فإنّ الكثير في زماننا يفرحون عند إصابة المسلمين بأي مكروه، أو هزيمة، ويتغنون بذلك في مجالسهم، ويحزنون إن أصاب المسلمون خيراً وهم لا يدركون أن ما يصيب الإنسان من خير أو شر إنما هو مقدر عليه ومكتوب عند الله ﷻ.

(١) التفسير القرآني للقرآن ٥/ ٧٩٣ - ٧٩٤.

المطلب الرابع

بغض المنافقين للمؤمنين وتربصهم بهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ تَرَبَّصُوتَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية تأتي في سياق الآيات التي تكشف عن المنافقين وتفضحهم وتبين طريق التعامل معهم، فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في الآية السابقة أن يبين لهم أن كل شيء يصيب الانسان إنما هو بقدر الله ﷻ، وأن حال المؤمن مع القدر هو الاستسلام المحض، وتفويض الأمر إلى الله ﷻ؛ لأنه لن يكون إلا ما يريد، والكلام فيه تعريض بهم بأنهم قوم لا يؤمنون بقدر الله ﷻ، وهي سيئة من سيئاتهم وتلتقي هذه الآية مع تلك في الكشف عن ستر من أسترهم، حيث يأمر الله تعالى نبيه ﷺ ليبينها لهم، وهي تربصهم بالمؤمنين الشر، لكن هذا الشر الذي يتربصون به في الحقيقة خير، فهو إما نصر عاجل في الدنيا أو شهادة يحوز بها صاحبها معالي الجنان، وهي رتبة لا يصل إليها إلا مؤمن بالله ﷻ متوكل عليه، أما الشاك في إيمانه فليس له إلا مصير واحد، وهو العذاب الأليم في الدنيا بأيدي المؤمنين، وفي الآخرة يكونون في الدرك الأسفل من النار.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"بين الله ﷻ في هذه الآية الفرق بين المؤمنين وبين الكفار، فقال قل للذين ينتظرون: أيها الكفار إن كان من شأن المؤمنين وقوع الدائرة عليهم في القتال، أو أن القتل ينالهم فأبي واحد من الأمرين ينالهم فهو لهم نعمة من الله ﷻ لأننا إن ظفرنا بكم فنصر وغنيمة، وعز للدين ورفع، وإن قتلنا فشهادة ورحمة، ورضوان من الله ﷻ وزلفى، وإن كان الذي يصيبنا في الدنيا هزيمة ونكبة، فذلك موجب للأجر والثوبة، وأما أنتم، فإن ظفرنا بكم فتعجيل لذلكم ومحنة، وإن قتلتم فعقوبة من الله ﷻ وسخطه، وإن كانت اليد لكم في الحال فخذلان من الله ﷻ، وسبب عذاب وزيادة نقمة".^(١)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿قل هل تربصون بنا﴾: "هل تنتظرون أن يقع بنا.
- ﴿الحسينين﴾: لها عدة معاني، هي:

(١) لطائف الإشارات ٢ / ٣٤.

أولاً: الغنيمة والشهادة.

ثانياً: الأجر والغنيمة.

ثالثاً: الشهادة والمغفرة".^(١)

القول الراجح: ما تراه الباحثة وترتضيه بأن المقصود بالحسنين هو الغنيمة والشهادة أو الأجر والغنيمة؛ لأن بالغنيمة نأخذ الأجر المادي في الحياة الدنيا، والشهادة يترتب عليها الأجر والمغفرة في الآخرة؛ لما نعرف من أجر الشهيد ومغفرة ذنبه عند أول قطرة دم تخرج منه، فيكون بذلك حيازة أجري الدنيا والآخرة.

- «أن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»: "أي يصيبكم بقارعةٍ من السماء.

- «أو بأيدينا»: أي أن يأذن لنا في قتلكم فنقتلكم".^(٢)

- «فتربصوا إنا معكم متربصون»: "أي فانتظروا مواعيد الشيطان إنا منتظرون مواعيد الله من إظهار دينه وهلاك مَنْ خالفه"^(٣)، "فما ينتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين، كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب: إما النصر، وإما الشهادة. فالنصرة مآلها إلى الغلبة والاستيلاء، والشهادة مآلها إلى الجنة".^(٤)

٢. الإعراب:

- «إِلَّا إِحْدَى»: (احدى) مفعول به للتربُّص، فهو استثناء مفرغ.^(٥)

- «ونحن نتربص»: معطوفة على مقول القول، والمصدر "أن يصيبكم" مفعول به لـ " نتربص".

- «فتربصوا»: جملة مستأنفة.

- «إنا معكم متربصون»: "تأتي أيضاً جملة مستأنفة".^(٦)

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٣٣.

(٢) الوجيز ٤٦٧.

(٣) المرجع السابق ٤٦٧.

(٤) البحر المحيط ٥ / ٤٣٣.

(٥) ينظر: الدر المصون ٦ / ٦٤، المجتبى ٢ / ٣٩٨.

(٦) المجتبى ٢ / ٣٩٨.

٣. البلاغة:

لقد ذكر لفظ التريص في هذه الآية أربع مرات وهي على النحو التالي: «تريصون بنا»، «ونحن نتريص بكم»، «فتريصوا»، «إنا معكم متريصون»، ولا شك أن بين هذه المواضع الأربعة جناس اشتقاق. (١)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• ثبات المؤمنين في ميدان القتال فيه نصره لدين الله ﷻ:

إنَّ الدين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة، من قتل منهم كان شهيداً، ومن عاش منهم كان منصوراً سعيداً، وهذا غاية ما يكون من النصر، إذ كان الموت لا بد منه، فالموت على الوجه الذي تحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل، بخلاف من يهلك هو وطائفته، فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

• السعادة لمن ابتغى الشهادة:

إنَّ الشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم وارادتهم، وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهم اختاروا هذا الموت، لأنهم قصدوا الشهادة عالمين بأن لهم السعادة في الدنيا والآخرة في الدنيا بانتصار طائفتهم، وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء، بخلاف من هلك من الكفار، فإنهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أُتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة من المقبوحين. (٢)

• المنافقون يكرهون الخير للمؤمنين:

"ومن أخلاق الكفار أنهم يحزنون للخير الذي يصيب المؤمنين، ويفرحون للمصائب تنزل بهم، ويسرّون هذا الشعور في أنفسهم فلا يظهرونه إلا بعد ظهور النتائج، ويظنون قبل ذلك يرجفون بالقول الكاذب، ويختلقون المفتريات والأباطيل، فإذا أصاب المؤمنين خيرٌ ظهرت آثار الحزن على وجوههم، وإذا واجهت المؤمنين الصادقين إحدى المصائب فرحوا واستبشروا وصرّحوا بمكنون النفاق، وفخروا بأنهم قد أعدوا للأمر عدته من قبل، ولم يتورطوا فيما تورط فيه هؤلاء المؤمنون المصابون، وقالوا: ﴿ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَتَلْنَا وَإِهْمَ فَرِحُوا ﴾ [التوبة: ٥٠]."

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٤٤١.

(٢) ينظر: فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، علي مخلوف ٨٨ - ٨٩.

وظهر مصداق هذا الخلق من هؤلاء المنافقين في غزوة تبوك أيضاً، فقد قعدوا خلف رسول الله ﷺ يخلقون الأباطيل، ويشيعون مقالة السوء".^(١)

"إنَّ الثبات في ميدان القتال أمام الكفار فيه نصرة لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهاب للكافرين، والفرار من غير عذر من أكبر الكبائر يوجب غضب الله ﷻ، ودخول النار، لما فيه من خذلان الدين، وتقوية قلوب الكافرين، وإحباط نفوس المؤمنين".^(٢)

وأما ذكر الله ﷻ كثيراً عند لقاء الأعداء، فهو التوجيه الدائم للمؤمن، وهو يؤدي وظائف شتى في ميدان الجهاد، إنه الاتصال بالقوي الذي لا يُغلب، والقدير الذي لا يعجزه شيء، والثقة بالناصر الذي ينصر أولياءه.

وهو في الوقت ذاته استحضار لحقيقة المعركة وبواعثها، فهي معركة لله ﷻ؛ لتقرير ألوهية الله ﷻ، وتحطيم الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، فهي معركة لتكون كلمة الله ﷻ هي العليا، لا للسيطرة، ولا للمغرم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي، وأما طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداءً، فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة. فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى هو الذي يوجه الآراء والأفكار.

• تحقيق موعود الله ﷻ:

وهذا يتضح من خلال أمرين:

١. النصر المؤزر، والفتح المبين، الذي يكون به إعلاء كلمة الله ﷻ، ونيل الأجر والغنيمة، أو الشهادة التي يترتب عليها مغفرة الذنوب، ونيل الرضوان من الله ﷻ ودخول الجنة.
٢. نزول العذاب بالمنافقين والكافرين؛ إما يعذبهم الله ﷻ كما عذب السابقين من الكفار، أو يعذبهم بأيدي المجاهدين بالقتل والأسر والفضح والإذلال، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

(١) نظرات في كتاب الله ٣١٤.

(٢) موسوعة فقه القلوب ٣ / ٢٥٤٦.

المبحث الثاني
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٥٣-٥٧)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إحياء ثواب المنافقين.

المطلب الثاني: عدم الاعتزاز بأموال المنافقين.

المطلب الثالث: حلف المنافقين الأيمان الكاذبة وخوفهم

الشديد.

المطلب الأول

إحباط ثواب المنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٣-٥٤].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن بيّن الله ﷻ عاقبة المنافقين، وهي العذاب في الدنيا والآخرة، أعقب ذلك ببيان أنهم وإن أتوا بشيء من أعمال البر كالإنفاق على الجهاد، فإنهم لا ينتفعون به في الآخرة؛ لأنهم يفعلونه رياءً وستراً على نفاقهم من الفضيحة، والمقصود ببيان أن أسباب العذاب في الدنيا والآخرة مجتمعة في حقهم، وأن أسباب الراحة والخير زائلة عنهم في الدنيا والآخرة، فأموالهم الكثيرة إنما هي عذاب لهم في الدارين".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

قل أيها النبي للمنافقين مهما أنفقتم من نفقة في سبيل الله ﷻ ووجوه البر طائعين أو مكرهين، لن يتقبل منكم، والسبب في عدم قبول النفقات منهم أنهم أضمروا الكفر بالله ﷻ وقاموا بتكذيب رسوله محمد ﷺ، ولأنهم قوم عتاة متمردون خارجون عن الإيمان، والأعمال إنما تصح بالإيمان، وإنما يتقبل الله من المتقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ وكانوا لا يأتون الصلاة إلا وهم متناقلون، ولا ينفقون الأموال إلا وهم كارهون، فهم لا يرجون ثواب هذه الفرائض، ولا يخشون على تركها عقاباً، فهي ثقيلة عليهم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِيِّينَ ﴿٤٥﴾﴾، ولا ينفقون نفقة في سبيل الجهاد وغيره إلا وهم كارهون لها، لا تطيب بها أنفسهم، لأنهم لا ينفقون لغرض الطاعة، بل رعاية للمصلحة الظاهرة، وستراً للنفاق، ويعدون الإنفاق مغرماً وخسارة بينهم.^(٢)

(١) التفسير المنير ١٠/ ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي ١/ ٨٧٢، والتفسير الميسر ١/ ١٩٥، وجامع البيان ١٤/ ٢٩٤، وتفسير السمعاني ٢/ ٣١٧.

ثالثاً: سبب النزول:

١. "أنها نزلت في الجد بن قيس حين استأذن في القعود، قال: أعينكم بمالي، يقول: "إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم"، أي: لأنكم، كنتم قوماً فاسقين".^(١)
٢. وفي رواية أخرى أنه قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتتنت، ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت الآية.^(٢)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾: أي أنفقوا في طاعة الله ﷻ.
- ﴿طَوْعاً﴾: أي بإرادتكم.
- ﴿أَوْ كَرْهًا﴾: أي رغم أنوفكم.
- ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ﴾: لن يتقبل منكم ما تفقونه.
- ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: أي كافرين خارجين عن طاعة الله ﷻ.^(٣)
- ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى﴾: أي متناقلين في أدائهم للصلاة.^(٤)
- ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾: أي كارهون النفقة لأنهم يعدونها مغرمًا فلا يرجون بهما ثواباً ولا يخافون على تركهما عقاباً.^(٥)

٢. الإعراب:

- ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا﴾: "أمر بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً".^(٦)
- ﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهًا﴾: "تصب على الحال، أي طائعين أو مكرهين".^(٧)

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٥٧.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٤/ ٢٩٤، وزاد المسير ٢/ ٢٦٧.

(٣) ينظر: أوضح التفاسير ١/ ٢٣١.

(٤) ينظر: تفسير السمعاني ٢/ ٣١٧، والتفسير المنير ١٠/ ٢٤٨.

(٥) ينظر: التفسير المنير ١٠/ ٢٤٨، وأنوار التنزيل ٣/ ٨٥.

(٦) تفسير البغوي ٢/ ٣٥٧.

(٧) الكشف ٢/ ٢٧٩.

- ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾: "عطف على جملة ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾؛ لأن هذا بيان للتعليل لعدم قبول نفقاتهم بزيادة ذكر سببين آخرين مانعين من قبول أعمالهم هما من آثار الكفر والفسوق. وهما: أنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون، والكفر وإن كان وحده كافياً في عدم القبول، إلا أن ذكر هذين السببين إشارة إلى تمكن الكفر من قلوبهم وإلى مذمتهم بالنفاق الدال على الجبن والتردد".^(١)

"فاعل ﴿ مَنَعَ ﴾ وجهان:

أ. أَنَّهُ ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا ﴾ أي: ما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم.

ب. أَنَّهُ ضمير يعود على الله ﷻ: أي وما منعهم الله، ويكون ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ ﴾ منصوباً على إسقاط حرف الجر".^(٢)

٣. البلاغة:

أ. ﴿ أَنْفِقُوا ﴾: أمر في معنى الخبر، كقوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ فليمدد له الرِّحْمَانُ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٥].

ب. ﴿ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾: بينهما طباق. أي: سواءً عليكم أنفقتم حال كونكم طائعين أو مكرهين فإنه لن يُقبل منكم نفقاتكم.^(٣)

وترى الباحثة أن الأسلوب بهذه الطريقة جمع بين عدة أمور؛ منها:

أ. أن الله ﷻ لم يقبل منهم ما أنفقوه فيما مضى، ولن يقبل منهم فيما يأتي، لذا جاء الأسلوب بصيغة الأمر الذي بمعنى الخبر؛ ليجمع بين الماضي والمستقبل.

ب. سواءً كان إنفاقهم عن طواعية أو مكرهين فلن يُقبل منهم؛ والحال أن الإنسان إذا أنفق طواعية فإن نفقته تُقبل، لكن تبيساً لهم في نيل الأجر على تلك النفقات جمع بين الحاليين حال الإكراه وحال الرضا.

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٢٧.

(٢) اللباب ١٠ / ١١٥.

(٣) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٤٨.

"لقد ذكر الله ﷻ الكفر بياناً لذكر الفسوق، وذكر التكاسل عن الصلاة؛ لإظهار أنهم متهاونون بأعظم عبادة فكيف يكون إنفاقهم عن إخلاص ورغبة؟! وذكر الكراهية في الإنفاق؛ لإظهار عدم الإخلاص في هذه الخصلة المتحدّث عنها".^(١)

٤. القراءات:

"قرأ حمزة والكسائي ﴿كُرْهَا﴾: بضم الكاف، والمعنى: (المشقة)، وبالفتح (ما أكرهت عليه)".^(٢)

﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم﴾: قرأ حمزة والكسائي (يقبل) بالياء لتقدم الفعل، ولأن النفقات تأتيها غير حقيقي، ولأنه قد فرّق بينها وبين الفعل ب"منهم"، ولأن النفقات أموال، فكأنه قال: إن يقبل منهم أموالهم، فحمل المعنى فذكر، وقرأ الباقر: بالتاء؛ لأن الفعل مسند إلى جمع مؤنث وهو النفقات، فأنت الفعل ليعلم أن الفاعل مؤنث.^(٣)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• آثار النفاق وأضراره:

النفاق له آثار خطيرة، وأضرار مهلكة، منها ما يأتي:

١. النفاق الأكبر يسبب الخوف والرعب في القلوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا بِإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا تُخَدَّرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].
٢. النفاق الأكبر يُوجب لعنة الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتَهُمْ تَفِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١].
٣. النفاق الأكبر يُخرج صاحبه من الإسلام؛ لأنه إسرار الكفر، وإظهار الخير، بل هو أشد من الكفر الظاهر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٦٨.

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٥٠٣، تفسير البغوي ٢ / ٣٥٧، والعذب النمير ٥ / ٥٦٦، المحرر الوجيز ٣ / ٤٥.

٤. النفاق الأكبر لا يغفره الله إذا مات عليه صاحبه؛ لأنه أشدُّ من الكفر الظاهر قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].
٥. النفاق الأكبر يوجب لصاحبه النار، ويُحَرِّم عليه الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].
٦. النفاق الأكبر يُحْبِط جميع الأعمال، ويُطْفِئُ الله نور أصحابه يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ تُوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْبَ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلَهُهُ مِنَ الْكِبَرِ الْمَدَابُ﴾ [الحديد: ١٣].
٧. النفاق الأكبر يَحْرِمُ العبد دعاء المؤمنين والصلاة عليه عند موته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].
٨. النفاق الأكبر إذا أظهره صاحبه وأعلنه كان مرتدًّا عن الإسلام، فيكون حلال الدم والمال، وتُطَبَّق عليه أحكام المرتدِّ، إلا أن قبول توبته عند الحاكم فيها خلاف في الظاهر؛ لأن المنافقين يُظهرون الإسلام دائماً.
- أما إذا أخفى المنافق نفاقه وكفره؛ فإنه معصوم الدم والمال بما أظهر من الإيمان، والله ﷻ يتولى السرائر. (١)

• وجوب الإخلاص في العبادة:

من أعمال القلوب الواجبة الإخلاص وهو إخلاص عمل الطاعة لله ﷻ أي أن لا يقصد بعمل الطاعة محمداً الناس والنظر إليه بعين الإحترام والتعظيم والإجلال، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

إن الله ﷻ جعل الإخلاص شرطاً لقبول الأعمال الصالحة، والإخلاص هو العمل بالطاعة لله ﷻ وحده، والمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وغيرها ابتغاء الثواب من الله ﷻ وليس لأن يمدحه الناس ويذكروه، فالمصلي يجب أن تكون نيته خالصة لله ﷻ وحده فقط فلا يصلي ليقول عنه الناس " فلان مصل لا يقطع الفرائض، " والصائم يجب أن يكون صيامه لله ﷻ وحده فقط، وكذلك الأمر بالنسبة للمزكي والمتصدق وقارئ القرآن ولكل من أراد أن يعمل عمل برٍّ وإحسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ

(١) ينظر: نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة ٥١ - ٥٣.

يَسَاءَ وَاللَّهِ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿ [البقرة: ٢٦١]، فالدرهم الذي يدفعه المسلم في الجهاد يضاعفه الله ﷻ إلى سبعمائة ضعف ويزيد الله ﷻ لمن يشاء، وهذا الحكم وهو مضاعفة الأجر عام للمصلي والصائم والمزكي والمتصدق وقارئ القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهم بشرط الإخلاص لله ﷻ الذي هو أساس العمل.

أما الرياء فهو العمل بالطاعة طلباً لمحمدة الناس فمن عمل طاعةً وكانت نيته أن يمدحه الناس وأن يذكره بأفعاله فليس له ثواب على عمله هذا، بل عليه معصية كبيرة ألا وهي معصية الرياء، وقد سمى الرسول ﷺ الرياء الشرك الأصغر، شبهه بالشرك الأكبر لعظمه، فالرياء ليس شركاً يخرج فاعله من الإسلام بل هو ذنب من أكبر الكبائر، فالقرآن الكريم يريد أن يربي المسلم على مآثرة من مآثره السامية، وهي مآثرة الإنفاق في سبيل الله ﷻ، ويبين له أن الرياء يبطل ثواب العمل، وأن المن والأذى يحبط أجر الصدقة، فالرياء مرض من أمراض المجتمع، يدل على ضعف في الشخصية، وسوء في الخلق، وتعلق بالدنيا، وبُعد عن الآخرة، والإسلام عندما أوصى بالصدقة، إنما أوصى بها تركية لنفس المتصدق، وتركية لماله أيضاً، وحرصاً على تكافل المجتمع، وبناء مجتمع معافى من الحسد والبغضاء، وبعيد عن التناحر والتشاحن.

• حرمة التكاثر عن الصلاة:

"إن تأخير الصلاة عن وقتها أمر منكر وجريمة عظيمة، وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أن من ترك الصلاة عمداً يعتبر كافراً، ومرتداً عن الإسلام، ويحتجون على هذا بما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: "العهد الذي بيننا وبينهم ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر"^(١)، "ورود أيضاً عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم برأس الأمر وعموده؟" قلت: بلى يا رسول الله، قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة"^(٢)، فالواجب على أهل الإسلام الحذر كل الحذر من التساهل بالصلاة لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ^(٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ [الماعون: ٤-٥]، والحرص على تأديتها في أوقاتها المحددة، ولا يجوز التشبه بالمنافقين في التساهل بالصلاة، وأن يحافظ على الصلاة في وقتها لأنها عمود الإسلام، وهي أهم الفرائض بعد الشهادتين، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ [مريم: ٥٩].

(١) كتاب الإيمان، ابن أبي شيبة / ٢٦، حديث رقم: ٤٦، أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: إقامة الصلاة، باب:

ما جاء فيمن ترك الصلاة / ٣٤٢/١، حديث رقم: ١٠٧٩. [حكم الألباني: صحيح].

(٢) تعظيم قدر الصلاة، المروزي، باب: عمود الدين الصلاة / ١ / ٢١٩، أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب أبواب

الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة / ٤ / ٣٠٨، حديث رقم: ٢٦١٦ بنحوه. [حكم الألباني: صحيح].

المطلب الثاني

عدم الاغترار بأموال المنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"لما قطع الله ﷺ في الآية السابقة رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة، بين أن الأشياء التي يظنونها من باب المنافع في الدنيا، فإنه ﷺ جعلها أسباب تعظيمهم في الدنيا، وأسباب اجتماع المحن والآفات عليهم، فإنه ﷺ لما بين قبائح أفعالهم وفصائح أعمالهم، بين مالهم في الآخرة من العذاب الشديد ومالهم في الدنيا من وجوه المحنة والبلية، ثم بين بعد ذلك أن ما يفعلونه من أعمال البر لا ينتفعون به يوم القيامة، ثم بين في هذه الآية أن ما يظنون أنه من منافع الدنيا وهم المال والبنون فهو في الحقيقة سبب لعذابهم وبلاتهم وتشديد المحنة عليهم، وعند هذا يظهر أن النفاق جالب لجميع الآفات في الدين والدنيا، ومبطل لجميع الخيرات في الدين والدنيا".^(١)

ثانياً: المعنى الاجمالي:

فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ﷺ ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها، حيث لا يحتسبون ذلك عند الله ﷻ، وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ﷻ ورسوله ﷺ.^(٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: "لا يغررك"^(٣)، "ولا تستحسن ولا يستهويك ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا وبها رجاها"^(٤)، "وفي معنى الآية أربعة أقوال:

١. (فلا تعجبك أحوالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة)، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة. فعلى هذا في الآية تقديم وتأخير، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها.

(١) مفاتيح الغيب ١٦ / ٧١.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٤ / ٢٩٥، والتفسير الميسر ١ / ١٩٦.

(٣) الدر المنثور ٤ / ٢١٨.

(٤) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١١٥.

٢. أنها على نظمها، والمعنى: (ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر).
٣. أن المعنى: (ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله)، قاله الحسن. فعلى هذا ترجع الكناية إلى الأموال وحدها.
٤. (ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم)، ذكره الماوردي. فعلى هذا تكون في المشركين".^(١)
- ﴿وتزهق أنفسهم﴾: "تخرج أنفسهم من الدنيا"^(٢)، "أي: يموتون ويهلكون وهم كافرون، فيعذبون بها في الآخرة إثر ما عذبوا بها في الدنيا؛ لموتهم على الكفر الذي يحبط أعمالهم".^(٣)
٢. الإعراب:

﴿في الحياة الدنيا﴾: فيه وجهان:

- الأول: أنه متعلق بـ ﴿تعجبك﴾ ويكون قول ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ جملة اعتراض والتقدير: (فلا تعجبك في الحياة)، ويجوز أن يكونَ الجارَ حالاً من أموالهم، وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد ليعذبهم بها في الآخرة).
- الثاني: أن ﴿في الحياة﴾ متعلقٌ بالتعذيب، والمراد بالتعذيب الديني مصائب الدنيا، أو ما لزمهم من التكاليف الشاقة، فإنهم لا يرجون عليها ثواباً أو ما فرض عليهم من الزكوات، وعلى هذا فالضمير في (بها) يعود على الأموال فقط، وعلى الأول يعود على الأولاد والأموال.^(٤)
- ﴿وهم كافرون﴾: "جملة حالية والمعنى (والحال أنهم ماتوا وهم كافرون)، وذلك هو الخسران المبين. أي يموتون على الكفر الذي يحبط العمل الصالح، وتكون النتيجة أنهم خسروا الدنيا والآخرة".^(٥)

٣. البلاغة:

- أ. ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾: "فلا تعجبك أيها النبي وكل مشاهد أو سامع أموال المنافقين ولا أولادهم ولا سائر نعم الله ﷻ عليهم، وإنما هي من أسباب المحن والآفات عليهم. ففي هذه الآية تحقير لشأن المنافقين، فإن إعطاء الله ﷻ لهم الأموال والأولاد بإرادته

(١) زاد المسير ٢/ ٢٦٨.

(٢) الدر المنثور ٤/ ٢١٨.

(٣) تفسير المراغي ١٠/ ١٣٨.

(٤) ينظر: الدر المصون ٦/ ٦٧-٦٨.

(٥) التفسير الوسيط ١/ ٨٧٣.

تعذيب لهم بها، فإنما هي من أسباب المحن والآفات عليهم. أما أموالهم في الدنيا فهي سبب تعذيبهم بها حيث يتعبون في جمعها، ويصحبها الهم والقلق، ثم ينفقونها كارهين في الجهاد والزكاة وتقوية غيرهم، وكذلك أولادهم ربما كانوا سبب ألم وكرب، وفي الآخرة يعذبون عذاباً شديداً، حيث تزهق أنفسهم أي يموتون على الكفر الذي يحبط العمل الصالح، وتكون النتيجة أنهم خسروا الدنيا والآخرة، والحال أنهم ماتوا وهم كافرون، وذلك هو الخسران المبين فما يظن المنافقون في صدر الإسلام أنه من منافع الدنيا هو في الحقيقة سبب لعذابهم وبلائهم".^(١)

'فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهما من جملة النعم؟'

أراد الله ﷻ بالتعذيب بها من حيث كانت سبباً للعذاب، أمّا في الدنيا، فإن من أحب شيئاً كان تألمه على فراقه شديداً، وأيضاً يحتاج في تحصيلها إلى تعب شديد، ومشاق عظيمة، ثم في حفظها كذلك، وأمّا في الآخرة فالأموال حلالها حساب، وحرامها عذاب.

*** إن هذا المعنى حاصل للكل، فما فائدة تخصيص المنافقين؟**

إنّ المنافق لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فلا ينفق ماله في سبيل الله ﷻ لأنّه يراه ضياعاً لا يرجو ثوابه، وأمّا المؤمن فينفق ماله طيبة بها نفسه، يرجو الثواب في الآخرة، والمنافق لا يجاهد في سبيل الله ﷻ خوفاً من أن يقتل، والمؤمن يجاهد، يرجو ثواب الآخرة".^(٢)

ب. ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾: زهوق النفس هو الخروج من الأجساد بصعوبة عند الموت، والمعنى (أن الله يريد أن يزهق أنفسهم ويخرج أرواحهم حال كفرهم؛ لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء وأرسلت به الرسل وتصميمهم على الكفر وتماديهم في الضلالة)، قال الزمخشري: والمراد الاستدراج بالنعم كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمِّلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوْا إِسْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، كأنه قيل (ويريد أن يديم عليهم نعمه إلى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة).^(٣)

(١) التفسير الوسيط ١ / ٨٧٢ - ٨٧٣.

(٢) اللباب ١٠ / ١١٧.

(٣) ينظر: فتح البيان ٥ / ٣٢٢.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• النهي عن الإعجاب:

إن الإعجاب المنهي عنه هو السرور بالشيء مع نوع الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه، وهذه الحالة تدل على استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله ﷻ، فإنه لا ليس بعيداً في حكم الله ﷻ أن يزيل ذلك الشيء عن ذلك الإنسان ويجعله لغيره، والإنسان متى كان متذكراً لهذا المعنى زال إعجابه بالشيء، وإنما كان الزجر عن الارتكان إلى الدنيا، والمنع من التهالك في حبها والافتخار بها فينبغي أن لا يشتد عجب المسلم بالدنيا، وأن لا يميل قلبه إليها، فإن المسكن الأصلي له هو الآخرة لا الدنيا. (١)

• المال والبنون فتنة:

الأموال والأولاد قد تكون سبباً للعذاب في الدنيا، أما الأموال في الدنيا فهي عذاب على المنافقين في كسبها وفي إنفاقها، فكسبها يحتاج إلى عناء شديد، ويصحبها القلق والهم، والتهديد بالضياع والخسارة، وقد تؤدي إلى قسوة القلب والطغيان، وإنفاقها يكون كرهاً لا طواعية، فيعذبون بما ينفقون، وأما الأولاد فقد يموتون في الجهاد، فيعقب موتهم الحزن والغم والندم، وقد يؤمنون فيحترق الآباء غيظاً عليهم.

وقد تكون سبباً للعذاب في الآخرة حيث يعذبون إذا اكتسبوا الأموال من حرام، وإذا آمن الأولاد وتبرموا من نفاق الآباء نجوا من العذاب الدائم. (٢)

• النفاق مرض خطير:

"إنَّ النفاق جالب لجميع الآفات في الدين والدنيا ومبطل لجميع الخيرات فيهما، وإن أفعال الكافر والمنافق إذا كانت براً كصلة الرحم وإطعام الفقير والمسكين وإغاثة المظلوم ينتفع بها في الدنيا، فترد عنه بعض المصائب، أما أن ينتفع بها في الآخرة فلا دليل عليه، وأما أفعال الكافر والمنافق القبيحة فإنها تزيد في عذابه، وبذلك يكون التفاضل بين الكفار في عذاب جهنم بحسب قبح أفعالهم" (٣)، وعلى هذا فإنَّ المنافقين يكون خطرهم على الإسلام والمسلمين أكثر من خطر الأعداء، لأنهم يعيشون بيننا أي من بني جلدتنا، ونحن لا نعرفهم، وإن تمكناً من معرفتهم وجب علينا ألا نغتر بما آتاهم الله ﷻ من مكانة ومال وقوة فمآلهم إلى النار وبئس المصير، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٦ / ٧١.

(٢) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٥٢.

(٣) التفسير الوسيط ١ / ٨٧٣.

المطلب الثالث

حاف المنافقين الأيمان الكاذبة وخوفهم الشديد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٦-٥٧].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بيّن ﷺ أن المنافقين يظهرون غير ما يبطنون، فإذا هم طلبوا الإذن خوف الفتنة كانوا كاذبين، وذكر أنهم يتمنون أن تدور الدوائر على المؤمنين قفى على ذلك بذكر غلوهم في النفاق وأنهم لا يتحرّجون أن يحلفوا الأيمان الفاجرة؛ لستر نفاقهم خوف الفضيحة، وأنهم يتمنون أن يجدوا أي الطرق للابتعاد عن المؤمنين، فيلجئوا إليها مسرعين فارين من المؤمنين.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

تُبين هذه الآيات أن هؤلاء المنافقين يحلفون بالله لكم، أيها المؤمنون كذباً وباطلاً خوفاً منكم ﴿إنهم لمنكم﴾ في الدين والملة، ويكذبهم الله ﷻ ويقول بأنهم ليسوا من أهل دينكم وملتكم، بل هم أهل شكٍ ونفاقٍ، ولكنهم قوم يخافونكم، فهم خوفاً منكم وتقية يقولون بألسنتهم ﴿إنا منكم﴾؛ ليأمنوا فيكم فلا يُقتلوا^(٢)، "ولو يجدون مهرباً أو سراديباً أو مدخلاً يدخلونه لرجعوا إليه وهم يُسرعون إسرعاً فلو أمكنهم الفرار من بين المسلمين بأيّ وجه كان لفرّوا ولا يُقيموا بينكم".^(٣)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: "أي يحلفون بالله أنهم مؤمنون كما أنتم مؤمنون، وما هم منكم؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر".^(٤)
- ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾: بمعنى يخافون القتل، فيظهرون الموافقة لهم.^(٥)

(١) ينظر: تفسير المراغي ١٠ / ١٣٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٤ / ٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) الوجيز، الواحدي ٤٦٨.

(٤) معاني القرآن وإعرايه، الزجاج ٢ / ٤٥٤.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٥ / ٣٩٠.

- ﴿لو يجدون ملجأ﴾: الملجأ هو المكان الذي يُتحصن فيه، والحرز الذين يتحرزون به كالقلعة، أو الحصن أو الجزيرة.
- ﴿أو مغارات﴾: والمغارات جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان أي: يستتر فيه، ويكون في الجبال.^(١)
- ﴿أو مُدْخَلًا﴾ وأما المدخل ففيه وجهان:
- أحدهما: أنه السرب في الأرض.
- والثاني: أنه المدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة.^(٢)
- ﴿لولوا إليه وهم يجمحون﴾: "أي يسرعون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يخالطونكم كرهاً لا محبة؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسلام وأهله لا يزالون في عز ونصر ورفعة".^(٣)

٢. البلاغة:

أ. ﴿وهم يجمحون﴾ "الجماح: هو السرعة الشديدة التي تتعسر مقاومتها أو تتعذر فإنهم؛ لشدة كرههم للقتال معكم ولمعاشرتكم؛ ولشدة رعبهم من ظهور نفاقهم لكم، يتمنون الفرار منكم، والمعيشة في مضيق من الأرض يعتصمون به من انتقامكم، بحيث لو يجدون ملجأ يلجؤون إليه، أو مغارات يغورون فيها، أو مدخلاً يندسون فيه، لولوا إليه وهم يسرعون كالفرس الجموح لا يردهم شيء، وهذا الوصف من أبلغ مبالغة القرآن في تصوير الحقائق التي لا تتجلى للفهم والعبارة بدونها، فتصور شخوصهم وهم يعدون بغير نظام، يلهثون كما تلهث الكلاب، يتسابقون إلى تلك الملاجئ من مغارات ومدخلات، فيتسلقون إليها، أو يندسون فيها فكذاك كان تصورهم عندما سمعوا الآية في وصفهم".^(٤)

ب. "من أبرع العلم أنه ذكر أولاً الأمر الأعم وهو (الملجأ) من أي نوع كان، ثم ذكر (الغيران) التي يختفي فيها في أعلى الأماكن وفي الجبال، ثم الأماكن التي يُختفي فيها في الأماكن السافلة وهي (السُروب) وهي التي عبّر عنها بالمدخل".^(٥)

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٥٤.

(٢) ينظر: النكت والعيون ٢/ ٣٧٣، وجامع البيان ١٤/ ٢٩٨.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ١٤٩.

(٤) تفسير المنار ١٠/ ٤١٩.

(٥) الدر المصون ٦/ ٦٩.

٣. القراءات:

- «مدخلًا»: "قرأ يعقوب بفتح الميم وإسكان الدال، والباقون بضم الميم وفتح الدال مشددة ﴿مُدْخَلًا﴾".^(١) "أي مكاناً يدخلونه بغاية العسر والصعوبة؛ لضيقه أو لمانع في طريقه أو قوماً يداخلونهم وإن كانوا يكرهونهم بما أرشد إليه التشديد".^(٢)
- وقرأ «مدخلًا»: من الدخول، ومُدْخَلًا: من الإدخال، أي سرياً في الأرض يدخلون فيه أنفسهم.^(٣)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• الحلف بالأيمن الكاذبة:

يكثر في زماننا وجود المنافقين الذين يحلفون بالله ﷻ كذباً على المسلمين ويدعون بأنهم مؤمنون مثلهم رغبة منهم في الفرار من قتل المؤمنين لهم كقتلهم المشركين، والمؤمن له الظاهر والله ﷻ يعلم السرائر حيث بين أنهم كافرون منافقون، وأنهم لو استطاعوا الهروب من المسلمين واللجوء إلى أماكن يحتمون فيها حتى لو كانت حقيرة لفعّلوا لذلك لا تغتروا بأيمنهم الكاذبة.

• الجبن والضعف والخوف من لوازم الكفر والنفاق:

"إنّ المنافقين لشدة كرههم للقتال معكم، ولبغض معاشرتهم إياكم، ولعظيم الخوف من ظهور نفاقهم لكم يتمنون الفرار منكم والعيش في مكان يعتصمون به من انتقامكم منهم، فلو استطاعوا السكنى في الحصون والقلاع، أو في كهوف الجبال ومغاراتها، أو في أنفاق الأرض وأسرابها لولّوا إليه مسرعين كالفرس الجموح لا يردّهم شيء.

وإنّما وصفهم الله ﷻ بتلك الأوصاف، لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ مع كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم؛ لأنهم كانوا بين عشيرتهم وفي دورهم وأموالهم، ولم يقدرُوا على ترك ذلك وفراقه، فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بإخفاء الكفر ودعوى الإيمان، وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله ﷻ ولأهل الإيمان به وبالغ الحقد عليهم".^(٤)

(١) البدر الزاهرة ١٣٧.

(٢) نظم الدرر ٨ / ٥٠٢.

(٣) ينظر: إيجاز البيان ١ / ٣٨١، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٧٥.

(٤) تفسير المراغي ١٠ / ١٣٩.

المبحث الثالث
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٥٨-٦٠)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لمز النبي ﷺ في تقسيم الصدقات.

المطلب الثاني: مصارف الصدقات.

المطلب الأول

لمز النبي ﷺ في تقسيم الصدقات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿ [التوبة: ٥٨-٥٩].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكرت الآيات حال من يتخلف عن الجهاد، وربما بذل ماله فيه افتداء لسفره شرع في ذكر من يشاركه في الإنفاق والنفاق ويخالفه فقال: «ومنهم من يلمزك» أي يعيبك في ستر وخفاء وقلة حياء في الصدقات والغنائم التي تعطيها لأتباعك، ولما أخبر عن اللمز، أخبر أنه كان لحظ نفسه لا من أجل الدين فقال: فإن أعطوا من الصدقة كانوا راضين مهللين، وإن لم يعطوا منها ملأ قلوبهم السخط الذي يتجدد في كل لحظة ولم يتخلفوا عنه أصلاً، وبدؤوا باللمز والطعن في قسمة النبي ﷺ ومثل هذا حدث في غزوة حنين، فوافقوا بذلك الأولين في جعل الدنيا أكبر همهم، وخالفوهم في أن أولئك أنفقوا ليتمتعوا بالتخلف وهؤلاء طلبوا ليتعموا بنفس المال الذي يأخذونه. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

ومنهم من يلمزك ويعيبك ويطعنك في قسمة الصدقات والغنائم، ويتردد حولك حين القسمة طامعاً إذ لا هم لهم إلا حطام الدنيا فإن أعطيتهم منها سهماً أو شيئاً يعتد به رضوا عن عملك وأثنوا عليك شكراً لإعطائك وإن لم يعطوا منها لعدم استحقاقهم وبسبب تخلفهم ونفاقهم تعجلوا بالسخط عليك إظهاراً لما في قلوبهم من الأكنة. (٢)

"ولو أن هؤلاء الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما قسم الله ورسوله لهم، وقالوا: حسبنا الله ﷻ، سيؤتينا الله ﷻ من فضله، ويعطينا رسوله ﷺ مما آتاه الله ﷻ، إنا نرغب أن يُوسع الله ﷻ علينا، فيغنيننا عن الصدقة وعن صدقات الناس لو فعلوا ذلك لكان خيراً لهم وأجدي". (٣)

(١) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٢) ينظر: الفواتح الإلهية ١ / ٣٠٨ - ٣٠٩ ، والمنتخب ٢٦٩ .

(٣) التفسير الميسر ١ / ١٩٦ .

ثالثاً: سبب النزول:

عن أَبِي سَعِيدٍ^(١): (بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَفْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اَعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اَعْدِلْ"؟ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَعْنِي اَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي فُذِّهِ^(٢) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ^(٣)، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ^(٤) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ^(٥) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيهِ^(٦) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالِدَمَ^(٧)، آيْتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ: تُدْيِيهِ مِثْلُ تُدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ الْبُضْعَةِ^(٨)، تَدْرَدَرُ^(٩)، يَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ^(١٠)). قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ ، وأشهد أن علياً، قتلهم، وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ٥٨].^(١١)

(١) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثاً توفي في المدينة. [الأعلام ٣/ ٨٧].

(٢) القذذ: جمع القذة ريش السهم. ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين البيضاوي ٣/ ٥١١، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد الكرمانى ٢٤/ ٥٣.

(٣) فلا يوجد فيه شيء: من دم الصيد أو غيره فيظن أنه لم يصبه. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس القسطلاني القتيبي ١٠/ ٨٧.

(٤) النصل: حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض. لسان العرب ١١/ ٦٦٢.

(٥) رصافه: عقب يلوي على مدخل النصل فيه. مجمع بحار الأنوار، جمال الدين الفتي الكجراتي ٢/ ٣٣١.

(٦) النضي: عود السهم بلا ملاحظة أن يكون له نصل وريش. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠/ ٨٧.

(٧) سبق الفرث والدم: أي مر سريعاً في الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشيء من فرثها ودمها لسرعتها. لسان العرب ١٠/ ١٥٢.

(٨) البضعة: القطعة من اللحم. عمدة القارئ أبو محمد الغنيابي الحنفي بدر الدين العيني ١٦/ ١٤٣.

(٩) تدردر: تضطرب وتجيء وتذهب. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ٢٤/ ٥٣.

(١٠) حين فرقة من الناس: أي زمان افتراق الناس. المرجع السابق ٢٤/ ٥٣.

(١١) ينظر: صحيح البخاري ٩/ ١٧، كتاب: استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفذ الناس عنه، حديث رقم: ٦٩٣٣، وأسباب النزول ٢٤٨ - ٢٤٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٥ - ١٨١٦.

رابعاً: التفسير التحليلي للآية:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ»: الهمزة: هو من يعيب في الآخرين عيباً خفياً ويسخر منهم خفية، ويكون ذلك بإشارة من عينه أو بأي حركة من جوارحه، ومثال هذا: حين تكون هناك مجموعة من الناس جالسين، ويحاول أحدهم النَّيل من أحد الحضور خفية، فيغمز بطرف عينه لإنسان آخر، أو يكون باللسان همساً في أذن إنسان أو بأي طريقة أخرى، المهم أن يُشار إلى العيب بطريقة خفية لا يلحظها معظم الحاضرين.

أما اللَّمَزَة: العيَّابون في غيرهم في حضورهم. فهناك القوي الذي يكشف العيوب بشجاعة وصراحة وهو اللَّماز، أما الضعيف فهو يعيب خفية وهو الهمَّاز. واللمزة تطلق على من يعيب كثيراً في الناس.

وهمزة لمزة، من صيغة المبالغة "فَعَلَّة" وتدل على كثرة فعل الشيء.

إذن: فاللَّمَزَة هي كثرة العيب في الغير، وهي تدل على ضعف من يقول بها، ولو لم يكن ضعيفاً لقال ما يريد بصراحة.

إذن: فاللمز إما أن يكون في التشريع، وإما أن يكون في كمية الصدقات أو في طريقة الصرف.^(١)

فيتضح للباحثة مما تقدم أن اللمز هو البحث عن العيب، والمراد به هنا الصدقات، حيث كان بعض المنافقين يفتنون تشريع الصدقة، وكانوا يعيرون أن يتعب الغني ويشقى في الحصول على المال ثم يأخذ الفقير المال بلا تعب.

- «فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا»: أي إن أعطوا الصدقة رضوا بالقسمة، وإن لم يعطوا منها ظلوا ساخطين فهم طامعون في أن يأخذوا بغير حق.

- «وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ»: أي لا يرضون بالقسمة التي أرادها الله ﷻ.

- «وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ»: أي أنهم لو رضوا بما رزقهم الله تعالى، وبما يعطيهم إياه رسول الله من العطية، وقالوا يكفيننا الله لكان أفضل لهم.

- «سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ»: أي سيؤتينا الله ﷻ من فضله وسوف يعطينا رسول الله ﷺ من الغنيمة إذا كان عنده سعة وفضل لو أنهم فعلوا ذلك، لكان خيراً لهم وأنفع.

(١) ينظر: تفسير الشعراوي ٩/ ٥٢١١ - ٥٢١٢.

– ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، يعني: طامعون وراجون.^(١)

٢. الإعراب:

– ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: "إذا للمفاجأة، أي (وإن لم يعطوا منها فاجئوا السخط) فلقد وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله؛ لأنه ﷺ استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه"^(٢)، و" (إِذَا) تدل على أن سخطهم أمر لا يرتبط بمنطق الأمور، فهم فاجأوا أهل الحق به، والدليل على المفاجأة (إِذَا) فهي تدل على المفاجأة، والمفاجأة تدل على أنه غير منطقي؛ لأن من يرضى بالحق عند العطاء، لا يصح أن يغضب إن منع بحق، ولكن النفس المنافقة تريد دائماً أن تحتجز الخير لنفسها، ولا تلتفت إلى حق غيرها، فأية المؤمن أن يعرف حق غيره كما يعرف حق نفسه، ومن علامة المنافق النفسية ألا يفكر في حق غيره، فكل من لا يلتفت إلى حق غيره فيه شعبة من نفاق."^(٣)

﴿ولو أنهم رضوا﴾: "جواب (لو) محذوف تقديره (ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم) والمعنى (ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله ﷻ في أن يغنمنا ويخولنا فضله الراغبون".^(٤)

٣. البلاغة:

أ. ﴿الصدقات﴾: "هنا كناية عن الزكاة".^(٥)

ب. ﴿فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾: هنا طباق بين الرضا بقسمة النبي حين يزيدهم في العطاء، والسخط منه إن لم يعطهم شيئاً من الصدقة.^(٦)

٤. القراءات:

قال تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾: ﴿مَنْ يَلْمُزُكَ﴾ قرأ العامة ﴿يلمزك﴾ بكسر الميم مِنْ لَمْزَهُ يَلْمُزُهُ، أي: عابه، وأصله الإشارة بالعين ونحوها، وورد عن ابن كثير أنه قرأ ﴿يلمزك﴾ بضم الميم والباقون بالكسر، وهما لغتان ومعناها واحد. أي: (من المنافقين من يطعنك ويعيبك في

(١) ينظر: بحر العلوم ٢ / ٦٦ - ٦٧.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي ١ / ٦٨٧ - ٦٨٨.

(٣) زهرة التفاسير ٦ / ٣٣٤٠.

(٤) مدارك التنزيل ١ / ٦٨٧ - ٦٨٨.

(٥) التفسير الحديث ٩ / ٤٥٧.

(٦) ينظر: التفسير المنير ١ / ٢٥٣.

قسمة الصدقات)، وهذا نوع آخر من طباعهم وأفعالهم، فإن أعطيتهم ما يرغبون رضوا وإن لم تعطهم عابوا عليك وطعنوا فيك. (١)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• استحباب الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره:

إن الرضا بقضاء الله ﷻ وقدره من أرفع مقامات الصالحين، وهو متعلق بالإيمان بالله ﷻ بل هو أساس إيمان العبد وتعظيمه لمولاه، وهو علامة على صدق إيمان العبد وإحسان ظنه بربه، ولقد أمرنا الله ﷻ بطاعة نبيه ﷺ لأن طاعته من طاعة الله ﷻ حيث قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] وقال أيضاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ٧]، وذلك لأنه مبلغ من ربه قال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، فلا يكتمل إيمان العبد إلا إذا رضي بقضائه ﷻ، لأن قضاءه هو قضاء الله ﷻ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، أي وجوب التسليم لله ﷻ في قسمته بعدم محاولة الخروج عنها.

(١) ينظر: الدر المصون ٦/ ٧١، واللباب ١٠/ ١١٩، وبحر العلوم ٢/ ٦٦.

المطلب الثاني

مصارف الصدقات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"حين عرضت الآيات الكريمة لهذا الخلق من أخلاق المنافقين وهو الطعن في القادة والتشكيك في نزاهتهم، وانتهاز فرصة تقسيم الأموال؛ لأن ذلك عند الناس هو نطفة الخيانة والطمع، وخصوصاً إذا لم ينالوا من هذه الأعطيات ما يرضى مطامعهم، ناسب بعد ذلك أن تقرر أحكام الصدقات وبيان مصارفها حتى يكون في هذا التقرير قطع أسنتهم، وتسجيل براءة من يتهمونهم بالباطل، فجاءت هذه الآية الكريمة تقرر مصارف الصدقات".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"لا تُصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يجدون ما يكفيهم، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم، والذين يجمعونها ويعملون فيها، والذين تؤلف قلوبهم، لأنهم يرجى منهم الإسلام والانتفاع بهم في خدمته ونصرته، والذين يدعون إلى الإسلام ويبشرون به، وفي عتق رقاب الأرقاء والأسرى من ريقة العبودية وذل الأسر، وفي قضاء الديون عن المدنيين العاجزين عن الأداء، إذا لم تكن ناشئة عن إثم أو ظلم أو سفه، وفي إمداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد في سبيل الله ﷻ، وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر، وفي عون المسافرين إذا انقطعت أسباب اتصالهم بأموالهم وأهلهم شرع الله ﷻ ذلك فريضة منه لمصلحة عبادته، والله ﷻ عليم بمصالح خلقه، حكيم فيما يشرع".^(٢)

ثالثاً: سبب النزول

"أخرج ابن أبي حاتم في إسناده عن جابر قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وهو يقسم فسأله فأعرض عنه فجعل يقسم، فقال بعض رعاة الشاة: والله ما عدلت، قال: ويحك، من يعدل إذا لم أعدل؟ فأنزل الله تعالى الآية".^(٣)

(١) نظرات في كتاب الله ١ / ٣١٨.

(٢) المنتخب ٢٦٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦ / ١٨١٧، أخرجه الطبراني في الأوسط ٩ / ٣٤، حديث رقم: ٩٠٦٠.

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «إنما الصدقات» الصدقة: هي الزكاة الواجبة على النقد والأنعام والزرع والتجارة^(١).
- «العاملين عليها»: هم سقاتها وجباتها الذين يتولون قبضها من أهلها ووضعها في حقها ويعملون عليها يعطون ذلك بالسعاية، أغنياء كانوا أو فقراء^(٢)، "وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها"^(٣).
- «المؤلفة قلوبهم»: هم أشرف من العرب كان رسول الله ﷺ يتألف قلوبهم حتى يسلموا وكانوا يأتون رسول الله ﷺ يرضخ لهم من الصدقات، فإذا أعطاهم من الصدقة فأصابوا منها خيراً قالوا: هذا دين صالح، فإن كان غير ذلك عابوه وتركوه^(٤).
- «وفي الرقاب»: أي وفي فك المكاتبين، بأن يعاون المكاتب بشيء من الزكاة على أداء الأقساط (النجوم) أو بأن يبتاع الرقاب فتعتق، أو بأن يفدى الأسارى.
- «والغارمين» المديونين إن استدانوا لأنفسهم في غير معصية ولا إسراف ولم يكن لهم وفاء للديون، أو استدانوا لإصلاح ذات البين ولو أغنياء^(٥).
- «وابن السبيل»: المسافر المنقطع عن ماله^(٦).
- «وفي سبيل الله»: فيهم الغزاة والمرابطون والمجاهدون^(٧).

٢. الإعراب:

- «فريضة»: في نصبها وجهان:

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٤٢، وتيسير الكريم الرحمن ٣٤١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٥ / ٥٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٣٤١.

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٥ / ٥٨ - ٥٩.

(٥) التفسير المنير ١٠ / ٢٥٩.

(٦) مدارك التنزيل ١ / ٦٨٨ - ٦٨٩.

(٧) الوجيز ٤٦٩.

أحدهما: أنها مصدر على المعنى؛ لأن معنى إنما الصدقات للفقراء في قوة: فرض الله ذلك. والثاني: أنها حالٌ من الفقراء، يَعْنِيَان من الضمير المستكنّ في الجار لوقوعه خبراً، أي: (إنما الصدقاتُ كانت لهم حال كونها فريضةً)، أي: مفروضة، ويجوز أن تكون «فريضة» حينئذٍ بمعنى مفعولة، وإنما دخلت التاء؛ لجريانها مجرى الأسماء كالتنطيجة، ويجوز أن يكون مصدرًا واقعًا موقع الحال.

وَنُقَلَّ عن سيبويه أن «فريضة» منصوبٌ بفعلها مقدرًا، أي: (فرض الله ذلك فريضة)، ونُقَلَّ عن الفراء أنها منصوبة على القطع".^(١)

٣. البلاغة:

أ. «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ» قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم. فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها^(٢)، "وقدم (الفقراء) هاهنا؛ لأنهم أحوج من البقية على المشهور؛ لشدة فافتهم وحاجتهم، وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير".^(٣)

ب. «وابن السبيل»: لقد عدل عن اللام إلى الأربعة الأخيرة؛ للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأنه في اللوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيها الصدقات عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن في اللوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع ويجعلوا مظنة لها، وتكرير في قوله «في سبيل الله» و«ابن السبيل» فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين^(٤)، "وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين؛ ليدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً لأطماعهم، وإشعاراً بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن الله تعالى أعز الإسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولاً لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى".^(٥)

(١) الدر المصون ٦ / ٧٢.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل ١ / ٦٨٨، والموسوعة القرآنية ١ / ٢٥، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٣٤٠-٣٤١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ١٦٥.

(٤) ينظر: الدر المصون ٦ / ٧٢، ومدارك التنزيل ١ / ٦٨٨-٦٨٩.

(٥) مدارك التنزيل ١ / ٦٨٨-٦٨٩.

ج. ﴿والله عليم حكيم﴾: "كلاهما بصيغة فعيل التي هي للمبالغة، أي واسع العلم، عالي الحكمة يضع الأشياء في مواضعها".^(١)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• بيان مصارف الزكاة:

بيّن الله ﷻ مصارف الصدقات فقال إنما الصدقات والزكوات تُصرف للفقراء وهم الذين لا مال لهم ولا مكسب من الحرف وغيرها كأنه يكسر فقار ظهرهم الفاقة والافتقار، والمساكين وهم الذين لهم مكسب وصنعة لكن لا تفي لعيالهم كأن احتياجهم قد أسكنهم في زاوية المسكنة والهوان، والعاملين عليها أي الساعين لتحصيلها وجمعها وإيصالها إلى مصارفها، والمؤلفة قلوبهم وهم الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام فهؤلاء يجب على المسلمين مؤانستهم ومواساتهم؛ ليثبتوا على الإيمان ويترسخوا في جادة الإسلام وتُصرف منها أيضاً على من في الرقاب أي من أجل تحريرها وهو من أهم مهمات الإسلام، والغارمين الذين استغرق أموالهم في ديونهم ولم تف لأدائها تُصرف إليهم منها ليؤدوها وأيضاً تُصرف منها سهم في سبيل الله ﷻ؛ لتجهيز جيوش أهل الجهاد وتهيئة أسبابهم وعددهم إذ هي من أهم مهمات الدين، وابن السبيل وهو الذي انقطع وبعد عن الأهل والمال لمصلحة شرعية وبالجملة إنما جرى هذه القسمة لهؤلاء المستحقين فريضة صادرة من الله ﷻ مقدره من عنده ليحافظ المؤمنون عليها والله ﷻ المدبر لأمر عباده عليم بمصارف الصدقات حكيم في صرفها إياهم تقوية لهم وامداداً.^(٢)

• إثبات صفات الكمال لله تعالى:

"من صفاته العلم والحكمة، ومتى كان الله ﷻ عليمًا بخلقه وحاجاتهم حكيمًا في تصرفه وشرعه وجب التسليم لأمره والخضوع له بالطاعة والانقياد".^(٣)

• الحكمة في وجوب الزكاة:

١. إنّ الزكاة تُوجب حصول الألفة بالموَدَّة، وزوال الحقد والحسد بين المسلمين.
٢. إنّ الفاضل عن الحاجات الأصلية إذا أمسكه الإنسان عطّله عن المقصود الذي لأجله خلق

(١) التفسير المنير ١٠ / ٢٥٨.

(٢) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣٠٩.

(٣) أيسر التفاسير ٢ / ٣٨٦.

المال، وذلك سعي في المنع من ظهور حكمة الله ﷻ، وهو غير جائز، فأمر الله ﷻ بصرف طائفة منه إلى الفقير حتى لا تتعطل تلك الحكمة.

٣. إنَّ الأغنياء لو لم يقوموا بمهمات الفقراء ربّما حملهم شدة الحاجة ومضرة المسكنة على الالتحاق بأعداء المسلمين، أو على الإقدام على الأفعال المنكرة كالسرقة وغيرها؛ فإيجاب الزكاة يفيد هذه الفائدة؛ فوجب القول بوجوبها وقيل غير ذلك.

٤. إنَّ المال بالكلية في يد الغني مع أنَّه غير محتاج إليه، وإهمال جانب الفقير العاجز عن الكسب بالكلية، لا يليق بحكمة الرحيم؛ فوجب على الغني صرف طائفة من ذلك المال إلى الفقير. (١)

٥. إنَّ نظام الزكاة يمنع الحقد من الفقراء على الأغنياء وبالتالي يمنع وجود حرب طبقية بين أبناء المجتمع؛ لأنه يحقق نظام التكافل الاجتماعي ويأخذ بيد الفقراء ليصعد بهم حتى يكونوا في مستوى الأغنياء في المجتمع.

(١) ينظر: الباب ١٠ / ١٢١ - ١٢٢.

الفصل الثالث
التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد
الربع الثالث من الحزب العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٦١-٦٦).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٦٧-٧٠).

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٧١-٧٤).

المبحث الأول

المقاصد والأهداف من سورة التوبة

الآيات (٦١-٦٦)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: مصير المحاربين لله ﷻ والرسول ﷺ.

المطلب الثالث: تخوف المنافقين عند نزول القرآن فاضحاً لهم.

المطلب الرابع: استهزاء المنافقين بالله ورسوله.

المطلب الأول

إيذاء المنافقين للنبي ﷺ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن ذكر ﷺ أن من دلائل نفاقهم الطعن في أفعاله ﷺ كإيذاء الذين لمزوه في قسمة الصدقات قفى على ذلك بذكر من طعن في أخلاقه ﷺ وشمائله الكريمة بقولهم "إن محمداً أذن نحلف له فيصدقنا"^(١).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

إن بعض المنافقين كانوا يؤذون النبي ويسئون الأدب معه ﷺ ويقولون في حقه افتراء واستهانة أنه أذن أي يسمع منهم ويجرى على ما سمع بلا تفتيش وتدبر، فقل لهم أيها النبي أنك أذن خير لا أذن شر وفتنة بل أذن خير لكم أن صدر عنكم ما يتعلق بأمر دينكم موافقاً لما أمر الله به هو أيضاً يقبله منكم لأنه ﷺ يقر ويصدق بوحداية الله ﷻ ويؤمن أيضاً للمؤمنين المخلصين فيما أتوا به من الأعمال والأقوال الصادرة عن محض الإخلاص والطواعية وكيف لا يكون الرسول ﷺ أذن خير إذ هو كله رحمة أي شفقة وعطف للذين آمنوا منكم وأخلصوا في إيمانهم، وبالجملة الذين يؤذون رسول الله ﷺ بأي وجه كان لهم عذاب أليم في النشأة الأخرى جزاء لما أتوا به من إيذاء رسوله ﷺ في النشأة الأولى^(٢).

ثالثاً: سبب النزول:

١. "نزلت في رجل كان من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث"^(٣)، وكان رجلاً مشوه الخلق، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ "من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث"، وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن، من حدثه شيئاً صدقه. نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا.^(٤)

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٤٦.

(٢) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣٠٩.

(٣) نبتل بن الحارث: بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي. [الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ٣٢٩].

(٤) أسباب النزول ٢٤٩، أخرجه أحمد ٤ / ٤٨، حديث رقم: ٢١٤٧ بلفظ: "يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان" حسن إسناده الأرنؤوط.

٢. وقال السدي^(١): اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت^(٢)، ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ وعندهم غلام من الأنصار يدعى: عامر بن قيس^(٣) فحقوقه، فتكلموا وقالوا: والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وإنكم لشر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامراً كاذب وحلف عامر أنهم كذبة، وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب، فنزلت فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ ونزل قوله: ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ ﴾^(٤).

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿ يؤذون النبي ﴾: "لم يبين بما كانوا يؤذونه، فيحتمل أمرين:
 ١. أنهم يؤذون النبي ﷺ بتكذيبهم إياه، وتركهم الإجابة له والطاعة فيما يدعوهم إليه.
 ٢. أنهم يؤذونه بكلمات يسمعونها إياها، وطعن يطعنونه، ويعيبون عليه ويقولون هُوَ أَذُنٌ.
- ﴿ ويقولون هُوَ أَذُنٌ ﴾ الأذن: هو الذي يقبل العذر ممن اعتذر إليه، ويسمع من كل أحد يعتذر إليه ويقبل، وكذلك كان ﷺ يقبل العذر ممن اعتذر إليه ويسمع منه سواء كان له عذر أو لا عذر له؛ لكرمه وشرفه، وحسن خلقه، فظن أولئك لما رأوه أنه كان يعاملهم معاملة أهل الكرم والشرف والمجد أنه إنما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة قلبه، وصغر همته، وقصور يده، وهم كانوا أهل كبر وأنفة، قالوا: هو أذن، نقول ما شئنا ثم نتخلف ونعتذر إليه فيصدقنا، ويقبل عذرنا"^(٥).
- ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾: "أي يصدق المؤمنين الصادقي الإيمان لما علم فيهم من علامات الإيمان الذي يوجب عليهم الصدق، وفي هذا إيماء إلى أنه لا يؤمن لهؤلاء المنافقين إيمان

(١) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه بعض العلماء: أنه صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. [الأعلام ١/ ٣١٧].

(٢) الجلاس بن سويد: بن الصامت بن خالد بن عطية بن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم من بني عمرو بن عوف، له صحبة، وله ذكر في المغازي. [أسد الغابة ١/ ٥٤٨].

(٣) عامر بن قيس: الأنصاري، ابن عم الجلاس بن سويد، ذكره موسى بن عقبة في "المغازي". [الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٨٣].

(٤) أسباب النزول ٢٥٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٨٢٨، حديث رقم: ١٠٠٤١.

(٥) تأويلات أهل السنة ٥/ ٤١١.

تسليم ولا يصدقهم في أخبارهم وإن وكّدوها بالإيمان اغتراراً بلطفه وأدبه ﷺ، إذ كان لا يواجه أحداً بما يكره، وبمعاملته إياهم كما يعامل أمثالهم من عامة أصحابه.

- ﴿قُلْ أُنُّ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي إنه أذن ولكنه نعم الأذن؛ لأنه أذن خير لا كما تزعمون، فهو لا يقبل مما يسمعه إلا ما يعتقد أنه الحق وما فيه المصلحة للخلق، وليس بأذن في سماع الباطل كالكذب والنميمة والجدل والمرء، وإذا سمعه من غير أن يستمع إليه لا يقبله ولا يصدق ما لا يجوز تصديقه كما هو شأن الملوك والزعماء الذين يتقرب إليهم أهل الأهواء بالسعاية لإبعاد الناصحين المخلصين عنهم، وحملهم على إيذاء من يبتغون إيذاءه^(١).

٣. البلاغة:

١. «هو أذن»: كناية عن وصف رسول الله ﷺ بأنه يصغي ويسمع لكل ما يقال له ويصدق، وهو من تسمية الشخص باسم الجارحة للمبالغة في وصفه بوظيفتها، وهو كثرة السمع لما يقال وتصديقه كأنه كله أذن سامعة، كقولهم للجاسوس عين، ويطلق على لازمه وهو عدم الدقة في التمييز بين ما يسمع، وتصديق ما يعقل وما لا يعقل، فيراد به الذم بالغرارة وسرعة الانخداع، وهو من أكبر عيوب الملوك والرؤساء لما يترتب عليه من قبول الغش بالكذب والنميمة وتقريب المنافقين، وإبعاد الناصحين^(٢).

٢. «ويؤمن للمؤمنين»: "خص المؤمنين وإن كان رحمة للعالمين؛ لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول ﷺ لم يحصل لغيرهم، وخصوا هنا بالذكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيبتهم، وهذه الأوصاف الثلاثة مبينة جهة الخيرية"^(٣).

٣. «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: "هنا تذييل قصد به تهديد المنافقين، وزجرهم عن التعرض لرسول الله ﷺ بأية إساءة"^(٤).

٤. القراءات:

- قرأ نافع ﴿أُنُّ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ بإسكان الذال، حيث وقع على التخفيف لاجتماع ضمتين لازمتين، والمعنى: قل من يستمع منكم ويكون قابلاً للعذر خيرٌ لكم، وقرأ الباقر بالضم على الأصل، وذلك لقلّة حروف الكلمة^(٥)، والمعنى: فإن من يسمع منكم ويكون قريباً منكم قابلاً للعذر خيرٌ لكم"^(٦).

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٤٦ - ١٤٨.

(٢) ينظر: التفسير الحديث ٩ / ٤٨٥، وتفسير المنار ١٠ / ٤٤٦.

(٣) البحر المحيط ٥ / ٤٤٩.

(٤) التفسير الوسيط، طنطاوي ٦ / ٣٣٥.

(٥) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٥٠٣، وتفسير القرآن العزيز ٢ / ٢١٤.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٥٧.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• إيذاء الرسول ﷺ من أكبر الذنوب:

"إيذاء الرسول ﷺ كفر إذا كان فيما يتعلق برسالته؛ لأن ذلك ينافي الإيمان، وأما إيذاؤه ﷺ في شئونه البشرية والعادات الدنيوية فحرام لا كفر كإيذاء الذين كانوا يطيلون المكث في بيوته لدى نسائه بعد الطعام وفيهم نزل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئُ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وإيذاء الذين كانوا يرفعون أصواتهم في ندائه ويسمونه باسمه كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

وإيذاؤه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كإيذاؤه في حال حياته كالخوض في أبويه وآل بيته بما يعلم أنه يؤذيه لو كان حياً، فالإيمان به ﷺ مانع من تصدى المؤمن لما يعلم أو يظن أنه يؤذيه ﷺ إيذاءً ما، فهذا الذنب من أكبر الذنوب ومعصية من أعظم المعاصي".^(١)

إن الذين طعنوا في كمال رسول الله ﷺ فقالوا عنه أنه ليس نبياً في قمة البشر، بل هو بشر يرتكب الأخطاء وتحدثوا في زوجاته إنما يقلدون في كلامهم الغرب، فهؤلاء الذين يروجون افتراءات الغرب هم يؤذون الله ﷻ ورسوله ﷺ، لأن الإيمان برسول الله ﷺ، والإيمان بعصمته في الأقوال والأفعال والإقرار جزء من الإيمان بالله ﷻ، فالذين يخالفون أوامر الله ﷻ يؤذون الله ﷻ ورسوله ﷺ، والذين يرتكبون زواجره، ويصرون على معاصيهم وآثامهم يؤذون الله ورسوله. ويجب علينا أن نعلم جيداً أن كل من يؤذي رسول الله ﷻ يلغنه الله ﷻ في الدنيا والآخرة وله أشد العذاب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِمًّا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

• ثناء رباني بليغ على أخلاق النبي ﷺ :

"هذه الآية انطوت على ثناء رباني بليغ على أخلاق النبي ﷺ وما تحلّى به من صفات كريمة محببة حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وجاء الردّ بسبب ذلك قوياً محكماً في الوقت نفسه فالنبي أن خير لهم، وليس ظنان سوء بالمؤمنين المخلصين، وإنه ليراهم خليقين بالاعتماد والثقة والتصديق، ولا سيما أنه يؤمن بالله ﷻ ويجعل اعتماده عليه، ولا يبالي ما وراء

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٤٨.

ذلك، وقد صار بهذا رحمة للمؤمنين؛ لأن إساءة الظن وكثرة الشك بدون موجب وخاصة في المخلصين من مفسدات الأمور ومعقدات النفوس".^(١)

وإن من أعظم مدح الله ﷻ للرسول ﷺ دفاعه عنه، وتصديه لأعدائه والمفترين عليه، وذلك بتكذيبهم وتسفيهمهم، ثم بيان فضائله وشمائله ومكانته ﷺ، وهذا كثير لا حصر له في القرآن الكريم، فما يكاد يطلق أعداؤه إشاعة أو إتهاماً حتى يقف القرآن الكريم بالمرصاد مفنداً ومكذباً لهم من جهة، ومادحاً ومثنيّاً على محمد رسول الله ﷺ، ومقسماً على جميل خصاله وعظيم شأنه من جهة أخرى، فإن مدح رسول الله ﷺ في القرآن الكريم والثناء عليه وتعداد محاسنه وإعلاء مقامه ورفع شأنه والدفاع عنه وتصديق قوله وتحسين شريعته وذب أعدائه وتسفيه آرائهم وانقاص قدرهم منهج قرآني واضح، وسبيل رباني صريح.

(١) التفسير الحديث ٩/ ٤٨٦.

المطلب الثاني

مصير المحاربين لله ﷺ والرسول ﷺ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ٦٢-٦٣].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

هذا نوع آخر من قبائح المنافقين وهو إقدامهم على اليمين الكاذبة إرضاء للمؤمنين، ومشاققة الله ﷺ ورسوله ﷺ ومخالفة أمرهما. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

لقد كان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد، ثم يأتون المسلمين فيعذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم، فقبل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فالله ﷺ ورسوله ﷺ أحق بالطاعة والوفاق^(٢)، ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله ﷺ كذباً ليرضوا المؤمنين، وهم مقيمون على النفاق، أنه من يحارب الله ﷺ ورسوله ﷺ، ويخالفهما فإن له نار جهنم في الآخرة خالداً فيها ومقيماً إلى غير نهاية وأن ذلك هو الهوان والذل العظيم. (٣)

ثالثاً: سبب النزول:

- "روى المفسرون عن قتادة أن جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت وقعوا في النبي ﷺ وقالوا إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فغضب الغلام وقال والله إن ما يقوله محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى رسول الله فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا له أن عامراً كاذب وحلف عامر أنهم هم الكاذبون، وصدقهم النبي فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله ﷺ الآيتين. (٤)

(١) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٨٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٢ / ٢٨٥، ومحاسن التأويل ٥ / ٤٤٦.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٤ / ٣٣٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه بنحوه ١٠ / ٤٥، حديث رقم: ١٨٣٠٣، التفسير الحديث ٩ / ٤٨٧.

- وهناك رواية أخرى عن مقاتل يرويها المفسرون أيضاً تذكر أن الآيتين نزلتا في رهط من المنافقين تخلّفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله أتوه يعتذرون ويحلفون فأنزلهما الله".^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله»: " قيل: المحاربة، وقيل: المعاندة، وقيل: المعادة، وقيل: مجاوزة الحد في المخالفة، والمحاددة مأخوذة من الحديد، حديد السلاح، والمحاددة هنا، قال ابن عباس "إنها بمعنى المخالفة"^(٢)، " أي ألم يعلم من يشاقق الله ورسوله، وبعاديهما فإن له جزاء عدائه ومحاربتة نار جهنم خالداً فيها ".^(٣)
- «ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ»: " الخزي يحتمل وجهين:
- أ. الفضيحة العظيمة في الدنيا.

ب. الخزي العظيم في الآخرة حيث إن نار جهنم خزي عظيم ".^(٤)

٢. البلاغة:

وحدّ الضمير في (يرضوه) لعدة أمور:

- أ- إما لأنه لا تفاوت بين رضا الله ﷻ ورضا رسوله ﷺ ، فإنّ رضا الرسول ﷺ مستلزم لإرضاء الله ﷻ، فكانا في حكم مرضى واحد.
- ب- أو لأن الكلام إنما هو في إيذاء الرسول ﷺ وإرضائه، فنذكر الله ﷻ تعظيماً لجانب الرسول ﷺ.
- ت- أو لأن التقدير: والله ﷻ أحق أن يرضوه، ورسوله ﷺ كذلك فهما جملتان.^(٥)
- «فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ»: "وهذا وعيد لكل من يعادي الله ورسوله، وإنما سميت النار جهنم من قول العرب بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر، فسميت نار الآخرة جهنم؛ لبعدها".^(٦)
- «ذَلِكَ الْخِزْيُ»: "الإشارة بالبعيد (ذلك) عن القريب (الخزي) فالخزي قريب منهم؛ للإشعار ببعده درجته في الهول والشناعة".^(٧)

(١) التفسير الحديث ٩ / ٤٨٧.

(٢) البحر المحيط ٥ / ٤٥١.

(٣) أيسر التفاسير ٢ / ٣٨٨.

(٤) تأويلات أهل السنة ٥ / ٤١٩.

(٥) ينظر: الكشاف ٢ / ٢٨٥، والبحر المديد ٢ / ٣٩٩.

(٦) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣١٠.

(٧) التفسير المنير ١٠ / ٢٨٦.

٣. القراءات:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: قرأ الجمهور "يَعْلَمُوا" بياء الغيبة رداً على المنافقين، وقرأ الحسن والأعرج: "تَعْلَمُوا" بباء الخطاب فليل: هو التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب، لزيادة التقرُّع والتوبيخ أي: (ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله ﷺ من فنون القوارع والإنذارات أنه من يخالف الله ﷻ ورسوله ﷺ فإن له نار جهنم خالداً فيها)، وقيل الخطابُ للنبي عليه السلام، وأتى بصيغة الجمع تعظيماً. (١)

٤. الإعراب:

- "المصدر ﴿أن يرضوه﴾: منصوب على نزع الخافض الباء، وأفرد الضمير في ﴿يرضوه﴾ ، والأصل المطابقة؛ لأن التقدير: وأمرُ الله ورسوله أحقُّ أن يرضوه، فإرضاء رسول الله ﷺ إرضاء لله ﷻ ، وكلُّ منهما يستلزم الآخر.
- ﴿إن كانوا مؤمنين﴾: جملة مستأنفة لا محلَّ لها، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله. (٢)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• تحريم اليمين الغموس وشهادة الزور:

تعتبر اليمين الغموس من الكبائر التي تحتاج الى توبة، ولقد سُميت اليمين الغموس بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم والعصيان لله ﷻ ثم تغمسه في النار فهي من أسباب دخول النار. وشهادة الزور من أعظم الذنوب عند الله ﷻ ، ويدل على ذلك حديث عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه ؓ، قال: قال النبي ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً فقال - ألا وقول الزور"، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (٣)، أي: لما ظهر من علامات الغضب على رسول الله ﷺ.

إنَّ شهادة الزور ظلم عظيم تؤدي إلى أن تنتقل الأموال إلى غير أهلها بسبب هذه الشهادة الحرام الكاذبة، فشهود الزور هم الذين يذهبون إلى المحاكم وأمام القضاء وفي غير هذه الأمور ولا يدلون بالشهادة على حقيقتها، بل يقبلونها ضد صاحبها فقد كانت جريمتهم من جهتين إحداهما نزع الحق من صاحبه الحقيقي، وثانيهما إثباته لغير صاحبه، لذا فهؤلاء يقترفون أكبر الكبائر، فعليهم أن يبادروا بالتوبة فالله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

(١) ينظر: الدر المصون ٦ / ٧٦، ومحاسن التأويل ٥ / ٤٤٧.

(٢) المجتبى ٢ / ٤٠١.

(٣) صحيح البخاري ٣ / ١٧٢، كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، حديث رقم: ٢٦٥٤.

وكذلك لا يشهدون المجالس التي فيها الكلام المحرم، فكم من مجالس المسلمين اليوم يوجد فيها من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، بل والطعن في الدين، والضحك والسخرية بأبناء الإسلام وبالصالحين يوجد فيها من ذلك الشيء الكثير، وتجد كثيراً من هذه المجالس تُعمر بهذه الأمور، ويسخرون من المؤمنين ويضحكون، وهذا من أعظم الزور.

والأيمان الكاذبة لا تنفع فيها الكفارة إنما الواجب فيها التوبة إلى الله ﷻ؛ ومما يدل على أن اليمين الغموس لا كفارة فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

فذكر الله ﷻ الوعيد على اليمين الغموس ولم يذكر الكفارة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كنا نعد من الذنب الذي لا كفارة له اليمين الغموس، فالواجب على الذي يحلف بالله ﷻ كذباً التوبة إلى الله ﷻ وعدم العود.

• وعيد من يحادد الله ورسوله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَكَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

نلمس في واقعنا العربي ما نراه من تشبث الحكام بالكراسي وتقانيهم في حراسته وحمايته من تعطيل لأحكام الله ﷻ وشرايعه وعدم الالتزام بها، وعدها سبباً في التخلف والرجعية، ولم يقتصر الأمر على هذا التعطيل بل تخطاه لابتداع أحكام وقوانين جديدة مخالفة لشرعه ﷻ ولكنها مرسومة ومننقاة لحفظ الكرسي وبقاء المنصب، ومثال على ذلك منع المساجد والتضييق على الأئمة والخطباء وحظر الدعوة للجهاد، ولنا فيما حدث في بعض البلدان العربية الدليل الدامغ على ظلم الحكام وجرأتهم على دين الله ﷻ من ملاحقة للمشايخ والعلماء والدعاة، واعتقالهم، واطلاق العنان لفتواتهم وإعلاميهم للنيل من الحجاب والدين بدعوى الحرية، وفي المقابل منح الترخيص للحنانات والمنتجعات السياحية التي هي يؤر الفساد والانحلال.

ومن تعطيل أحكام الله ﷻ أيضاً السماح لمن يتجرأ على الله ﷻ والرسول ﷺ بسب وشتم، ونقض أحكام الدين الثابتة مثل الحجاب والزواج بدعوى حرية التعبير عن الرأي، لكن لو تفوه هذا اللسان بكلام يمس الحاكم وينتقد سياسته فالويل له والسجن والملاحقة.

ومما يدمي القلب ويفطر الفؤاد ما نراه من تخاذل الحكام وأولي الأمر عن نصرته الشعوب المذبوحة الكليمة المستباح دمها ليل نهار، وتعطيل فرض الجهاد وملاحقة كل من يتنامى في تعطيل هذا الشعور بالرغبة في نصرتهم ورفع الظلم عنهم، بل على العكس يحمون أي أجنبي دخيل، تراهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها لو حدث اعتداء على ما تسمى بإسرائيل أو أي دولة باغية ويحالفونها ويُسخَّرون مقدرات بلدانهم للحرب على ما يسمونه بالإرهاب ويقصدون به الإسلام، أليست هذه صور للعداء للإسلام ومشاقة لله ﷻ ورسوله ﷺ؟!.

المطلب الثالث

تخوف المنافقين عند نزول القرآن فاضحاً لهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا بِكُمُ اللَّهُ مَخْرُجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷻ بعض قبائح المنافقين ومنها إقدامهم على اليمين الكاذبة، ومعاداة الله ﷻ ورسوله ﷺ، أتبع ذلك بالحديث عن تخوفهم من نزول القرآن فاضحاً لهم، واستهزائهم بآيات الله ﷻ، وشرح أحوال المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأن الله ﷻ سيبين للمؤمنين حقيقة ما يخفون في صدورهم. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

تُبين هذه الآية أنَّ المنافقين يخافون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، فقل لهم أيها النبي استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله ﷻ مخرج حقيقة ما تحذرون". (٢)

ثالثاً: سبب النزول:

وردت ثلاثة أقوال في سبب نزول هذه الآية:

"الأول: أن المنافقين كانوا يعيبون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرّاً فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.

الثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أنني جُددت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي.

الثالث: أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل عليه السلام، ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان". (٣)

(١) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٨٨.

(٢) التفسير الميسر ١ / ١٩٧.

(٣) زاد المسير ٢ / ٢٧٤.

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «يحذر المنافقون» فيه قولان:
 - أحدهما: أنه خبر بمعنى الأمر، ومعناه: ليحذر المنافقون.
 - والآخر: أنه بمعنى الإخبار عنهم؛ إذ كانوا يستهزئون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم^(١).
- «أن تنزل عليهم سورة»: «والسورة هي طائفة معينة من آيات القرآن ذات مبدأ ونهاية»^(٢)، ويعني بالسورة هنا سورة براءة التي باتت تتبئهم بما في قلوبهم من النفاق، وكانت سورة البراءة تسمى الفاضحة^(٣).
- «تتبئهم»: «التنبئة بمعنى الإخبار والإعلام، وهي مصدر نبأ بمعنى الخبر، وتقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].
- «إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ» فيه وجهان:
 - أحدهما: مظهر ما تُسِرُّون.
 - والثاني: ناصر مَنْ تَحْذَرُونَ^(٤).

٢. البلاغة:

- «إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ»: «الإخراج مستعمل في الإظهار مجازاً، والمعنى: (أن الله مظهر ما في قلوبكم بإنزال السور): مثل سورة المنافقين، وهذه السورة سورة براءة، حتى سميت الفاضحة؛ لما فيها من تعداد أحوالهم بقوله تعالى: «ومنهم»، «ومنهم»، «ومنهم»^(٥).
- «تم هنا العدول إلى التعبير بالموصول في قوله: «ما تحذرون» دون أن يقال: إن الله مخرج سورة تتبئكم بما في قلوبكم؛ لأن الأهم من تهديدكم هو إظهار سرائرهم لا إنزال السورة، فذكر الصلة وافٍ بالأمرين: إظهار سرائرهم، وكونه في سورة تنزل، وهو أنكى لهم، ففيه إيجاز بدیع كقوله تعالى

(١) تفسير السمعاني ٢/ ٣٢٣.

(٢) التحرير والتتوير ١٠/ ٢٤٩.

(٣) ينظر: بحر العلوم ٢/ ٧٠.

(٤) زاد المسير ٢/ ٢٧٤.

(٥) التحرير والتتوير ١٠/ ٢٤٩.

في سورة مريم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٨٠] بعد قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] أي نرثه ماله وولده". (١)

٣. الإعراب:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنزِّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: "جملة مستأنفة مسوقة؛ لبيان ما يضطرم في صدور المنافقين من حسد وعداوة للمؤمنين فهم يخشون أن تنزل عليهم سورة تخبرهم بما تتطوي عليه نفوسهم". (٢)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• وجود المنافقين عبر الزمان:

المنافقون موجودون في كل زمان ومكان، ويكثر عددهم، ويزداد ظهورهم عندما تظهر قوة الإسلام، ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فيظهرون الدخول فيه، لأجل مقاومته والكيد له في الباطن، وتمزيق وحدة أهله، فهم يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر ليعيشوا مع المسلمين، ويأمنوا على دمائهم وأموالهم، وهم يُظهرون في كل زمان ومكان بثياب مختلفة من الرؤساء والأمراء والعلماء والعباد والتجار والأطباء وغيرهم، ولعظيم خطرهم وضررهم هتك الله ﷻ أستارهم، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وبيّن لعباده صفاتهم وأعمالهم ليحذروهم ويكونوا على بينة من أمرهم، فهم أشد الأعداء خطراً، وأعظمهم مكرًا وكيداً، وأكثرهم تلبيساً وخداعاً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَمَرَفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

• خوف المنافقين ووجوب الحذر منهم:

إن إحساس المنافقين بنفاقهم هو الذي جعلهم يحذرون من نزول آيات قرآنية تُتلى في حقهم، تكشف أمرهم، وتهتك سترهم، وتعلن للملأ حقيقة أمرهم، وهذا الإحساس في محله، وقد وقع ما كانوا يتخوفون منه، ولكن اليوم لا يوجد قرآن ينزل بهم لكشف ستارهم وفضح أعمالهم، ومع ذلك ما زلنا نرى مشاهد الخوف والحذر تسيطر عليهم، وكل هذا لوقوعهم بوحل العمالة بسبب دناءة نفوسهم وضعف عقيدتهم، لذا فإن من الواجب على العلماء ورجال الدين أن يعظوا الناس ويحذروهم من مزلق الكلام، لأن كثيراً من الناس من يتكلمون بكلام لا يُلقون له بالاً، أو

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٤٩.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٢٦.

ربما تكلموا بكلام فيه شيء من الهزل والضحك، وكان في ثنايا هذا الكلام ذكر الله ﷻ أو القرآن، أو حديث رسول الله ﷺ، وهذا مما لا يجوز لأنه من أعمال المنافقين.

فالواجب على العبد أن يعظم الله ﷻ، وألا يتلفظ إلا بالكلام الطيب؛ لأن اللسان هو مورد الهلكة، فإن اللسان من أعظم الجوارح خطراً، ومما يتساهل فيه أكثر الناس، فيجب الحذر من الخوض فيما لا يعنينا، وبخاصة فيما يتعلق بالدين، أو بالعلم، أو بأولياء الله ﷻ، أو بالعلماء، أو بصحابة النبي ﷺ، أو بالتابعين.

• حكم المنافقين:

١. "المنافقون الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر لهم في الدنيا أحكام المسلمين، أما في الآخرة فجميع أعمالهم باطلة، وهم في الدرك الأسفل من النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

٢. أما أهل النفاق الأصغر فمن تاب منهم في الدنيا تاب الله ﷻ عليه، ومن لم يتب فحكمه حكم أهل الكبائر، وعصاة الموحدين، يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار، وقد يعفو الله ﷻ عنه فلا يدخله النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].^(١)

(١) موسوعة الفقه الإسلامي ٤ / ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٥.

المطلب الرابع

استهزاء المنافقين بالله ورسوله وعدم قبول اعتذارهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعدما تحدثت الآية السابقة عن خوف المنافقين من نزول القرآن فاضحاً لهم قفى بعد ذلك بالحديث عن استهزائهم بآيات الله ﷻ، وهي آيات في الجملة لشرح أحوال المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فهذه الآيات فضحت المنافقين، وأنبأت بمثالبهم وعوراتهم، ووصفتهم بالكفر. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"بينما رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات، فأطلع الله ﷻ نبيه عليه السلام على ذلك فقال: احبسوا على الركب، فأتاهم فقال: قلت كذا وكذا، فقالوا: يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، ثم بينت الآيات أنه لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم، وبأنه موجود منهم، حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء، فذكر لهم أن لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة، فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سرهم فقد ظهر كفرهم باستهزائكم بعد إظهاركم الإيمان فإن نعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه". (٢)

ثالثاً: سبب النزول:

- "أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطوناً، ولا أكذب لسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبد

(١) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٨٨.

(٢) الكشاف ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧

الله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تكبته الحجارة وهو يقول: يا رسول الله: إنما كنا نخوض، ونلعب ورسول الله ﷺ يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون". (١)

- "وأخرج الطبري بإسناده عن قتادة قوله: "ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب"، قال: بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك، وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا: "يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها! هيهات هيهات!" فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: "احبسوا عليَّ الركب! فاتاهم فقال: قُلتُم كذا، قُلتُم كذا. قالوا: "يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب"، فأنزل الله ﷻ فيهم ما تسمعون". (٢)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «كنتم تستهزئون» "الاستهزاء: يعني الاستخفاف" (٣)، "والمراد بالاستهزاء بالله: الاستهزاء بذكر الله وصفاته، وتكاليف الله تعالى، والمراد بآيات الله: القرآن وسائر أحكام الدين". (٤)
- «لَا تَعْتَدُوا»: "لا تستغلوا بالاعتذار، وهو عبارة عن محو أثر الذنب فإنه معلوم الكذب بيِّن البطلان.
- «قَدْ كَفَرْتُمْ»: أي أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول ﷺ والطعن فيه.
- «بَعَدَ إِيْمَانِكُمْ»: أي بعد إظهاركم له.
- «إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ»: لتوبتهم وإخلاصهم أو تجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء.
- «طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ»: مصرِّين على الإجرام وهو غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين". (٥)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢٩/٦، حديث رقم: ١٠٠٤٧. قال السقاف: صح عن ابن عمر في سبب

نزول هذه الآية أنها نزلت في المنافقين يوم تبوك. تخريج أحاديث وأثار كتاب في ظلال القرآن ص: ٢٣٦.

(٢) جامع البيان ١٤ / ٣٣٤، وأسباب النزول ٢٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٦ / ١٨٣٠. قال السقاف: إسناده موقوف على قتادة. تخريج أحاديث وأثار كتاب في ظلال القرآن ص: ٢٣٦.

(٣) العذب النмир ٥ / ٦١٦.

(٤) التفسير المنير ١٠ / ٢٩٠.

(٥) إرشاد العقل السليم ٤ / ٨٠.

٢. البلاغة:

أ. «إنما كنا نخوض ونلعب»: "القصر هنا للتعيين: أي ما تحدثنا إلا في خوض ولعب دون ما ظننته بنا من الطعن والأذى".^(١)

ب. «قُلْ أِبَاهُ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ»: "استفهام إنكاري للتقريع والتوبيخ، والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء موبخاً ومنكراً: ألم تجدوا ما تستهزئون به في مزاحكم ولعبكم -كما تزعمون- سوى فرائض الله وأحكامه وآياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور؟!"^(٢)

٣. القراءات:

قرأ عاصم «نعف» بنون مفتوحة، وضم الفاء، و«نعذب» بنون مضمومة، وكسر الذال، و«طائفة» الثانية بالنصب، وقرأ الباقون «يعف» بياء مضمومة، وفتح الفاء، «تعذب» بتاء مضمومة، وفتح الذال، و«طائفة» بالرفع.

وحجة من قرأ بالنون أنه أسند الفعلين إلى الإخبار عن الله ﷻ ذكره، يخبر تعالى عن نفسه بذلك، ففي «نعف» ضمير يرجع إلى الله ﷻ ذكره، وكذلك في «نعذب» ونصب «طائفة» بوقوع العذاب عليها، وحجة من قرأ بالياء والتاء أنه حمل الفعلين على ما لم يسم به فاعله.^(٣)

٤. الإعراب:

- «نُعَذِّبُ طَائِفَةً»: "هذا جواب الشرط؛ أي: لا يمكن أن نعفو عن الجميع، بل إن عفونا عن طائفة؛ فلا بد أن نعذب الآخرين.
- قوله: «بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ»: الباء للسببية؛ أي: بسبب كونهم مجرمين بالاستهزاء، وعندهم جرم - والعياذ بالله -؛ فلا يمكن أن يوقفوا للتوبة حتى يُعفى عنهم".^(٤)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- واجب المؤمن تجاه من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها:

تبين لنا أنه لا يجوز للإنسان أن يجلس في مجلس يُعصى الله ﷻ فيه، ويكفر فيه بآيات الله ﷻ ويستهزأ بها، وأن من جلس في مثل هذه المجالس فإن عليه أن ينكر أقوالهم، فإن

(١) التحرير والتوير ١٠ / ٢٥٠.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ٨٢٨.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٥٠٤.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢ / ٢٧١.

سكت ولم ينكر يأخذ حكمهم، والراضي بالكفر كافر، وإذا جلس في مجلس غيبة ولم ينكر عليهم، فحكمه حكم المغتابين في الإثم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْذَرْتُمُوهُمُ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٤٠].

إذاً: الواجب على الإنسان أحد أمرين: إما الإنكار، أو القيام عن المجلس، ومصداقاً لذلك قول خير الأنام محمد ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".^(١)

• كفر من يستهزئ بالله وآياته ورسوله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَدُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهاتان الآيتان الكريمتان فيهما نص ظاهر، وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين.

وقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصا على كفر من استهزأ بالله ﷻ أو رسوله ﷺ أو كتابه أو شيء من الدين، وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافراً مرتداً عن الإسلام يجب قتله؛ فعن ابن عباس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ " .^(٢)

ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله ﷻ أو رسوله ﷺ أو كتابه أن الاستهزاء تنقص واحترار للمستهزأ به، والله ﷻ له صفة الكمال، وكتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله ﷻ، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق، وسيدهم، وخاتم المرسلين، فمن استهزأ بالله ﷻ أو رسوله ﷺ أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحقره، واحقر شيء من ذلك، وتنقصه كفر ظاهر، ونفاق سافر وعداء لرب العالمين، وكفر برسوله الأمين.

(١) صحيح مسلم ١/ ٦٩، كتاب: الايمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الايمان، وأن الايمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم: ٧٨.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٦٢، كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم: ٣٠١٧، وسنن ابن ماجة ٢/ ٨٤٨، كتاب: أبواب: الحدود، باب: المرتد عن دينه، حديث رقم: ٢٥٣٥.

قال الإمام أبو بكر بن المنذر^(١) - رحمه الله -: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي^(٢).
وقال الإمام النووي^(٣) - رحمه الله -: "ولو قال وهو يتعاطى قدح الخمر، أو يقدم على الزنا: باسم الله تعالى، استخفافاً باسم الله تعالى كفر، ولو قال: لا أخاف القيامة كفر"^(٤).

• بيان أن الاستهزاء بالله ﷻ مُحال:

" فلا بد له من تأويل، وفيه وجوه:

الأول: المراد بالاستهزاء بالله هو الاستهزاء بتكاليف الله ﷻ.

الثاني: يحتمل أن يكون المراد الاستهزاء بذكر الله ﷻ، فإن أسماء الله ﷻ قد يستهزئ الكافر بها كما أن المؤمن يعظمها ويمجدها. قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فأمر المؤمن بتعظيم اسم الله ﷻ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا يمتنع أن يقال: (أبالله)، ويراد: أبذكر الله.

الثالث: لعل المنافقين لما قالوا: كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام وقصورها، قال بعض المسلمين: الله يعينه على ذلك وينصره عليهم، ثم إن بعض الجهال من المنافقين ذكر كلاماً مشعراً بالقدح في قدرة الله ﷻ كما هو عادات الجهال والملاحدة، فكان المراد ذلك.

وأما قوله: ﴿وآياته﴾ فالمراد بها القرآن، وسائر ما يدل على الدين، وقوله: ﴿ورسوله﴾ معلوم، وذلك يدل على أن القوم إنما ذكروا ما ذكروه على سبيل الاستهزاء"^(٥).

• قبول توبة المستهزئ بالله ﷻ :

" إنَّ العلماء اختلفوا فيمن سب الله ﷻ أو رسوله ﷺ أو كتابه: هل تقبل توبته؟ على قولين:

(١) أبو بكر بن المنذر: الإمام، الولي، أبو بكر بن المنذر المغازلي، البغدادي، العابد، صاحب الإمام أحمد. اسمه بدر، وقيل: أحمد، حدث عن: معاوية بن عمرو الأزدي، وغيره، وعنه: النجاد، وأحمد بن يوسف العطار، وأبو بكر الشافعي، وكان ثقة، ريانياً، قانعاً. [سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٩٤].

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ٦ / ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، ورسالة في التوحيد. [ينظر: الأعلام ٨ / ١٤٩].

(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين ١٠ / ٦٧.

(٥) مفاتيح الغيب ١٦ / ٩٥.

القول الأول: أنها لا تقبل، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يقتل كافراً، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين، ولو قال: إنه تاب أو إنه أخطأ؛ لأنهم يقولون: إن هذه الردة أمرها عظيم، وكبير، لا تنفع فيها التوبة.

القول الثاني: وقال بعض أهل العلم: إنها تقبل؛ إذا علمنا صدق توبته إلى الله ﷻ، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله ﷻ بما يستحق من صفات التعظيم؛ وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، ومن الكفار من يسبون الله ﷻ، ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا هو الصحيح، إلا أن ساء الرسول ﷺ تقبل توبته، ويجب قتله، بخلاف من سب الله ﷻ؛ فإنها تقبل توبته ولا يقتل، لا لأن حق الله ﷻ دون حق الرسول ﷺ، بل لأن الله ﷻ أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد إليه؛ بأنه يغفر الذنوب جميعاً.

القول الراجح: أن المستهزئ بالله ﷻ تقبل توبته، لقوله: ﴿إِن نَّعَفُ عَن طَائِفَةٍ﴾ وهذا أمر قد وقع، فإن من هؤلاء من عفي عنه، وهُدِيَ للإسلام، وتاب، وتاب الله ﷻ عليه لكن لا بد من دليل بيّن على صدق توبته؛ لأن كفره من أشد الكفر، أو هو أشد الكفر، فليس مثل كفر الإعراض أو الجحد".^(١)

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٢٦٨، ٢٧٢.

المبحث الثاني
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٦٧-٧٠)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات المنافقين.

المطلب الثاني: مصير المنافقين في الآخرة.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال للمنافقين للاعتبار من أحوالهم.

المطلب الأول

صفات المنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما بيّنت الآيات السابقة فضائح المنافقين وقبائحهم، وضحت هنا الفرق بينهم وبين المؤمنين، وتشبيهم بمن قبلهم من المنافقين والكفار، وتمثيل حالهم بحال من سبقهم، وعقد قياس أو موازنة بينهم وبين أناس غابرين، لهم شبه بهم، كما قصد به بيان أن إناثهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة، والأفعال الخبيثة. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيمان واستبطنهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ﷻ ومعصية رسوله وينهون عن الإيمان والطاعة، ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ﷻ، نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقهم إلى خير، والمنافقون هم الخارجون عن الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ". (٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ» «يحتمل وجهين:

أ. أن بعضهم يجتمع مع بعض على النفاق.

ب. أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعض.

- «يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ» في المنكر والمعروف قولان:

أ. أن المنكر كل ما أنكره العقل من الشرك، والمعروف: كل ما عرفه العقل من الخير.

ب. أن المعروف في كتاب الله ﷻ كله الإيمان، والمنكر في كتاب الله ﷻ كله الشرك، قاله

أبو العالية.

(١) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٢٩٥، واللباب ١٠ / ١٤١.

(٢) التفسير الميسر ١ / ١٩٧.

- ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أ. يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد.

ب. يقبضونها عن كل خير، قاله قتادة.

ج. يقبضونها عن الجهاد مع النبي ﷺ، قاله بعض المتأخرين.

د. يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلى الله ﷻ.

- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: أي تركوا أمره فترك رحمتهم، قال ابن عباس ؓ: كان المنافقون

بالمدينة من الرجال ثلاثمائة، ومن النساء سبعين ومائة امرأة^(١).

٢. البلاغة:

أ. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ قبض الأيدي: ضم أصابعها إلى باطن الكف، وهو كناية عن الشح والبخل

وعدم البذل في الإنفاق في سبيل الله ﷻ، كما أن بسط اليد كناية عن الإنفاق والبذل الجود، فهم

ينهون الناس عن البذل، ويمتنعون منه بالفعل، واقتصر من منكراتهم الفعلية على هذا؛ لأنه

شرها وأضرها، وأقواها دلالة على النفاق، كما أن الإنفاق في سبيل الله ﷻ أقوى الآيات على

الإيمان^(٢).

ب. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: النسيان مجاز عن التَّرك، لأنَّ من نسي شيئاً لم يذكره، ولأنَّ النسيان ليس

في وسع البشر، وهو في حق الله ﷻ محال فلا بد من تأويله على التَّرك؛ وهو كناية عن ترك

الطاعة، فالمراد لم يطيعوه سبحانه، ولأنَّهم تركوا أمر الله ﷻ صاروا كالنسي المنسي، فجازاهم

بأنَّ صيرهم كالشيء المنسي، كقوله: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَبِيحًا مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠].^(٣)

"فالنسيان هنا من باب المشاكلة؛ لأن الله ﷻ لا ينسى، أي تركوا طاعته، فتركهم الله ﷻ من

رحمته، ومنع لطفه وفضله عنهم".^(٤)

(١) النكت والعيون ٢ / ٣٧٩.

(٢) ينظر: تفسير المنار ١٠ / ٤٦٠، وأيسر التفاسير ٢ / ٣٩٣، والجدول ١٠ / ٣٨٤، والتفسير المنير ١٠ / ٢٩٣.

(٣) ينظر: اللباب ١٠ / ١٤١، والجدول ١٠ / ٣٨٤.

(٤) الجدول ١٠ / ٣٨٤، والتفسير المنير ١٠ / ٢٩٣.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• أهم صفات المنافقين:

المنافقون لهم صفات كثيرة، وقد وصفهم الله ﷻ في أكثر من موضع من القرآن العظيم بصفات تميّزهم عن غيرهم من الناس، وفيما يلي سأحاول إبراز الصفات الخطيرة، التي تجعل من هذه الشريحة في المجتمع المسلم فئةً أخطر على المسلمين من العدو الظاهر نفسه، فمن تلك الصفات:

١. في قلوبهم مرض:

فالمنافقون لا يمتلكون الشجاعة الكافية؛ لإعلان موقفهم الحقيقي الذي يواجهون به أهل الإيمان فلا هم قادرون على إعلان الإيمان الصريح الواضح، ولا هم قادرون على إعلان إنكارهم للحق، وسبب ذلك هو المرض الذي يتمكن من قلوبهم، فيحرفها عن طريق الإيمان: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠].

٢. مُفسدون يزعمون الإصلاح يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويدسون الأفكار المنحرفة والمفاهيم الخاطئة:

هذه مهمة يؤكد عليها المنافقون كثيراً، فهم تحت غطاء الإسلام يحولون دون تقديم الإسلام إلى الناس إلا بصورة مشوشة، ويعرضون مفاهيمه بشكل محرف، والمنافقون مفسدون في الأرض، يسعون لتخريب كل بذرة خير، وكل نبتة طيبة، وبعد هذا كله، يزعمون أنهم مصلحون، يسعون إلى خير الناس، ذلك لأن الموازين قد اختلت حين ابتعدت عن المقياس الرباني الصحيح! وهؤلاء المفسدون الذين يزعمون الإصلاح كثيرون في وقتنا الحاضر. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١]؛ لكن الله ﷻ فضح حقيقتهم بقولٍ قاطعٍ واضح، فهم في حقيقة الأمر المفسدون، الذين يُحاربون الإصلاح والصالح والمصلحين: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢].

٣. مُرجفون مشككون ومضللون:

فليس لهم من هم عند المحن والشدائد إلا الإرجاف، والتخويف، وتثبيط العزائم، وإحباط الهمم إنهم السوس الذي ينخر في صفوف المؤمنين، محاولين تحقيق ما لا يستطع العدو تحقيقه في الأمة، فيشقون الصفوف، ويثيرون الفتنة، ويحاولون زعزعة أي تماسك للمؤمنين: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]، وهي نقطة مهمة يركز عليها المنافقون، فهم يظهرون الحقائق الناصعة بمظهر مشوه، وهذا ما

صنعه المنافقون في حادثة الإفك، هؤلاء مثلهم واضح وجلي في مجتمعنا الحاضر فنحن نرى كيف يقوم الطابور الخامس بدس السموم والاشاعات بين الناس وكل ذلك لتثبيطهم حتى ينال منهم عدوهم، ويقومون بإثارة روح الاختلاف والنزاعات بين العناصر الاسلامية؛ فهم يسعون جاهدين إلى تقطيع الأواصر الاسلامية المتلاحمة وتفتيت القوى المتحدة، وتبديد الطاقات المؤمنة، وإثارة روح الخلافات الجانبية فيما بينها، وهذا ولا شك أسلوب لو قدر له النجاح فإنه سيؤدي إلى هزيمة نكراء تعصف بالمد الإسلامي وتفسح المجال للأعداء الداخليين والخارجيين لكي يستولوا على مقاليد الأمور.

٤. يتولون يوم الزحف:

فعدو وقوع المحنة والبلاء، وحين تحين ساعة الاستحقاق تراهم أول الفارّين، وفي طليعة الخائزين الخائفين، يُؤلّو ٣ الأدبار، ويتوارون عن ساحات النزال الحقيقية، بكل أصنافها وأشكالها وألوانها: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤَلِّبُوا الْآدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُوكُمْ﴾ [الحشر: ١٢].

• صفات المنافقين واحدة مهما تغير الزمن:

"إنّ النفاق مرض عضال متأصل في البشر، وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض أيديهم وإمساكهم عن الإنفاق في سبيل الله ﷻ للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق".^(١)

فقد يظن الإنسان أن النفاق ظاهرة موجودة في زمن النبوة فقط، وانتهت بموت الرسول ﷺ وبانقطاع الوحي، لكنّ هذا أمر غير صحيح؛ فالنفاق والمنافقون موجودون في كل زمان ومكان وصفاته واحدة لا تتغير بل تتكرر ولكن بأسلوب جديد وعصري.

فهم يروجون للإشاعات، ويثيرون القلاقل والفتن في المجتمع ويزعزعون السلم الاجتماعي، يقبلون ويزيفون الحقائق، يتآمرون مع الأعداء ويغدرون بمواثيقهم واتفاقاتهم، يتحينون الفرصة للانقضاض على المجاهدين المؤمنين، باعوا أنفسهم للشيطان ومثلهم في الواقع ظاهر للعيان، فالعملاء مثلاً يتسترون أحياناً خلف أقنعة زائفة من الطيبة والاحترام والوقار لكنهم كالسوس ينخر جسد الأمة ويجعله متأكلاً فهم عيون ساهرة ليس لحراسة الوطن والذود عنه، بل لمراقبة المجاهدين والمرابطين ورصد تحركاتهم، وتسجيلها لتفتك بهم صواريخ وقذائف العدو.

(١) التفسير المنير ١٠ / ٣٠٠.

تجد أشخاصاً مرضى القلوب يتشمتون بمصائب الآخرين فمثلاً شيخاً معمماً يحرص على قتل المتظاهرين المعتصمين دون خجل بل ويعتبرهم نتن يجب التخلص منه.

أمثلتهم كثيرة فما علينا إلا أن نعمن النظر وندقق في دراسة أخلاق الناس وشمائلهم حتى لا ننخدع بالمظاهر.

• النفاق يشوه الفطرة السليمة:

الانسان خير بطبعه فيه تسري نفخة من روح الله ﷻ تتسامى به نحو العلياء، يميل إلى الخير والسلام بفطرته السليمة، لكن لو شاب هذه الفطرة السليمة شائبة ستعكر صفوها، وتكدر عذب مائها، كيف؟؟

إنه النفاق وما يجره من صفات تلوث هذه النفس الطيبة وتمنعها من طهارتها، وتردها إلى طينها فنجد المنافق ينشر الفتن والرديلة، يروج للإشاعة والمفسدة يسد أبواب الخير والسعادة أمام الغير ليفتح له أبواب الشيطان والتعاسة.

يبخل ببذل أي شيء للمصلحة العامة أناني تتملكه الرغبة في إرهاب المؤمن، وجره إلى الهاوية بأي وسيلة، ينوع في أساليبه الخبيثة؛ ليزين للمسلمين طريق الفساد ليخرجهم من إيمانهم.

نراهم في الفضائيات يملأون الشاشات بمسلسلات وأفلام وبرامج وأغاني تغص بالانحلال والانحراف، يروجون للشرب والنساء والزنا والمراقص ويدعون أنه فن، يحاربون في إعلامهم الفاسد كل ما هو مسلم أو ملتزم أو مقاوم.

المطلب الثاني

مصير المنافقين في الآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٨-٦٩].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن ذكر الله ﷻ في الآية السابقة أنواعاً وضروباً من قبائح أفعال المنافقين من ذكرانهم وإناثهم، قرنها بالوعيد الشديد بما أعد لهم من الجزاء في زمرة إخوانهم الكفرة الذين من قبلهم على ما كانوا يقتربون من الفساد والإفساد".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"وعد الله ﷻ المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً عقاباً لهم على كفرهم بالله ﷻ، وطردهم الله ﷻ من رحمته، ولهم عذاب دائم، وذكر أن أفعال معشر المنافقين من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم، فاطمأنوا إلى الحياة الدنيا، وتمتعوا بما فيها من الحظوظ والملاذات، فاستمتعتم أيها المنافقون بنصيبيكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية، وخضتم بالكذب على الله ﷻ كخوض تلك الأمم قبلكم، أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهبت حسناتهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون يبيعهم نعيم الآخرة بحظوظهم من الدنيا".^(٢)

ثالثاً: سبب النزول:

"أخرج الطبري عن الربيع قال، قال رسول الله ﷺ: "حَدَّرَكُمْ أَنْ تُحْدِثُوا فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ أَقْوَامٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾، وَإِنَّمَا حَسَبُوا أَنْ لَا يَقَعُ بِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ مَا وَقَعَ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ قَبْلَهُمْ، وَإِنَّ الْفِتْنَةَ عَائِدَةٌ كَمَا بَدَأَتْ".^(٣)

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٥٥.

(٢) التفسير الميسر ١ / ١٩٧ - ١٩٨.

(٣) جامع البيان ١٤ / ٣٤٣.

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «خالدين فيها»: "أي ماكنين فيها مخلدين هم والكفار.
- «هي حسبهم»: أي كافيتهم في العذاب.
- «ولعنهم الله»: أي طردهم وأبعدهم من رحمته".^(١)
- «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»: "أي عذاب دائم.

فإن قيل: معنى المقيم والخالد واحد، فيكون تكراراً، فالجوابُ يكون من وجهين:

أ. أنَّ لهم نوعاً آخر من العذاب المقيم الدائم سوى العذاب بالنَّار والخلود المذكور أولاً، ولا يدل على أنَّ العذاب بالنَّار دائم، وقوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»: يدلُّ على أنَّ لهم مع ذلك نوعاً آخر من العذاب، فإن قيل هذا مشكل؛ لأنه قال في النَّار المخلدة: "هِيَ حَسْبُهُمْ" وكونها حسباً يمنع من ضمِّ شيء آخر إليه، فالجوابُ: أنَّها حسبهم في الإيلام، ومع ذلك يضم إليه نوع آخر زيادة في تعذيبهم.

ب. أنَّ المراد بقوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم وهو ما يُقاسُونَه من الخوف من اطلاع الرسول ﷺ على بواطنهم، وما يحذرونه من أنواع الفضائح".^(٢)

- «.. فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ..»: "فيها أقوال:

أ. بنصيبتهم من خيرات الدنيا.

ب. ويحتمل: استمتاعهم باتباع شهواتهم.

ج. ويحتمل: استمتاعهم بدينهم الذي أصروا عليه.

- «وَحُضِّنْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» فيها وجهان:

أ. حُضِّنْتُمْ في شهوات الدنيا.

ب. حُضِّنْتُمْ في قول الكفر، وفيهم قولان:

الأول: أنهم فارس والروم. والثاني: أنهم بنو إسرائيل".^(٣)

(١) مختصر تفسير ابن كثير ١٥٣ / ٢.

(٢) اللباب ١٠ / ١٤١ - ١٤٢.

(٣) النكت والعيون ٢ / ٣٨٠.

٢. البلاغة:

أ. «وعد الله المنافقين والمنافقات» ذكر (المنافقات): تنصيماً على تسوية الأحكام لجميع المتصفين بالنفاق ذكورهم وإناثهم؛ كيلا يخطر بالبال أن العفو يصادف نساءهم، والمؤاخذه خاصة بذكورهم؛ ليعلم الناس أن لنساء المنافقين حظاً من مشاركة رجالهن في النفاق فيحذروهن.

ب. «والكفار» ذكر "الكفار" هنا؛ للدلالة على أن المنافقين ليسوا بأهون حالاً من المشركين إذ قد جمع الكفر الفريقتين^(١)، وقدم المنافقين على الكفار لخطرهم وعدم وضوح أمرهم.

ج. «هِيَ حَسْبُهُمْ»: "أي حسبهم عقاباً وجزاءً أي فيها ما يكفي من ذلك، وفيه ما يدل على عظم عقابها وعذابها فإنه إذا قيل للمعذب كفى هذا دل على أنه بلغ غاية النكاية.

د. «وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ»: أي أبعدهم من رحمته وخيره وأهانهم، وفي إظهار الاسم الجليل من الإيذان بشدة السخط ما لا يخفى.

هـ. «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»: أي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبداً فلا تكرر مع ما تقدم، ولا ينافي ذلك هِيَ حَسْبُهُمْ؛ لأنه بالنظر إلى تعذيبهم بالنار، وقيل في دفع التكرار إن ما تقدم وعيد، وهذا بيان لوقوع ما وعدوا به على أنه لا مانع من التأكيد، وقيل: إن الأول عذاب الآخرة، وهذا عذاب ما يقاسونه في الدنيا من التعب والخوف من الفضيحة والقتل ونحوه، وفسرت الإقامة بعدم الانقطاع؛ لأنها من صفات العقلاء فلا يوصف بها العذاب فهي مجاز عما ذكر^(٢).

«وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» والعذاب المقيم: إن كان المراد به عذاب جهنم فهو تأكيد لقوله: خالد بن فيها هي حسبهم لدفع احتمال إطلاق الخلود على طول المدة، وتأكيد للكناية في قوله: هي حسبهم وإن كان المراد به عذاباً آخر تعين أنه عذاب في الدنيا وهي عذاب الخزي والمذلة بين الناس.

و. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨] في هذه الآية زيادة تقرير؛ لاستحقاق المنافقين العذاب، وأنهم الطائفة التي تعذب إذا بقوا على نفاقهم، فتعين أن الطائفة المعفو عنها هم الذين يؤمنون منهم^(٣).

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٥٤، ٢٥٦.

(٢) روح المعاني ٥ / ٣٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٥٤، ٢٥٦.

- ز. "الالتفات في ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ : الالتفات من الغيبة الى الخطاب؛ للتشديد.
- ح. التكرير: في ترديد ﴿استمتعوا﴾، ذلك أنه شبه حالهم بحال الأولين، ففي التكرير تأكيد ومبالغة في ذم المخاطبين، وتقبيح حالهم واستهجان أمرهم".^(١)
- "ذكر الله ﷻ (الاستمتاع بالخلق في حق الأولين) مرة، ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً، ثم ذكره في حق الأولين ثالثاً، والفائدة في ذلك أنه تعالى ذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا، وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ العاجلة، فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال هؤلاء المنافقين بحالهم، فيكون ذلك نهاية في المبالغة، وبالجملة فالتكرير هاهنا للتأكيد، ولما بين تعالى مشابهة هؤلاء المنافقين لأولئك المتقدمين في طلب الدنيا، وفي الإعراض عن طلب الآخرة، بيّن حصول المشابهة بين الفريقين في تكذيب الأنبياء وفي المكر والخديعة والغدر بهم".^(٢)
- ط. "الاستعارة: في ﴿خضتم﴾، حيث شبه الباطل بماء واستعار له كلمة خضتم أي دخلتم في الباطل".^(٣)

٣. الإعراب:

- "قوله تعالى: ﴿بعضهم من بعض﴾: مبتدأ وخبر؛ أي: بعضهم من جنس بعض في النفاق.
 - ﴿يأمرن بالمنكر﴾: جملة مستأنفة مفسرة لما قبلها.
 - قوله تعالى: ﴿كالذين﴾: الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، وفي الكلام حذف مضاف تقديره: وعداً كوعد الذين.
 - ﴿كما استمتع﴾: أي استمتعاً كاستمتاعهم.
 - ﴿كالذي خاضوا﴾: الكاف في موضع نصب أيضاً، وفي ﴿الذي﴾ وجهان:
- أ. أنه جنس، والتقدير: خوضاً كخوض الذين خاضوا، وقد ذكر مثله في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾
- ﴿كَمَثَلِ الْآزِيِّ اسْتَوَقَدَ﴾ [البقرة: ١٧].
- ب. أن ﴿الذي﴾ هنا مصدرية؛ أي: كخوضهم، وهو نادر".^(٤)

(١) الجدول ١٠ / ٣٨٧.

(٢) مفاتيح الغيب ١٦ / ٩٩.

(٣) الجدول ١٠ / ٣٨٧.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٥٠ - ٦٥١.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: قال أبو إسحاق: الكاف في موضع نصب أي: وعد الله الكفار نار جهنم وعداً كما وعد الذين من قبلهم.

– ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾: أشدّ: خير كان، ولم ينصرف أشدّ أي: كانوا أشدّ منكم قوة فلم يتهياً لهم دفع عذاب الله ﷻ. (١)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• وعيد الله ﷻ للمنافقين:

هل سيزرك الله ﷻ هؤلاء المنافقين يبثون سمومهم في جسد الأمة دون عتاب؟ بالتأكيد لا، لأن الله ﷻ لن يجعل لهم الغلبة والنصر على المؤمنين فيها هو يكشفهم ويميط اللثام عن صفاتهم ليحذرننا منهم، فالحذر الحذر منهم لأنهم يدسون السم في الشهد.

ولكنّ الله ﷻ توعدهم بالنسيان والإهمال واستخدام النسيان لهم " نسيهم" كما ورد في الآية السابقة على سبيل المشاكلة فهم أحقر من أن تكون لهم قيمة فالعملاء والخونة حينما يُكشف أمرهم تخيل كم الإذلال والمهانة التي تلحق به، وحينما يُنفذ فيه حكم الله ﷻ نجد بعضهم لا يرغب أهلهم باستلامه، فهل بعد ذلك مهانة؟

والعقاب قد يُعجل في الدنيا، ولكن العقوبة الأعظم في الآخرة فالنار وجهنم مثوى للمنافق سيدوق فيها ألوان العذاب وصنوفه وهم فيه خالدون.

• الاغترار بالمال والولد:

المال والبنون نعمة من الله ﷻ إن شكره واستثمرها في وجوه الخير، وتعاهد الأبناء بالتربية السليمة القائمة على منهج التوحيد، لكن من الناس من يهبه الله ﷻ هذه النعم فيغتر بها ويطغى ويستبد ويفجّر؛ فقد تكون هذه النعم سبباً في غيه وطغيانه وانحرافه عن السبيل.

وها نحن نرى في عصرنا الحالي وفي بعض البلدان كيف يكون لبعض العائلات ذات الحسب والجاه كثيرة العدد والمال تعيث في المكان فساداً وإفساداً لا أحد يمنعها من وضع يدها على الأملاك العامة، أو القتل والنهب دون قانون يردعها، أو عقاب يجرها.

هذا على مستوى العائلات، لو نظرنا إلى رجالٍ تحلّق حولهم مجموعة من المنتفعين والمتنفذين أوصلوها إلى سدة الحكم فأصبحوا رؤساء على جنث وجماحم شعوبهم جعلوا الجيش والشرطة أداة لقتل الشعب، بدلاً من أن تكون لحمايتهم وقد عميت قلوبهم وبصائرهم، غرّتهم قوتهم فتسلطوا على الناس وأذلّوهم وأهانوهم.

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس ٢/ ١٢٧.

• حبوط العمل الباطل وفنائه:

الباطل مهما انتفش، وتعاضم، وتنوعت أساليبه وألعيه فمآله إلى زوال وفناء قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨] ولنا في قصص الظالمين عبرة وعظة ممن ظلموا وقهروا، نهبوا وسلبوا، كدسوا الأموال وراكموا العقارات أين هم؟ وما هي إنجازاتهم؟ سوى بناء السجون، وقتل وإراقة الدماء.

انظر إلى رؤساء الدول أصحاب الفخامة والمعالي ممن ثارت عليهم شعوبهم، لفظتهم ورفضتهم منهم من فرّ هارباً ومنهم من سُجن، ومنهم من قُتل بأبشع صورة، المشكلة أن هناك من يتخذهم قدوة ولا يتعظ بمصيرهم ويكرر نفس ظلمهم ويسير على ساكنتهم، فنجد في بعض البلاد دماء تراق، وشعوب وحضارات تفتنى.

إن مصير الظالم واحد فناء عمله، خسارته الخسران المبين، فهل من متعظ؟ أم من يُعيد حساباته. واللبيب من اتعظ بغيره.

المطلب الثالث

ضرب الأمثال للمناققين للاعتبار من أحوال السابقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما قرّر ﷺ في الآية السابقة تشابههم في التمتع بالعاجل، وختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام، أتبع ذلك بتخويفهم من مشابعتهم فيما حل بطوائف منهم ملتفتاً إلى مقام الغيبة؛ لأنه أوقع في الهيبة، فقال مقررّاً لخسارتهم: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي ألم يأت هؤلاء الأخابث من أهل النفاق خبر الأقوام السابقة العظيم الذين عصوا رسلنا الذي هو جدير بالبحث عنه؛ ليعمل بما يقتضيه حين عصوهم.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"أبصر المنافقون على النفاق والشقاق ولم يأتهم خبر إهلاك القوم الذين مضوا من قبلهم كيف أهلكهم الله ﷻ بظلمهم وذنوبهم مثل قوم نوح عليه السلام كيف استوصلوا بالطوفان، وعاد بالريح وثمود بالرجفة، وقوم إبراهيم عليه السلام بالبعوض، وأصحاب مدين أي قوم شعيب عليه السلام قد أهلكوا بالنار النازلة عليهم من جانب السماء يوم الظلة، والمؤتفكات قرى قوم لوط قد هلكوا بالزلزلة وأمطار الأحجار عليهم، بحيث يجعل عاليها سافلها. كل من أولئك الهالكين قد أنتهم رسلهم بالبيانات الواضحة الدالة على صدقهم في دعواهم فكذبوهم عناداً ومكابرة فلحقهم ما لحقهم بشؤم تكذيبهم"^(٢)، "فأنزل الله ﷻ بهؤلاء جميعاً عذابه؛ انتقاماً منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالتكذيب والمخالفة"^(٣).

(١) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٥٤٠.

(٢) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣١١.

(٣) التفسير الميسر ١ / ١٩٨.

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿ألم يأتيهم نبيّ الذين من قبلهم﴾: "ألم يأتيهم خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا، ماذا حلّ بهم من عقوبتنا؟"^(١)

- ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين﴾: "أي خبر قوم نوح كيف أغرقناهم، وقوم عاد كيف أهلكتناهم بالريح العقيم؟ وقوم ثمود، وهم قوم صالح كيف أهلكتناهم بالصيحة؟ وقوم إبراهيم كيف أهلكتناهم بأضعف الخلق وهو البعوض؟ وأصحاب مدين وهم قوم شعيب كيف أهلكتناهم بعذاب يوم الظلة؟"^(٢)

- ﴿والمؤتفكات﴾ "هي: قريات لوط؛ سميت مؤتفكة"^(٣)؛ لوجود الشجر الكثيف الملتف المتداخل بعضه ببعض.

٢. البلاغة:

أ. ﴿ألم يأتيهم﴾: "أي المنافقين، وفيه رجوع إلى الغيبة عن الخطاب ففيه التفات، وهو استفهام بمعنى التقرير والتحذير، أي قد أتاهم (نباؤ الذين من قبلهم) أي خبرهم الذي له شأن، وهو ما فعلوه من التكذيب وما فعل بهم من الإهلاك، ولما شبه حالهم بحالهم فيما سلف على الإجمال في المشبه بهم، ذكر منهم هاهنا ست طوائف قد سمع العرب أخبارهم؛ لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام والعراق واليمن، وكل ذلك قريب من أرض العرب، فكانوا يملكون عليهم ويعرفون أخبارهم"^(٤).

ب. "إن كان عني بـ"المؤتفكات" قوم لوط، فكيف قيل: "المؤتفكات"، فجمعت ولم توحد؟

قيل: إنها كانت قريات ثلاثاً، فجمعت لذلك، ولذلك جمعت بالتاء، على قول الله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾

﴿أَمْوَى﴾ [النجم: ٥٣].

فإن قال: وكيف قيل: أنتهم رسلهم بالبينات، وإنما كان المرسل إليهم واحداً؟

قيل: معنى ذلك: أتى كل قرية من المؤتفكات رسولٌ يدعوهم إلى الله ﷻ، فتكون رُسل رسول

الله ﷻ الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله ﷻ عن رسالته، رسلاً إليهم.

(١) جامع البيان ١٤ / ٣٤٤.

(٢) بحر العلوم ٢ / ٧٢.

(٣) تفسير السمعي ٢ / ٣٢٦.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن ٥ / ٣٤٣.

وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك: أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية، رسلهم من الله بالبينات".^(١)

ج. ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: "للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب، وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١] من غير قصر للظلم على الفاعل أو المفعول".^(٢)

٣. الإعراب:

- ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾: جملة استئنافية لا محل لها ؛ لبيان نبئهم.^(٣)
- ﴿ما كان الله ليظلمهم﴾: "جملة لا محل لها معطوفة على جمل مقدرة أي: فكذبوهم فأهلكوا فما كان الله..."^(٤)
- "ونفي الظلم عن الله ﷻ بأبلغ وجه، وهو النفي المقترن بلام الجحود، بعد فعل الكون المنفي، وأثبت ظلمهم أنفسهم لهم بأبلغ وجه إذ أسند إليهم بصيغة الكون الماضي، الدال على تمكن الظلم منهم منذ زمان مضى، وصيغ الظلم الكائن في ذلك الزمان بصيغة المضارع؛ للدلالة على التجدد والتكرار، أي على تكرير ظلمهم أنفسهم في الأزمنة الماضية".^(٥)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

- تشابه حال البشر واتباع بعضهم لبعض في الباطل والفساد والشر:
- ما أشبهه الأمس باليوم وما أشبهه الماضي بالحاضر ها نحن نرى كيف الزمان يُعيد نفسه فمن كان ديدنه الظلم والجور والفساد لا يورث من يأتون بعده إلا ضلالاً وانحلالاً.
- إصرار المنافقين على الضلال ورفض الهداية:

الله ﷻ أرحم بعباده من أمهاتهم وأنفسهم، يسعد بتوبة العبد، وينتظرها يبسط يده في الليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مُسيء الليل، ويسوق الأمثال لأخذ العبرة من أقوام

(١) جامع البيان ١٤ / ٣٤٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤ / ٨٢.

(٣) ينظر: الجدول ١٠ / ٣٨٩، ومحاسن التأويل ٥ / ٤٥٣.

(٤) الجدول ١٠ / ٣٨٩.

(٥) التحرير والتتوير ١٠ / ٢٦٢.

هلكت بظلمها، ودمرت بإصرارها على الكفر، لا تخلو آيات القرآن من قصصهم، وعاقبة أمرهم فلماذا الإصرار على التشبه بهم، والافتداء بهم؟ هل ليصدق القول ما أشبه اليوم بالأمس؟ نحن نرى مشاهد الظلم تتكرر، الضحية واحدة والظالم يُغير أقنعة وأسماء فهم يعيشون في الأرض فساداً، ولم يأخذ هؤلاء وغيرهم من الظالمين والسفاحين عبرة من أقوامٍ خلت، وجبابرة قصمهم الله ﷻ لإصرارهم على الضلال ورفض الهداية.

• الإنسان مسؤول ومحاسب على اختياراته:

كثيراً من الناس يجهل أنه يمتلك الاختيار، وأن الله ﷻ أعطاه من الأدوات ما يُمكنه من تحديد ما يُريده فوهبه العقل والبصر والإدراك وبّين له طريق الهداية، وطريق الضلال قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وأيضاً قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وأيضاً قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

بعث له الرسل والأنبياء ليأخذوا بيده نحو الطريق السليم ليخرجوه من الظلمات إلى النور ناهيك عن أخبار الأقسام السالفة ومآل المؤمن منهم والكافر، فهل يا ترى بعد ذلك سيكون للظالم حجة على الله ﷻ بأنه مسير لا يملك الخيار؟ بالتأكيد لا فالظلم هو هو وأفعال الظالمين هي هي على اختلاف الأزمان والعصور إذاً فالمصير سيكون نفسه.

فهل سيرر العميل بيعة لنفسه، ورصده للمجاهدين وتبليغه عنهم بأنه لا يعلم مصير الخائن ألم يشهد بنفسه على عملاء طبق فيهم حكم الله ﷻ، ألم يُعط فرصة تلو الأخرى للتوبة ولكنه فوتها على نفسه فليتحمل وليحاسب على أفعاله واختياره.

المبحث الثالث
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٧١-٧٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات المؤمنين ومصيرهم في الآخرة.

المطلب الثاني: جهاد الكافرين والمنافقين والإغلاظ عليهم.

المطلب الثالث: حث المنافقين على التوبة وتحذيرهم من التولي.

المطلب الأول

صفات المؤمنين ومصيرهم في الآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن أحوال المنافقين وصفاتهم الخبيثة وسوء عاقبتهم، أعقبته بذكر صفات المؤمنين المحمودة الذين زكت نفوسهم وطهرت سرائرهم، وما أعد له من الثواب الدائم والنعيم المقيم.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

المؤمنون والمؤمنات بعضهم أحياء ونصراء بعض بمقتضى الإيمان، يأمرون بما يأمر به دينهم الحق، وينهون عما ينكره الدين، يؤدون الصلاة في أوقاتها، ويؤتون الزكاة لمستحقيها على أكمل وجه، ويأتمرون بما أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ، وينتهون عما ينهون عنه، وهؤلاء هم الذين سيظلون في رحمة الله ﷻ، فإن الله ﷻ قادر على رعايتهم بالرحمة، حكيم في عطائه.

إنَّ الله ﷻ قد وعدهم بالجنة خالدين في نعيمها، وقد أعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم في دار الإقامة والخلود، ولهم مع ذلك رضا الله ﷻ عنهم يستشعرون به، وهو النعيم الأكبر، وذلك هو الفوز العظيم.^(٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾: "أي هم المصدقون بالله ﷻ ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم أن بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم.

(١) ينظر: تفسير المراعي ١٠ / ١٥٩، والتفسير المنير ١٠ / ٣٠٣، والتفسير الوسيط، طنطاوي ٦ / ٣٤٨.

(٢) ينظر: المنتخب ٢٧٢.

- «يأمرون بالمعروف»: أي يأمرّون الناس بالإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ، وبما جاء به من عند الله ﷻ". (١)
 - «ويقيمون الصلاة»: "أي يؤدّون الصلاة المفروضة في أوقاتها بإخلاص وخشوع.
 - «ويؤتون الزكاة»: أي يعطون الزكاة المفروضة لمستحقيها بدون منّ أو أذى.
 - «ويطيعون الله ورسوله»: أي يأتّمرون بأمر الله ورسوله، وينتّهون عما نهاهم عنه في سائر الأحوال بدون ملل أو انقطاع أو تكاسل". (٢)
 - «جنات»: "هي البساتين الكثيرة الأشجار، الملتفة الأغصان، التي تستر ما حولها من الأرض. ومساكن طيبة: أي منازل حسنة البناء طيبة القرار.
 - «جنات عدن»: عدن اسم مكان خاص في الجنة كالفرديوس، بدليل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالنَّبِيِّ إِِنَّهٗ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١]، ويدل عليه ما روى أبو الدرداء ؓ عن رسول الله ﷺ "عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النّبِيّونَ والصّدِيقونَ والشّهَدَاءِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى طُوبَى لِمَن دَخَلَ". (٣)
 - «فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ» "أي: خلد وإقامة، وفي "عدن" قولان:
أ. أنّه اسم لموضع معين في الجنة.
ب. أنه صفة للجنة". (٤)
- يتضح للباحثة أنّ "القول الأول يعني أنّ مساكنهم في جنّات عدن، والقول الثاني وصفها بأنّها عدن، أي أنّها تجري مجرى دار السكّن والإقامة.
- «ورضوان من الله أكبر»: أي وشيء من رضوان الله ﷻ أكبر وأعظم من ذلك كله؛ لأنّ رضاه ﷻ هو سبب كل فوز وسعادة، ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته، والكرامة أكبر أصناف الثواب ذلك إشارة إلى ما وعد الله ﷻ، أو إلى الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزاً". (٥)

(١) جامع البيان ١٤ / ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق ١٤ / ٣٤٧، والتفسير الوسيط ٦ / ٣٤٩.

(٣) أخرجه البزار في مسنده ١٠ / ١٧، حديث رقم: ٤٠٧٩. قال الهيثمي: رواه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف. (مجمع الزوائد ١ / ٧٦٠)، تخريج أحاديث الكشاف ٢ / ٧٩، والتفسير المنير ١٠ / ٣٠٢.

(٤) اللباب ١٠ / ١٤٥.

(٥) التفسير المنير ١٠ / ٣٠٢ - ٣٠٣.

٢. البلاغة:

أ. «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله»: "في هذه الآيات مقابلة لطيفة بين صفات المؤمنين وصفات المنافقين التي وردت في الآيات السابقة، ومقابلة أيضاً في الجزاء بين نار جهنم والجنة، فهي مقابلة في الصفات وفي الجزاء".^(١)

ب. لقد ذكر الله ﷻ هنا قوله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» ولم يذكر: من، كما قال في المنافقين: «بعضهم من بعض»: دلالة على أن أحداً منهم لم يقلد أحداً في أصل الإيمان، ولا وافقه بحكم الهوى؛ وللاشعار بأن المؤمنين في تناصرهم وتعاضدهم وتراحمهم مدفوعون بدافع العقيدة الدينية التي ألقت بين قلوبهم، وجعلتهم أشبه ما يكونون بالجسد الواحد، فذلك دليل على صحة إيمانهم ورسوخهم في تسليمهم وإذعانهم، أما المنافقون فلا توجد بينهم هذه الروابط السامية، وإنما الذي يوجد بينهم هو التقليد واتباع الهوى، والسير وراء العصبية الممقوتة، فهم لا ولاية بينهم، وإنما الذي بينهم هو التقليد وكراهية ما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ.^(٢)

ج. «ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»: "هنا خصص إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة بالذكر من جملة العبادات؛ لكونهما الركنتين العظيمين فيما يتعلق بالأبدان والأموال".^(٣)

د. قوله «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»: "يوجبُ المبالغة في التَّرهيب والتَّرهيب؛ لأنَّ العزيز هو الذي لا يمنع من مراده في عبادته من رحمة أو عقوبة، والحكيم هو المدبر أمر عبادة على ما تقتضيه الحكمة".^(٤)

هـ. «جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر»: "يحتمل أن يكون العطف هنا؛ لتعدد الموعود لكل واحد له، أي: (فكل مؤمن ومؤمنة له جنات ومساكن أو للجميع على سبيل التوزيع)، أي: فالجنات والمساكن معدة للجميع، ثم يقسمونها على حسب سعيهم في الدنيا، أو إلى تغاير وصفه أي وصف الموعود فكأنه وصفه أولاً بأنه جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها؛ لتميل إليه طبائعهم أول ما يقرع أسماعهم، ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش، معرى عن شوائب الكدرات التي لا تخلو عن شيء منها

(١) التفسير المنير ١ / ٣٠٢.

(٢) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٥٤٣ - ٥٤٤، والتفسير الوسيط ٦ / ٣٤٩.

(٣) فتح القدير ٢ / ٤٣٤.

(٤) اللباب ١٠ / ١٤٤.

أماكن الدنيا، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار رب العالمين، لا يعترِبهم فيها فناء ولا تغيير، ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾؛ لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز باللقاء^(١).

و. ﴿ورضوانٌ من الله أكبر﴾: "أفاد التتكير هنا التقليل والتحقير، أي: ورضوان حقير أقل من رضوان الله أكبر من جميع ما تقدم من الجنات ومساكنها الذي أعطاهم الله إياه، وفيه دليل على أنه لا شيء من النعم وإن جلت وعظمت يماثل رضوان الله ﷻ وأن أدنى رضوان منه لا يساويه شيء من اللذات الجسمانية، وإن كانت على غاية ليس وراءها غاية"^(٢).

ز. ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾: "إشارة إلى ما سبق ذكره من الجنات والمساكن وصفاتهما، والرضوان الإلهي، وما فيه من معنى البعد؛ للإيدان ببعدهما في العظم والفخامة فهو دون ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا فإنها مع قطع النظر عن فوائدها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة إلى أدنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض"^(٣).

٣. الإعراب:

- ﴿إن الله عزيز حكيم﴾: "جملة تعليلية لجملة ﴿سيرحهم الله﴾ أي: أنه تعالى لعزته ينفع أوليائه وأنه لحكمته يضع الجزاء لمستحقه"^(٤).
- ﴿خالدين﴾: "حال من المؤمنين".
- الجار ﴿في جنات﴾: متعلق بنعت ثاب لمساكن أي: كائنة في جنات.
- الجار ﴿من الله﴾ متعلق بنعت لـ ﴿رضوان﴾، وجاز الابتداء بالنكرة لوصفها بالجار"^(٥).

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• الولاء للمؤمنين:

إن أهل الإيمان من الذكور والإناث متناصرون متعاقدون، كما جاء في الحديث الصحيح: عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" وشبك

(١) ينظر: البحر المديد ٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥، وأنوار التنزيل ٣/ ٨٩.

(٢) فتح القدير ٢/ ٤٣٥، واللباب ١٠/ ١٤٦.

(٣) إرشاد العقل السليم ٤/ ٨٣ - ٨٤.

(٤) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٦٣.

(٥) المجتبى ٢/ ٤٠٤.

أصابه^(١)، وفي الصحيح أيضاً: عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".^(٢)

"كان التعاون بين المسلمين والمسلمات قائماً في الميادين والمواقف الحاسمة كلها كالهجرة والجهاد، فقد كان للمرأة دور بارز في إنجاح الهجرة، وكانت النسوة في المعارك والحروب مع الأعداء يسقين الماء، ويجهز الطعام، ويحرضن على القتال، ويرددن المنهزم من الرجال، ويواسين الجرحى، ويعالجن المرضى، والمؤمنين إخوة تسودهم المحبة والمودة والتعاون والتعاطف، وأما المنافقون فلا رابطة قوية بينهم ولا عقيدة تجمعهم، وإنما هم أتباع بعضهم بعضاً في الشكوك والجبن والبخل والانهزام والتردد؛ لأن قلوبهم مختلفة".^(٣)

ولعلنا نرى من الترابط مشاهد رائعة تعكس الانتماء والارتباط بين الفلسطينيين فالاحتلال يقصف ويهدم بيوتاً على رؤوس ساكنيها ويُرَوِّع الآمنين لِيُزْعَج ثقة الشعب بمقاومته وبمجاهديه، ولكنه لا يدري أن الشدة تزيدنا التحاماً والتفافاً حول المقاومة؛ لأن صواريخه لا تُفَرِّق بين أبناء التنظيمات أو الفصائل، ويتآخى أبناء الشعب حيث إنهم يقتسمون المسكن والمأكل على الرغم من ضيق الحال، والحصار أملاً في النصر والتحرر.

فحينما شنَّ الاحتلال حروبه على غزة ظنَّ أنَّ النَّاس ستفض من حول المقاومة وأنهم سيهربون إلى خارج غزة لكن على العكس تهافت المسلمون من جميع أصقاع الأرض نحو غزة تضامناً ودعماً لصمودهم.

• الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

"إنَّ هذه الصفة من أهم صفات المؤمنين التي تميزهم عن غيرهم، وتجعلهم مُستحقون لرحمة الله ﷻ ورضوانه، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أرشدنا الرسول ﷺ في عدة أحاديث إلى عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشموله لكل مسلم"^(٤)، فقال عليه السلام: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".^(٥)

(١) صحيح البخاري ١/ ١٠٣، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم: ٤٨١.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٩، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٢٥٨٦.

(٣) التفسير المنير ١٠/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤) البدع الحولية ٨٤، ٨٥.

(٥) سبق تخريجه ص ١٣٢.

إنَّ المؤمن مُفتاح للخير، مغلاق للشر يدعو للفضيلة ويحذر من الرذيلة وهذا واجب كل مؤمن لكي يستقيم المجتمع ويصلح أفرادُه، ويكون ذلك بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وليس بالشدة والإجبار، فعلى سبيل المثال المُعلم حينما يلمس خُلُقاً سلبياً من طلابه عليه أن يوجههم إلى الخُلُق السليم ولكن بأسلوب راقٍ لطيف ليتقبل الطلبة منه النصيحة.

الأب أيضاً عليه أن يكون ودوداً مع أبنائه حينما يُعلمهم الصلّاة، ويُرغبهم في الصيام والأعمال الطيبة وألاً يشدد عليهم والأصل أن يكون هو قُدوتهم وأُسوتهم ولا يأمرهم بشيء وهو فاقده وغير مُلتزم به. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

فتعديل السلوك الإنساني وتقويمه ليس سهلاً بل يحتاج إلى دراية وتحمل؛ لأن ترك النفس لأمر عادات عليها ليس هيناً ولكن علينا ألا نترك المنكر يستفحل في طبائعنا وأخلاقنا.

• السعادة الروحية أكمل وأشرف من السعادة الجسدية:

ويؤيده ما رواه الشيخان والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً".^(١)

"وقيل: إن الرضوان هو رؤية الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَوْدَعُ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]".^(٢)

إنَّ من صفات جنات عدن التي وعد الله صلى الله عليه وسلم بها عباده ما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنه: تقع جنات عدن في وسط الجنة، وهي أعلى درجة فيها، وهي دار الله صلى الله عليه وسلم، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها^(٣)، "وقوله صلى الله عليه وسلم: أنها دار الله صلى الله عليه وسلم التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر".^(٤)

(١) صحيح البخاري ١١٤/٨، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، حديث رقم: ٦٥٤٩، وصحيح مسلم ٤/٢١٧٦، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، حديث رقم: ٢٨٢٩.

(٢) التفسير المنير ١٠/٣٠٦.

(٣) ينظر: زاد المسير ٢/٢٧٧.

(٤) مفاتيح الغيب ١٦/١٠١.

وحديث خير الأنام عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ، قال: "إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء".^(١)

ها نحن الآن في زماننا الحالي رغم كثرة المغريات إلا أننا نرى من يعيش بشظف وبعدها، وكل ذلك لنيل وعد الله ﷻ لعباده ألا وهي نسأل الله ﷻ أن يرزقنا بها.

• صفات المؤمنين والتزامهم بالطاعة وأداء الفرائض:

الصلاة عمود الدين وأول ما يُحاسب عليه الإنسان فنجد القرآن يحثنا على أدائها تامة، ويؤكد على أنها من صفات المؤمنين وذلك لأنها تُعمق الصلة بين الإنسان وربه، يُناجي خالقه وبيث كل ما في نفسه إلى مولاه، وهي تُهذب أخلاق المسلم وتعوده الطهارة والنظافة في ملبسه وفي جسده.

ولكن للأسف قد نجد من يتهاون في أدائها، من تأخير أو تقويت لبعض الفروض بدعوى الانشغال.

كما أنّ المؤمن يلتزم بالزكاة التي تجعله يُخرج من ماله حق المساكين والمحرومين، يشعر بحاجة الفقراء فيمنح ويُعطي ويُقرض الله ﷻ قرصاً حسناً، فعلى الإنسان ألا يكون عبداً لهذا المال، حريصاً على جمعه وإخفائه بل يجب على التجار والأغنياء بشكلٍ خاص أن يتحرروا من قيود المال ويبذلوا للفقراء والمساكين، يكفلون الأيتام ويراعوهم لكن هناك مشهداً أصبح - للأسف - مألوفاً ومكرراً من بعض الأشخاص الذين امتننوا التسول وطرق أبواب المؤسسات والجمعيات الخيرية واقتناص ما يستطيعون من مساعدات وتبرعات، ومزاحمة غيرهم ممن يستحقون ويحتاجون.

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٧، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، حديث رقم: ٢٨٣٠.

المطلب الثاني

جهاد الكافرين والمنافقين والإغلاظ عليهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"لما وصف المنافقين بالصفات الخبيثة، وتوعدهم بأنواع العقاب، ثم ذكر المؤمنين بالصفات الحسنة، ووعدهم بالثواب، عاد إلى شرح وبيان أحوال الكفار والمنافقين في هذه الآية الكريمة".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

في الآية الكريمة خطاب من الله ﷻ بقوله للرسول ﷺ يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بإلزام الحجة وإقامة الحدود، واغظ عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رافة، ومأواهم جهنم وييسر المصير مصيرهم.^(٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

"قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أما جهاد الكفار فبالسيف، وفي جهاد المنافقين قولان:

أ. أنه باللسان، قاله ابن عباس وآخرون.

ب. جهادهم بإقامة الحدود عليهم".^(٣)

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: أي عاملهم بخشونة، وشدد عليهم في القول والفعل، ولا ترفق بهم فإن الرفق يكون بحملهم على الإيمان بالشدة عليهم حتى لا يمعنوا في الكفر، وعسى أن تكون الشدة دافعة غرورهم مانعة طغيانهم، وهذا عذابهم في الدنيا، ويكون بالهزيمة، والخزي والخسران.^(٤)

(١) اللباب ١٠ / ١٤٦.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل ٣ / ٨٩.

(٣) زاد المسير ٢ / ٢٧٨.

(٤) ينظر: زهرة التفاسير ٧ / ٣٣٧٦، وأيسر التفاسير ٢ / ٣٩٨.

٢. البلاغة:

أ. "قوله تعالى: ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾: قال ابن عباس: يريد شدة الانتهاز لهم، والنظر بالبغضة والمقت".^(١)

ب. ﴿وَمَا أَوْاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: "والمعنى يسيرون إلى الآخرة حتى يجدوا المأوى الذي يؤويهم، وهو جهنم وفي هذا نوع من التهكم؛ لأن المأوى يأوي إليه الإنسان ليجد فيه المستقر والراحة والاطمئنان، فذكر المأوى في هذا المقام تهكم عليهم كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾".^(٢)

٣. الإعراب:

- ﴿وَمَا أَوْاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: قال أبو البقاء في إعرابه: إن قيل كيف حسنت الواو هنا، والفاء أشبه بهذا الموضع ففيه ثلاثة أجوبة:

أ. أن الواو واو الحال، والتقدير: (أفعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم، وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم).

ب. أن الواو جيء بها تنبيهاً على إرادة فعل محذوف تقديره (واعلم أن جهنم مأواهم).

ج. أن الكلام قد حمل على المعنى، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة، وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم ولا حاجة إلى هذا كله؛ لأن الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة؛ لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله، ﴿وبئس المصير﴾ الواو عاطفة، وبئس المصير فعل وفاعل، والمخصوص بالذم محذوف للعلم به (أي مصيرهم).^(٣)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• صفة جهاد المنافقين:

يتضح لنا أن جهاد المنافقين ليس هو قتالهم، وإنما هو أمر وراء ذلك، من المجادلة بالحجة والإقناع، أو اليقظة والتفتن والحذر، أو كشف خططهم وإحباطها، وما شابه هذا. إذاً هناك جهاد النفس والمال، وجهاد اليد واللسان، وجهاد القلب، وجهاد الدعوة.

(١) زاد المسير ٢ / ٢٧٨.

(٢) زهرة التفاسير ٧ / ٣٣٧٧.

(٣) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٣٥.

فبناء الحياة وتميئتها، والتأسيس لنهضتها، وتحقيق مصالح الناس ورفاهيتهم، وإصلاح العقول والنفوس والأبدان، وتحسين التعليم والصحة والاقتصاد والإعلام، ورفع مستوى المعيشة، وتطوير أبحاث العلوم، وتشجيع الإبداع، وحل المشكلات القائمة، إن كل ذلك هو من الجهاد، وهو من طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

إن الاختراعات الحديثة كالسيارة أو الهاتف أو الطائرة أو التلفاز قد أحدثت في حياة الناس ومجتمعاتهم وطرائق عيشتهم في البناء والتواصل والفهم والبرامج المختلفة أكثر بكثير مما أحدثته المعارك الكبرى في التاريخ، وأصحابها أصبحوا مشاهير كشهرة القادة العسكريين العظام أو أكثر وهذا يؤكد على الأهمية الكبرى لتعميق هذا الفهم في نفوس الناشئة، ليدركوا أن نجاحهم في التعليم أو الابتكار أو التفكير الجاد هو مصلحة دنيوية، وإلى ذلك فهو جهاد أخروي يرجى لهم عليه جزيل الأجر ووافر الثواب، ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، فكم من الأجور تنالها حين تكون مخترعاً تقدم لملايين البشر تسهياً في سفرهم أو إقامتهم أو صحتهم أو علاقاتهم؟ أليس تغيب هذا المفهوم الرباني سبباً رئيساً ومسؤولاً أولياً عن التخلف الحضاري الذي يعيشه المسلمون؟ والذي لا يفكر الكثير من أبنائهم بالخلاص منه إلا من خلال البنديقية التي صنعها غيرهم؟!

• الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة:

إن حكمة الله ﷻ أن جعل الصراع بين الحق والباطل باقٍ إلى يوم القيامة ، وما دام هذا الصراع موجوداً فالجهاد موجود، لا يحد بوقت معين، فمتى وجد الباطل والضلال والكفر، فالجهاد ماضٍ، وفضيلته باقية بحسب كل زمان ومكان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وروي عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً أنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة"^(١)

• جهاد الكفار والمنافقين أمر من رب العالمين:

"أمر الله ﷻ الرسول والمؤمنين بجهاد وقتال الكفار والمنافقين والتعامل معهم بقوة دون شفقة أو رحمة ما داموا مُصرين على إيذاء المسلمين، وتدمير دولتهم، وإبادة دينهم"^(٢)، فهناك مراتب

(١) مسند أحمد ٢٣ / ٣٣٥، مسند المكثرين من الصحابة، مسند: جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم:

١٥١٢٧. صحح إسناده الأرنؤوط.

(٢) الكشف والبيان ٥ / ٦٩، وتفسير البغوي ٢ / ٣٦٩ - ٣٧٠.

لقتالهم ومجاهدتهم، فمن أشهر سلاحه في وجه المسلمين، وحاربتهم وخانهم فالقتل والسيف جزاؤه.

مثلاً العميل الذي يتجسس لصالح العدو ويُبَلِّغ عن تحركات المجاهدين هو يعلم أنّ هذه المعلومات ستكون سبباً في استهداف الأمنين وقتلهم، وقد أُعطي فرصة للتوبة وللابتعاد عن هذه الطريق المظلم وأبى وأصر على جرائمه، ويُمكن مجاهدة هؤلاء المنافقين بالكشف عن مؤامرتهم وتبصير الناس وتوعيتهم بالحقيقة، وبمجادلتهم بالتّي هي أحسن لعلمهم يعودوا إلى جادة الصواب.

فجهد الكفار والمنافقين واجب لكن هناك من يتخاذل ويتراخى عن جهاد الكفار والمنافقين بدعوى الرغبة في السلام، والتعايش معهم، وأننا لا نقوى على مواجهتهم فهم يفوقونا عدّة وعتاد، والواقع الإقليمي المتخاذل يحتم علينا مُهادنتهم لأنهم بشر يستحقون الحياة، هؤلاء لا ينظرون إلى العدو المجرم أنه قاتل بل يلومون الضحية لأنها تُدافع عن نفسها أياماً قاسية وحروباً متكررة، قصف متواصل وقتل على الهواء مباشرة في غزة وبعض الدول، ولا أحد يُحرك ساكناً أمة مُخدّرة، نائمة لا تملك قُوّتها وقمحتها فبالتأكيد لن تملك حريتها.

المطلب الثالث

حث المنافقين على التوبة وتحذيرهم من التولي

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"بعد أن قارن الله ﷻ صفات المؤمنين مع صفات المنافقين، وقابل بين جزاء كل من الفريقين، عاد مرة أخرى إلى تهديد الكفار والمنافقين وإنذارهم بالجهاد، وأبان أسبابه من إظهار الكفر، وحلف الأيمان الكاذبة، وقول كلمات فاسدة، ثم فتح لهم باب الأمل وهو التوبة، وهددهم بالعذاب الأليم إن أصروا على الكفر".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"يخلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئاً سيئاً إلى الرسول وإلى المسلمين، وإنهم لكاذبون؛ فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام وحاولوا الإضرار برسول الله ﷺ، فلم يمكنهم الله ﷻ من ذلك، وما وجد المنافقون شيئاً يعيبونه وينتقدونه، إلا أن الله ﷻ تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه ﷺ من الخير والبركة، فإن يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو خير لهم، وإن يعرضوا، أو يستمروا على حالهم، يعذبهم الله ﷻ العذاب الموجه في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم منقذ ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب".^(٢)

ثالثاً: سبب النزول:

اختلف أئمة التفسير في بيان سبب نزول هذه الآية على عدة أقوال منها:

- أخرج الطبري بإسناده عن عروة بن الزبير: «يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر» قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: «إن كان ما جاء به محمد حقاً، لنحن أشرُّ من الحُمُر!»، فقال له ابن امرأته: والله، يا عدو الله، لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فإني إن لا

(١) التفسير المنير ١٠ / ٣١١.

(٢) التفسير الميسر ١ / ١٩٩.

أفعل أخاف أن تصيبي قارعةً، وأؤاخذ بخطيئتك فدعا النبي ﷺ الجلاس، فقال: "يا جُلاس، أقلت كذا وكذا؟ فحلف ما قال، فأنزل الله ﷻ الآية". (١)

- عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلِّ شجرة، فقال: "إنه سيأتكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: علام تشمتني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾، ثم نعتهم جميعاً، إلى آخر الآية. (٢)

- "وقيل: نزلت في عبد الله بن أبيّ لما قال ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ مِنْهَا الأذَلَّ﴾، وأراد به الرسول ﷺ، فسمع زيدُ بنُ أرقم ذلك وبلغه إلى الرسول ﷺ، فهمَّ عمرُ بقتل عبد الله بن أبيّ، فجاء عبد الله وحلف أنه لم يقل فنزلت الآية". (٣)

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ أربعة أقوال:

أ. نزلت في ابن أبيّ حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

ب. نزلت فيهم حين همّوا بقتل رسول الله ﷺ، رواه مجاهد عن ابن عباس، قال: والذي همَّ رجل يقال له: الأسود. وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلاً، همّوا بقتله ليلة العقبة.

ج. أنه لما قال بعض المنافقين: إن كان ما يقول محمد حقاً، فنحن شرُّ من الحمير، وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شرُّ من الحمير، همَّ المنافق بقتله فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾، هذا قول مجاهد.

د. أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أبيّ تاجاً نباهي به رسول الله ﷺ فلم ينالوا ما همّوا به. (٤)

(١) أخرجه الطبري ١٤ / ٣٦١. وضعفه السقاف وقال: رواها ابن جرير من مرسل عروة بن الزبير ومن بلاغات ابن إسحاق. (تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ص: ٢٦٤).

(٢) ينظر: جامع البيان ١٤ / ٣٦٣، وتفسير البغوي ٢ / ٣٧٠، مسند أحمد ٤ / ٢٣١، حديث رقم: ٢٤٠٧. [حكم الأرنؤوط: حسن].

(٣) اللباب ١٠ / ١٤٧ - ١٤٨.

(٤) زاد المسير ٢ / ٢٧٩.

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- فأما «كلمة الكفر»: فهي سبهم الرسول ﷺ وطعنهم في الدين.
- قيل: هي كلمة الجلاس بن سويد السابقة الذكر، وقد قيل: هي كلمة عبد الله بن أبي بن سلول حيث قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»^(١).
- «وهموا بما لم ينالوا» الهم: نية الفعل سواء فعل أم لم يفعل، ونوال الشيء حصوله، أي هموا بشيء لم يحصلوه والذي هموا به هو الفتك برسول الله ﷺ عند مرجعه من تبوك اجتمع خمسة عشر منهم على أن يترصدوا له في عقبة بالطريق تحتها واد فإذا اعتلاها ليلاً يدفعونه عن راحلته إلى الوادي وكان رسول الله ﷺ سائراً وقد أخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها، وكان حذيفة بن اليمان يسوقها فأحس حذيفة بهم فصاح بهم فهربوا.^(٢)

٢. البلاغة:

«وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله»: تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأنه قال ليس له صفة تعاب وتكره إلا أنه ترتب على قدومه إليهم وهجرته عندهم إغناء الله ﷻ إياهم بعد الخصاصة والفاقة وشدة الحاجة وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تدم أصلاً.^(٣)

٣. الإعراب:

«إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ»: فيه وجهان:

- أ. أنه مفعول به، أي: (وما كرهوا وعابوا إلا إغناء الله إياهم)، وهو من باب قولهم: ما لي عندك ذنبٌ إلا أن أحسنت إليك، أي: إن كان ثمَّ ذنبٌ فهو هذا، فهو تهكمٌ بهم.
- ب. أنه مفعولٌ من أجله، وعلى هذا فالمفعول به محذوف تقديره: (وما نقموا منهم الإيمان إلا لأجل إغناء الله إياهم).^(٤)

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٤/ ١٣٥، وزاد المسير ٢/ ٢٧٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٣) إعراب القرآن وبيانه ٤/ ١٣٦.

(٤) الدر المصون ٦/ ٨٧.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• قبول توبة المنافق والكافر:

في هذه الآية دليل صريح على قبول توبة من كفر بعد إسلامه، وأنهم لا يعذبون في الدنيا ولا في الآخرة عذاباً أليماً بمفهوم الشرط قال تعالى: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وقد اتفق العلماء على أن كل من تاب ممن كفر فإنه تقبل منه التوبة، ويرتفع عنه القتل، والمنافق أيضاً تقبل توبته لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

فهناك من يتباهى بأرائه المعادية للإسلام وللمسلمين، بل تفتح له الفضائيات أبوابها وتمنحه مساحات واسعة ليعرض كفره وفسقه وفجوره، تخرج علينا راقصات وممثلات ينتقدن الإسلام والحجاب ويُسمى هذا كله حرية الرأي، وحرية التعبير عن الرأي، وهناك قوى ودول تدعم وتساند هؤلاء المجاهرين بعدائهم للإسلام وتوفر لهم الحماية.

• الخيارات المطروحة والمتاحة أمام المنافقين:

الله ﷻ رحيم بعباده، أرسل الأنبياء ليبينوا لهم سبيل الرشاد، وهب الإنسان من الأدوات التي تمكنه من الاهتداء والنجاة. أعطاه العقل والبصر والفهم والإدراك، يفرح الله ﷻ بطاعتنا ويجزل لنا العطاء، وإن أسأنا أو انحرفنا يبقى باب التوبة مفتوحاً، والذي يؤوب إلى الله ﷻ ويتوب توبةً نصوحاً ويندم على أفعاله يجد الله ﷻ رحيماً غفاراً لذنوبه.

فعلى العملاء ومُروجي الشائعات، والمتطاولين على الدين والشامتين بالمقاومة والشهداء الرجوع إلى طريق الله ﷻ والندم عما اقترفته أيديهم، وتلفظت به ألسنتهم فهذا خيرٌ لهم وأقوم وإلا فالخيار الثاني هو الإصرار والعناد والتمسك بطريق الشيطان والانحراف عن سوء السبيل، فهناك مُخرجة مصرية جاحدة فاجرة قالت في لقاء تلفزيوني: أدعو الله ﷻ ألا يهديني للحجاب. فإلى أي درجة بلغت من الجحود والكبر والتبجح؟! أصرت على الكفر والمعصية، أغلقت قلبها وعقلها عن التوبة فما يكون مصيرها؟!

- وعميل بعد إلقاء القبض عليه يقول: إنه فخور بما قدّمه للاحتلال الاسرائيلي وليس نادماً على عمله.

ماذا ينتظر أمثاله من الفاسدين المفسدين؟! العار في الدنيا والآخرة وعذاباً شديداً في جهنم وبئس المصير.

• المنافق لا أعوان ولا أنصار له من دون الله ﷻ:

مخطئ من استقوى بماله أو عائلته أو قوته من دون الله ﷻ، فهؤلاء اغتروا بما أعطاهم الله ﷻ وهو قادر على سلبهم ما يظنون أنه مصدر لقوته وبطشه، يلجأون إلى العدو أحياناً ويستتصرونه على شعوبهم، يخزنون الأسلحة والمعدات الحربية ليدافعوا بها عن كراسيهم لا ليدافعوا عن كرامتهم، يُصرون على الانبطاح تحت أقدام أسيادهم من اليهود والأمريكان.

خدموهم بإخلاص وتفاني لكن هل سيفي لهم العدو بوعوده بحمايتهم إذا انكشف أمرهم، وزال عنهم سلطانهم، بالتأكيد لا، فهم مجرد خدم مطلوب منهم أداء مهمة معينة بمجرد انتهائها يُلقونهم في القمامة.

العميل الذي خدم العدو وتجسس على شعبه إذا انكشف أمره هل يعملون على إنقاذه أو افتدائه؟ وهذا ليس أعز من جندي اسرائيلي حينما أوشك أبطال المقاومة على أسره في حرب حجارة السجيل قاموا بقصفه وقتله مع أسريه حتى لا يتكرر شاليط مجدداً.

قس على ذلك رؤساء وأبواقاً إعلامية وسياسية بمجرد انتهاء دورهم اختفوا عن المشهد وغابوا دون ذكر.

الفصل الرابع

التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الرابع من الحزب العشرين

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٧٥-٧٩).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٨٠-٨٣).

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٨٤-٨٧).

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من
آية (٨٨-٩٢).

المبحث الأول
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٧٥-٧٩)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنافقون وخيانة العهد.

المطلب الثاني: مجازاة وتهديد الله للمنافقين.

المطلب الثالث: لمز المنافقين للمؤمنين في الصدقات.

المطلب الأول

المنافقون وخيانة العهد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا آتَيْنَاهُم مِّن فَضْلِهِ لِنُصِّدَّقَ وَلَنُكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعدهما أقام الله ﷻ الدليل على ما ذكر بالآية السابقة التي ختمها بأنه أغناهم من فضله، أتبعها بإقامة الدليل عليها، وعلى أنهم يقبضون أيديهم، وعلى اجترائهم على أقبح الكذب فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا آتَيْنَاهُم مِّن فَضْلِهِ لِنُصِّدَّقَ وَلَنُكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: ٧٥]، فلما رزقهم الله ﷻ، وأعطاهم من فضله ما طلبوا، لم يوفوا بما قالوا، ولم يصدقوا فيما وعدوا، وإنما بخلوا به وأمسكوه، فلم يتصدقوا منه بشيء، ولم ينفقوا منه في مصالح الأمة كما عاهدوا الله ﷻ عليه، بل تولوا بكل ما أوتوا من قوة عن العهد وطاعة الله ﷻ، وأعرضوا إعراضاً جازماً عن النفقة وعن الإسلام، بسبب تأصل طبع النفاق في نفوسهم".^(٢)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"هاتان الآيتان فيهما بيان لحال طائفة أخرى من المنافقين أغناهم الله ﷻ بعد فقر وإملاق، وقد كانوا يلجأون إلى الله ﷻ وقت البأساء والضراء فيدعونه ويعاهدونه على الشكر له والطاعة لشرعه إذا هو كشف ضرهم وأغناهم بعد فقرهم، فلما استجاب دعاءهم نكصوا على أعقابهم وكفروا بالنعمة وهضموا حقوق الخلق ومثل هؤلاء يوجدون في كل زمان ومكان".^(٣)

ثالثاً: سبب النزول:

يوجد في سبب نزول هذه الآية الكريمة روايتان:

الأولى: "نزلت في رجل من الأنصار كان له مال غائب، فقال: إن رد الله على مالي لأفعلن كذا وكذا، فرد الله عليه ماله فلم يفعل شيئاً، فأنزل الله ﷻ فيه هذه الآية".^(٤)

(١) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٥٥٢ - ٥٥٣.

(٢) التفسير المنير ١٠ / ٣٢٠.

(٣) تفسير المراغي ١٠ / ١٦٨.

(٤) تفسير السمعاني ٢ / ٣٣٠.

الثانية: نزلت في ثعلبة بن حاطب^(١)، روى أبو أمامة الباهلي^(٢): "عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقني مالاً فقال: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: ما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال ذهباً وفضة لسالت، قال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ اللهم أرزقه مالاً، اللهم أرزق ثعلبة مالاً، قال: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فأنزل الله ﷻ فيه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة: ٧٥].^(٣)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «ومنهم من عاهد الله»: أي منهم من أعطى الله ﷻ عهداً.
- «لئن آتانا من فضله»: لئن أعطانا الله ﷻ من فضله، ورزقنا مالاً ووسّع علينا من عنده.
- «لنصدقن»: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا.^(٤)
- «ولنكونن من الصالحين»: أي ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله ﷻ كإعداد العدة للجهاد وبذل المستطاع لخير الأمة وسعادتها بما يرقى بها في مختلف شئونها.^(٥)

(١) ثعلبة بن حاطب: هو ابن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد وأمه أمامة بنت صامت بن خالد بن عطية بن حوط ابن حبيب بن عمرو بن عوف. وكان لثعلبة من الولد عبيد الله وعبد الله وعمير وأهمهم من بني واقف. ورفاعة وعبد الرحمن وعياض وعميرة وأهم لبابة بنت عتبة بن بشير من غطفان، وشهد ثعلبة بن حاطب بدرًا وأحداً. [الطبقات الكبرى ٣ / ٣٥١].

(٢) أبو أمامة الباهلي: صاحب رسول الله ﷺ، ونزيل حمص، روى علماً كثيراً، وحدث عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة، وروى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، ومحمد بن زياد الألهاني، وسليم بن عامر، وأبو غالب حزور، ورجاء بن حيوة، وآخرون، وروي أنه بايع تحت الشجرة. [سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٩٥].

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦ / ١٨٤٧، وتفسير السمعاني ٢ / ٣٣١، وتفسير البغوي ٢ / ٣٧١، والكشاف ٢ / ٢٩٢، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨ / ٢١٨، حديث رقم: ٧٨٧٣، سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤ / ١١٢، حديث رقم: ١٦٠٧. [حكم الألباني: ضعيف].

(٤) جامع البيان ١٤ / ٣٦٩.

(٥) تفسير المراغي ١٠ / ١٦٨، وجامع البيان ١٤ / ٣٦٩.

- ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾: "فلما رزقهم الله ﷻ وآتاهم من فضله، لم يصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق الله ﷻ". (١)
 - ﴿وتولوا﴾: "وأدبروا عن الطاعة والانقياد.
 - ﴿وهم معرضون﴾: أي غير ملتفتين إلى الخير". (٢)
٢. البلاغة:

﴿من فضله﴾: "تقريراً لما قاله المعاهد تأكيداً للإعلام بأنه لا حق عليه لأحد، ولا صنع فيما ينعم به ولا قدرة عليه بوجه". (٣)

٣. القراءات:

- ﴿لَنَصَدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ﴾: قرأهما الجمهور بالنون الثقيلة، والأعمش بالخفيفة. (٤)
- قال الزجاج (٥) الأصل: ﴿لَنَتَصَدَّقَنَّ﴾، ولكن التاء أدغمت في الصاد، لقربها منها.
- قال الليث (٦): المُتَصَدِّقُ: المعطي، والمُتَصَدِّقُ: السائل. قال الأصمعي (٧) والفراء (٨): هذا خطأ.

(١) جامع البيان ١٤ / ٣٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣٤٥.

(٣) نظم الدرر ٨ / ٥٥٣.

(٤) ينظر: الدر المصون ٦ / ٨٨، واللباب ١٠ / ١٤٩.

(٥) الزجاج: الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، مصنف كتاب "معاني القرآن"، وله تأليف جمة منها: "الإنسان وأعضائه"، وكتاب "الفرس"، وكتاب "العروض"، وكتاب "الاشنقاق"، وكتاب "النوادر"، وكتاب "فعلت وأفعلت"، ويقال: توفي سنة ست عشرة. [ينظر: سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٢٢].

(٦) الليث بن سعد: ويكنى أبا الحارث مولى لقيس ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه، وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر. وكان نبياً سخياً. مات يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي. [ينظر: الطبقات الكبرى ٧ / ٣٥٨].

(٧) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر، أبو سعيد الأصمعي البصري، حجة الأدب، اللغوي الأخباري. [سير أعلام النبلاء ١٧ / ٩٨].

(٨) الفراء: العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاها الكوفي النحوي صاحب الكسائي، وكان يروي عن: قيس بن الربيع ومندل بن علي وأبي الأحوص وأبي بكر بن عياش، وعلي بن حمزة الكسائي، وروى عنه: سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما. وكان ثقة. [ينظر: سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٩١].

فالمصدق هو المعطي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].^(١)

٤. الإعراب:

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾: "جملة استئنافية مسوقة؛ لبيان قصة ثعلبة بن حاطب، وهو نموذج مجسد للنفاق".^(٢)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• بخل المنافقين:

يتميز المؤمن عن المنافق بسخائه وجوده وإنفاقه المال بصدق وإخلاص في سبيل الله ﷻ من أجل إعزاز أمته وإعلاء شأن بلاده ودينه، منتظراً من الله ﷻ الثواب الجزيل، وتعويض النفقة، وإخلاف الرزق قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِْبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ﴾ [الليل: ٥-٦]، أما المنافق الذي لا أثر للإيمان في قلبه، ولا ينتظر من الله ﷻ الخير، فتراه بخيلاً ممسكاً المال، يخاف الفقر خوفاً شديداً، من غير إحساس بانتمائه للأمة، ولا إسهام في سبيل إعزازها والدفاع عنها. فعندما يرزقهم الله ﷻ، ويعطيهم من فضله ما طلبوا، لم يوفوا بما قالوا، ولم يصدقوا فيما وعدوا، وإنما بخلوا به وأمسكوه، فلم يتصدقوا منه بشيء ولم ينفقوا منه شيئاً في مصالح الأمة، كما عاهدوا الله ﷻ عليه، بل تولوا بكل ما أوتوا من قوة عن العهد وطاعة الله ﷻ، وأعرضوا إعراضاً تاماً عن النفقة وعن الإسلام، بسبب تأصل طبع النفاق في نفوسهم.

ولما أمدهم الله ﷻ بالرزق من فضله وإحسانه، بخلوا بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في الخير، وبالوفاء بما تعهدوا والتزموا، وتولوا مدبرين معرضين عن الإسلام والإيمان والإحسان فهذه صفات ثلاث لهؤلاء المنافقين: البخل: وهو منع الحق، والتولي عن العهد وتنفيذ الالتزام، والإعراض عن تكاليف الله ﷻ وأوامره، والعهد الذي كان من المنافقين إنما كان بالنية لا بالقول.^(٣)

(١) اللباب ١٠ / ١٤٩.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٣٨.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط ١ / ٨٩١ - ٨٩٣.

المطلب الثاني

مجازاة وتهديد الله للمنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧-٧٨].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعدما تحدثت الآيات السابقة عن المنافقين الذين عاهدوا الله ﷻ، بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في سبيل الخير بخلوا، وتولّوا وهم معرضون عن الإسلام، أتبع ذلك بالحديث عن جزاء صنيعهم وعاقبتهم أن زادهم نفاقاً على نفاقهم بحيث لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب؛ وذلك بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكذبهم.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"تحدثت هذه الآيات عن عقاب المنافقين وذلك بأن الله ﷻ أعقبهم بسبب إخلافهم العهد نفاقاً راسخاً متمكناً في قلوبهم مستمراً إلى يوم يلقون الله ﷻ في يوم الجزاء فيجازيهم حسب نفاقهم وشقاقهم أسوأ الجزاء؛ ذلك بما أخلفوا الله ﷻ ما وعده من الصدق والصلاح والشكر والفلاح ونقضوا عهده، وبما كانوا يكذبون".^(٢)

"ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله ﷻ يعلم ما يخفونه في أنفسهم، وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر، وأن الله ﷻ علام الغيوب؟ فسيجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم".^(٣)

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج بن أبي حاتم بإسناده "عن ابن عباس قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة: ٧٥]، وذلك أن رجلاً كان يقال له: ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال: (لئن آتاني الله من فضله، آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه ووصلت القرابة) فابتلاه الله ﷻ وإنما كانوا يكذبون فاتاه من فضله، فأخلف الله

(١) ينظر: التفسير الميسر ١/ ١٩٩.

(٢) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١/ ٣١٣.

(٣) التفسير الميسر ١/ ١٩٩.

﴿ مَا وَعَدَهُ فَأَغْضِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا أَخْلَفَهُ مَا وَعَدَهُ فَقَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَأْنَهُ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ فيه معنيان:
- أ. "فعاقبهم نفاقاً في قلوبهم، يقال: أعقبه وعاقبه بمعنى واحد.
- ب. أخلفهم نفاقاً في قلوبهم.
- ﴿إلى يوم يلقونه﴾: يوم القيامة".^(٢)
- ﴿وبما كانوا يكذبون﴾: "أي يجددون الكذب دائماً مع الوعد، ومنفكاً عنه، فقد استكملوا النفاق: عاهدوا فغدروا ووعدوا فأخلفوا، وحدثوا فكذبوا.
- ﴿يعلم سرهم﴾: وهو ما أخفته صدورهم".^(٣)
- ﴿ونجواهم﴾: "النجوى: المحادثة بخفاء أي يعلم ما يضمرونه في أنفسهم وما يتحدثون به حديث سر لئلا يطلع عليه غيرهم".^(٤)
- ﴿وأن الله علام الغيوب﴾: "أي الذي له الإحاطة الكاملة".^(٥)

٢. البلاغة:

- أ. "لقد عبر عن (كذبهم) بصيغة «كانوا يكذبون»؛ لدلالة (كان) على أن الكذب كائن فيهم، ومتمكن منهم، ودلالة المضارع على تكرره وتجده، وفي هذا دلالة على وجوب الحذر من إحداث الأفعال الذميمة فإنها تفسد الأخلاق الصالحة، ويزداد الفساد تمكناً من النفس بطبيعة التولد الذي هو ناموس الوجود".^(٦)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٨٤٩، حديث رقم: ١٠٥٠٠.

(٢) تفسير السمعاني ٢/ ٣٣١.

(٣) نظم الدرر ٨/ ٥٥٤.

(٤) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٧٤.

(٥) نظم الدرر ٨/ ٥٥٤.

(٦) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٧٣.

ب. ﴿ألم تعلموا﴾: "بالتاء فائدة الالتفات الإشارة إلى أن هذا العلم إنما ينفع من هُييء للإيمان".^(١)

ج. "الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا﴾ للتوبيخ والإنذار، أو للتنبية القاطع لطريق الاعتذار فإن المنافقين كانوا يؤمنون بوجود الله وعلمه إيماناً إجمالياً تقليدياً، وإنما كانوا يرتابون في الرسالة والوحي والبعث، ولكن ما ذكر من عملهم وأيمانهم الكاذبة باسمه هو عمل من لا يؤمن به، ولا يعلم أنه يعلم سره ونجواه، وأنه علام الغيوب؛ فإن من يعلم هذا علماً صحيحاً فلا بد أن يستحي من الله ﷻ، ويخاف عقابه إن كان يؤمن بالبعث والجزاء، ولكنهم لا يعلمون ذلك ولا يؤمنون بهذا".^(٢)

د. ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾: "فإنها تضمنت توبيخ الله ﷻ للمنافقين الذين عاهدوا الله ﷻ، وأخفوه بموقفهم الشائن كأنهم لا يعلمون أن الله ﷻ يعلم سرهم ونجواهم وأنه ﷻ علام الغيوب، وإلا كيف يعِدونه ويحلفون له أم يحسبون أن الله ﷻ لا يسمع سرهم ونجواهم فموقفهم هذا موقف مخز لهم شائن، وويل لهم حيث لازمهم ثمرته وهو النفاق حتى الموت، وبهذا أغلق باب التوبة في وجوههم، وهلكوا مع الهالكين"^(٣)، إلا أن يتغمدهم الله برحمته وعفوه فيتوب عليهم، "وأظهار اسم الجلالة في الموقعين؛ لإلقاء الروعة، وترية المهابة، وفي إيراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى، وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتبئهم على أنه ﷻ مؤخذهم ومجازيهم بما علم من أعمالهم"^(٤)، "وإنما عطفت النجوى على السر مع أنه أعم منها لينبئهم باطلاعه على ما يحتاجون به من الكيد والطنع".^(٥)

٣. القراءات:

﴿ألم يعلموا﴾: "أي المنافقون أو من عاهد الله ﷻ، فالهمزة هنا للإنكار والتوبيخ والتهديد أي (ألم يعلموا)، وبالتالي فوقية ﴿ألم تعلموا﴾ خطاباً للمؤمنين على سبيل التقرير"^(٦)، "أي أن الله يعلم سرهم ونجواهم أي: جميع ما يسرونه من النفاق، وجميع ما يحتاجون به فيما بينهم من

(١) نظم الدرر ٨ / ٥٥٥.

(٢) تفسير المنار ١٠ / ٤٨٤ - ٤٨٥.

(٣) أيسر التفاسير ٢ / ٤٠١.

(٤) إرشاد العقل السليم ٤ / ٨٦.

(٥) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٧٤.

(٦) إرشاد العقل السليم ٤ / ٨٦.

الطعن على النبي ﷺ، وعلى أصحابه، وعلى دين الإسلام وأن الله ﷻ علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الأشياء المغيبة كائناً ما كان، ومن جملة ذلك ما يصدر عن المنافقين". (١)

٤. الإعراب:

- ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾:

• "الفاعل هو الله ﷻ، أي: (فأعقبهم الله ﷻ بسبب البخل الذي وقع منهم، والإعراض نفاقاً كائناً في قلوبهم، متمكناً منها، مستمراً فيها إلى يوم يلقون الله ﷻ).

• وقيل: إن الضمير يرجع إلى البخل، أي: (فأعقبهم البخل بما عاهدوا الله ﷻ عليه نفاقاً كائناً في قلوبهم إلى يوم يلقون بخلهم، أي: جزاء بخلهم) ومعنى فأعقبهم أن الله ﷻ جعل النفاق المتمكن في قلوبهم إلى تلك الغاية عاقبة ما وقع منهم من البخل.

• والباء في ﴿بما أخلفوا الله ما وعده﴾ للسببية، أي: بسبب إخلافهم لما وعده من التصديق والصلاح، وكذلك الباء في ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ أي: بسبب تكذيبهم بما جاء به رسول الله ﷻ". (٢)

- ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾: "جملة استئنافية؛ لأجل التقرير، والكلام تقرير للمخاطب عنهم؛ لأن كونهم عالمين بذلك معروف لدى كل سامع". (٣)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• وجوب الوفاء بالعهود وخاصة عهود الله ﷻ:

إنَّ بعض المنافقين كانوا قد عاهدوا الله ﷻ ورسوله ﷺ لئن أعطاهم الله ﷻ مالاً كثيراً ليتصدقون، ويعطوا كل ذي حق حقه، فلما آتاهم الله ﷻ مالاً وأغناهم من فضله، بخلوا بالمال وشحوا بالخير، وأمسكوا فلم يتصدقوا بشيء، وبدل أن يصلحوا أنفسهم وأمتهم بالإِنفاق كما عاهدوا الله ﷻ وأقسموا على ذلك، أعرضوا عن ذلك وتولوا وهم معرضون بكل قواهم إِعراضاً راسخاً ثابتاً، وهذا طبع في المنافقين في كل زمان ومكان لازم لهم راسخ فيهم.

فأعقبهم ذلك البخل وهذا الإعراض نفاقاً من النوع العالي الدائم إلى يوم القيامة، ولا غرابة فكل معصية وإن صغرت تحجب شيئاً من نور الإيمان حتى إذا كثرت المعاصي حجبت جميع النور فأصبح القلب في ظلمات الفساد والعصيان والنفاق غارقاً.

(١) فتح القدير ٢ / ٤٣٩.

(٢) المرجع السابق ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٧٤.

كل هذا بسبب ما أخلفوا الله ﷻ وعده، كما في قصة ثعلبة وغيره من المنافقين وغيره في عهدنا وزماننا.

ولقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان".^(١)

فيجب أن يعلم المسلم أن نقض العهد، وخلف الوعد، يورث النفاق، فيجب على المسلم الاحتراز عن ذلك.

ألم يعلم هؤلاء أن الله ﷻ يعلم سرهم ونجواهم، وأن الله ﷻ علام الغيوب يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور!! فالله ﷻ يعلم كل هذا، ولكن المنافقين لا يعلمون.^(٢)

(١) صحيح البخاري ١ / ١٦، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث رقم: ٣٣.

(٢) ينظر: التفسير الواضح ١ / ٩١١.

المطلب الثالث

لمز المنافقين للمؤمنين في الصدقات

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أخبر ﷺ أنه لم يكف المنافقين كفران نعمة الغنى من غير معاهدة حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب مع المعاهدة، أخبر أنه لم يفهم أيضاً ذلك حتى تعدوه إلى عيب الكرماء الباذلين بصفة حبهم لربهم ما لم يوجبهم عليهم. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"هذه الآية بينت أنه من نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيبون على الموسرين من المؤمنين تصدقهم على المحتاجين، ويسخرون بغير الموسرين من المؤمنين؛ لتصدقهم مع قلة أموالهم، وقد جازاهم الله ﷻ على سخريتهم بما كشف من فضائحهم، وجعلهم سخرية للناس أجمعين، ولهم في الآخرة عذاب شديد". (٢)

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج الطبري بإسناده "عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم: أن أجمعوا صدقاتكم! فجمع الناس صدقاتهم. ثم جاء رجل من آخرهم بمن من تمر، فقال: يا رسول الله، هذا صاع من تمر، بيت ليلتي أجر بالجرير الماء، حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما، وأتيتك بالآخر. فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات، فسخر منه رجال وقالوا: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا! وما يصنعان بصاعك من شيء! ثم إن عبد الرحمن بن عوف، رجل من قريش من بني زهرة، قال لرسول الله ﷺ: هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات؟ فقال: لا! فقال عبد الرحمن بن عوف: إن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب: أمجنون أنت؟ فقال: ليس بي جنون! فقال: فعلمنا ما قلت؟ قال: نعم! مالي ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي! فقال

(١) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٥٥٥.

(٢) المنتخب ٢٧٣.

له رسول الله ﷺ: بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت! وكره المنافقون فقالوا: "والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياءً!" وهم كاذبون، إنما كان به متطوعاً، فأنزل الله ﷻ عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر، فقال الله ﷻ في كتابه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾... الآية".^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «الذين يلمزون»: "أي يعيبون في خفاء.
- «المطوعين»: أي الذين ليس عليهم واجب في أموالهم فهم يتصدقون ويحبون إخفاء صدقاتهم"^(٢)، "وأصل المطوعين: المتطوعين، والمراد به هنا من تصدق بكثير".^(٣)
- «من المؤمنين»: "أي الراسخين في الإيمان".^(٤)
- «وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ»: "هم الذين لا يقدرُونَ إلا على القليل فيتصدقون به".^(٥)

٢. البلاغة:

- أ. "واختير المضارع في «يلمزون» و«يسخرون»؛ للدلالة على التكرار".^(٦)
- ب. «في الصدقات»: "ولما كان ما مضى شاملاً للموسر والمعسر، نص على المعسر؛ لزيادة فضله، وإشارة إلى أن الحث على قليل الخير كالحث على كثيره، فقال عاطفاً على «المطوعين»: «وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ» أي من المال «إلا جهدهم» أي طاقتهم التي أجهدوا أنفسهم فيها حتى بلغوها".^(٧)
- ج. "وإسناد سخر إلى الله ﷻ في قوله «سخر الله منهم»: على سبيل المجاز الذي حسنته المشاكلة لفعلهم، والمعنى أن الله عاملهم معاملة تشبه سخرية الساخر أي جازاهم بمثل ذنبهم

(١) أخرجه البخاري مختصراً في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات»، ٧٦/٦، حديث رقم: ٤٦٦٨. وجامع البيان ١٤/٣٨٣.

(٢) نظم الدرر ٨/٥٥٥.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١/٣٤٤.

(٤) نظم الدرر ٨/٥٥٥.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ١/٣٤٤.

(٦) التحرير والتنوير ١٠/٢٧٥.

(٧) نظم الدرر ٨/٥٥٥.

فجعلهم سخرية للمؤمنين وللناس أجمعين، على طريقة التمثيل؛ وذلك في أمر نبيه بإجراء أحكام المسلمين على ظاهرهم زمناً ثم أمره بفضحهم.

د. ويجوز أن يكون إطلاق «سخر الله منهم» على طريقة المجاز المرسل، أي احتقرهم ولعنهم؛ ولما كان كل ذلك حاصلًا من قبل عبر عنه بالماضي في «سخر الله منهم»^(١).

٣. القراءات:

"قرأ عطاء والأعرج^(٢): جهدهم بفتح الجيم، وهما لغتان مثل الجهد والجهيد، والضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة أهل نجد.

وكان الشعبي يفرق بينهما فيقول الجهد: في العمل، والجهد في القوة، وقال القتيبي في الجهد: الطاقة والجهد المشقة"^(٣).

و«جهدهم» بفتح الجيم، والجهد بالضم: الطاقة، وبالفتح: المشقة، وقيل: هما لغتان، ومعناها واحد، والمعنى: أن المنافقين كانوا يعييون فقراء المؤمنين الذين كانوا يتصدقون بما فضل عن كفايتهم"^(٤).

٤. الإعراب:

- «الذين يَلْمِزُونَ» أوجه:

أ. "أنه مرفوعٌ على إضمار مبتدأ، أي: هم الذين يلمزون المتطوعين.

ب. أنه في محل رفع بالابتداء، و«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» حالٌّ من «الْمَطَّوعِينَ».

- و«فِي الصَّدَقَاتِ» متعلق ب «يَلْمِزُونَ»^(٥).

- «والذين لا يجدون إلا جهدهم»: "معطوف على «المتطوعين»، أي: يلمزون المتطوعين،

ويلمزون الذي لا يجدون إلا جهدهم وقيل: معطوف على «المؤمنين»، أي: يلمزون المتطوعين

من المؤمنين، ومن الذين لا يجدون إلا جهدهم.

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٧٥.

(٢) الأعرج: هو يحيى بن زكريا بن يحيى، الإمام الكبير، الحافظ، الثقة، أبو زكريا النيسابوري الأعرج، وسمع:

قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن حجر، وأقرانهم، وسمع من: يحيى بن موسى خت، وارتحل في الشيخوخة ناشراً لعلمه، وكان يطلب الحديث بمصر على كبر السن. مات سنة سبع وثلاث مائة. [ينظر: سير

أعلام النبلاء ١١ / ١٤٩].

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٥ / ٧٧.

(٤) فتح القدير ٢ / ٤٣٩.

(٥) اللباب ١٠ / ١٥٥.

- قوله ﴿فيسخرون منهم﴾ معطوف على ﴿يلمزون﴾، أي: يستهزئون بهم؛ لحقارة ما يخرجونه في الصدقة، مع كون ذلك جهد المقل، وغاية ما يقدر عليه، ويتمكن منه.
- قوله: ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين بمثل ذلك فسخر الله ﷻ منهم بأن أهانهم وأذلهم وعذبهم، والتعبير بذلك من باب المشاكلة كما في غيره، وقيل: هو دعاء عليهم بأن يسخر الله ﷻ بهم كما سخروا بالمسلمين^(١).
- "وجملة: ﴿ولهم عذاب أليم﴾: عطف على الخبر، أي: (سخر منهم وقضى عليهم بالعذاب في الآخرة)^(٢)."

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• حرمة لمر المؤمن والطعن فيه:

إن من الصفات التي ذمها الله ﷻ ورسوله ﷺ السخرية بالناس واحتقارهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

فلقد حرم الله ﷻ على المؤمنين أن يسخر بعضهم من بعض بجميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا لغير ذلك من الأمور.

ها نحن نرى المنافقين في زماننا لا يسلم أحد من لمزهم وطعنهم في جميع الأحوال، حتى المتصدقون والباذلون أموالهم في سبيل الله ﷻ لا يسلمون منهم، إن جاء أحدهم بمالٍ كثير قالوا: مُرَاءٍ، وإن جاء بقليل قالوا: إن الله لغني عن هذا.

والسخرية تमित القلب وتورثه الغفلة، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساخر وتحسر على فعله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَيَّ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]، والسخرية من الناس عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة، في الدنيا قد يبنتلى الساخر بمثل ما سخر، والساخر بعيد عن ربه قريب من الشيطان، قال تعالى عن الكفار: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

(١) فتح القدير ٢/ ٤٣٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٧٦.

• البذل والإنفاق في سبيل الله ﷻ:

يتجلى الإيمان الصادق في أشد المواقف وأقساها، وأحلك الظروف وأصعبها، والمبدأ الراسخ من الإيمان الزائف، فنجد من يسارع للبذل والعطاء في سبيل الله ﷻ ولو بأقل القليل ويبذل ما في وسعه وجلّ طاقته؛ لخدمة الدين، وإعلاء كلمة التوحيد؛ لنيل رضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة، ونجد من يسخر منهم أمثال المتخاذلين عن البذل والعطاء والجهاد في سبيل الله ﷻ، وهذا واضح جليّ في غزوة تبوك.

• مرض القلوب متأصل في المنافقين:

إنّ المنافقين في قلوبهم مرض النفاق، وشغلهم الشاغل هو الاستهزاء، وتحقير عمل الآخرين، فلا هم يبذلون ولا هم يتركون غيرهم دون سلفة بألسنتهم البغيضة، وكلامهم المسموم، وأمثالهم في واقعنا الكثيرون فهناك من يسخر من المقاومة وتضحيات المقاومين من كون صواريخهم مجرد قطعة حديد صدئة لن ترهب إسرائيل أو تفت في عضدها، ويسخرون من خطف الجنود واعتبروها تجارة خاسرة كاسدة، وسخروا من حفر الأنفاق، وسخروا من المرابطين، ولم يكتفوا بالهمز واللمز بل تعدى ذلك إلى التشفي والتشمت بمن ضحى بنفسه واستشهد، أو قصف بيته أو متجره. فهؤلاء ممن تملكهم الشيطان، وتملك قلوبهم وعقولهم موجودون في كل زمان ومكان، ولكنهم لن يكونوا بمنجاة من عذاب الله ﷻ وانتقامه، فجزأؤهم جهنم وبئس المصير.

• غيرة الله ﷻ على أوليائه:

على المؤمن أن يكون واثقاً أن الله ﷻ لن يضيع عمله، وأن الله سيكفيه المستهزئين والمنافقين، وسينتقم منهم في الدنيا والآخرة وأن الله ﷻ يحب من ينصره ويعلي دينه، فلقد سجّل القرآن أن الله ﷻ يسخر من المنافقين ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، فالسخرية هنا من باب المشاكلة أنه سيجازيهم من جنس عملهم بأن يجعلهم سخرية ومحط امتهان وإذلال، فلو نظرنا للساخرين من المقاومة مثلاً أين هم؟ وما هي فضائحهم المالية والأخلاقية وكيف وقعوا مع بعضهم على الفضائيات وكشفوا المستور فأهانهم الله ﷻ وأذلهم وقلل شأنهم، وبالتأكيد ينتظرهم عذاب يوم القيامة على جرائمهم ومصائبهم.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة التوبة

من آية (٨٠-٨٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدم قبول الاستغفار للمنافقين.

المطلب الثاني: فرح المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله ﷺ.

المطلب الثالث: أسباب رفض مشاركة المنافقين في القتال.

المطلب الأول

عدم قبول الاستغفار للمنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ سَأَلْتَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن ذكر الله ﷺ بخل المنافقين، وشحهم بأموالهم حتى بعد أن عاهدوا الله ﷻ على الصدقة إذا آتاهم من فضله أعقب ذلك ببيان أنهم لم يقتصروا في جرمهم على هذا الحد، بل جاوزوا ذلك إلى لمز المؤمنين، وضمهم في صدقاتهم غنيهم وفقيرهم، وأنهم لهذا قد وصلوا إلى حد لم يعد لهم فيه أدنى حظ من الإسلام، ولا أدنى نفع من استغفار الرسول ﷺ ودعائه لهم؛ لرسوخهم في الكفر بالله ﷻ ورسوله ﷺ وعدم الرجاء في إيمانهم".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

بيّن الله ﷻ أن المنافقين كالكفار ليسوا أهلاً للاستغفار، ولا ينفعم الدعاء، فسواء استغفر لهم الرسول أو لم يستغفر لهم، فلن يستر الله ﷻ عليهم ذنوبهم بالعفو عنها، وترك فضيحتهم بها، وإنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله ﷻ لهم ولن يعفو عنهم، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦]، وقد ذكر الله ﷻ هنا سبب عدم قبول الاستغفار والدعاء وذلك بأنهم كفروا ووجدوا بالله ﷻ ورسوله، فلم يقرروا بوحدانية الله ﷻ، ولم يعترفوا ببعثة النبي ﷺ، وأصروا على الجحود والإنكار، فلم تعد قلوبهم مستعدة لقبول الخير والنور، وإن سنة الله ﷻ ألا يوفق للخير القوم المتمردين في الكفر، الخارجين عن الطاعة، الذين فقدوا الاستعداد للإيمان والتوبة. فاليأس من المغفرة وعدم قبول الاستغفار لهم ليس لبخل من الله ﷻ، ولا قصور في النبي ﷺ، بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عن المغفرة.^(٢)

ثالثاً: سبب النزول:

ورد في سبب النزول عدة أقوال منها:

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٧٠.

(٢) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٣٢٧، ٣٢٨.

أولاً: "عن ابن عباس قال: سمعت عمر يقول: لما تُوفي عبد الله بن أبي دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه، فلما وقف على عدو الله عبد الله بن أبي قلت: القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا؟ أعدد أيامه ورسول الله ﷺ بيتسم، حتى إذا أكثرت قال يا عمر، أخرجني، إني قد خيرت قد قيل: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة) فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت." (١)

ثانياً: عن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال: لقد أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط، أراد رسول الله ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي، فأخذت بثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا، لقد قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ قد خيرني ربي فقال: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فقدم رسول الله ﷺ على شفير القبر فجعل الناس يقولون لابنه: يا حباب افعل كذا يا حباب افعل كذا فقال رسول الله ﷺ الحباب اسم شيطان، أنت عبد الله. (٢)

ثالثاً: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، فقال رسول الله ﷺ: لأزيدن على السبعين فأنزل الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، فأبى الله ﷻ أن يغفر لهم. (٣)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

﴿.. أو لا تستغفر لهم﴾: "أي استوى في أمرهم استغفارك لهم وتركه". (٤)

(١) أخرجه البخاري مختصراً في صحيحه ٦/٦٨، كتاب: تفسير القرآن، باب قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، حديث رقم: ٤٦٧١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٨٥٣ - ١٨٥٤، حديث رقم: ١٠٥٠٨، وابن شبه في تاريخ المدينة ص: ٣٧٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٨٥٤، حديث رقم: ١٠٥٠٩.

(٤) نظم الدرر ٨/٥٥٧.

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: "إن تسأل لهم أن تُسْتَرَّ عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها، وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله ﷻ عليهم، ولن يعفو لهم عنها، ولكنه يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم القيامة".^(١)

٢. البلاغة:

أ. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾: أي على سبيل الحقيقة أو المبالغة في أنه لا يغفر لهم لشيء من الأشياء، ولو غفر لهم لشيء لكان لقبول شفاعة نبيه ﷺ، والعرب تبالغ بما فيه لفظ السبعة؛ ولما كان الإخبار باستواء الأمرين: الاستغفار وتركه ربما كان مسبباً عن الغفران وربما كان مسبباً عن الخسران، عينه في هذا الثاني فقال: ﴿فلن يغفر الله﴾ أي الذي قضى بشقائهم وهو الذي لا يرد أمره^(٢)، "والتخصيص للسبعين بالذكر؛ لتأكيد نفي المغفرة؛ لأن الشيء إذا بولغ في وصفه أكد بالسبع والسبعين، وهذا كما يقول القائل لو سألتني حاجتك سبعين مرة لم أقضها لا يريد أنه إذا زاد على السبعين قضى حاجته فالمراد التأكيد لا التحديد، ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ ذلك أي امتناع المغفرة لهم، ولو بعد المبالغة في الاستغفار ليس لعدم الاعتداد باستغفارك".^(٣)

ب. "اختلف أسلوب التأييس من المغفرة بين ما في هذه الآية وبين ما في آية ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]؛ لأن المشركين كفرهم ظاهر فجاء النهي عن الاستغفار لهم صريحاً، وكفر المنافقين خفي فجاء التأييس من المغفرة لهم منوطاً بوصف يعلمونه في أنفسهم ويعلمه الرسول ﷺ؛ ولأجل هذا كان يستغفر لمن يسأله الاستغفار من المنافقين لئلا يكون امتناعه من الاستغفار له إعلماً بباطن حاله الذي اقتضت حكمة الشريعة عدم كشفه".^(٤)

٣. الإعراب:

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾: "مرة) انتصب على المصدر أي: سبعين استغفارة، أو على الظرف أي: سبعين وقتاً".^(٥)

(١) جامع البيان ١٤ / ٣٩٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر ٨ / ٥٥٧.

(٣) روح البيان ٣ / ٤٧٣.

(٤) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٧٩.

(٥) روح البيان ٣ / ٤٧٣.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• حقيقة استغفار النبي ﷺ للمنافقين:

كان النبي ﷺ يستغفر للمنافقين على اعتبار أنهم مسلمون فكانوا إذا مات الميت منهم يسألون رسول الله ﷺ الدعاء والاستغفار لهم، فأعلمه الله ﷻ أنهم ماتوا منافقين، وأخبر مع ذلك أن استغفار النبي ﷺ لهم لا ينفعهم. (١)

"وأخبر الله ﷻ أن دماء المنافقين وأموالهم معصومة لا يستحل منهم ما يستحل من الكفار الذين لا يظهرون أنهم مؤمنون، بل يظهرون الكفر دون الإيمان، فإنه ﷻ قال: "أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ". (٢)

فكان حكمه ﷻ في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم، لا يستحل منها شيئاً إلا بأمر ظاهر، مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم، وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى نَعْلَمَهُمْ سَنَعْدِبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنه منافق، ومن علم أنه منافق لم يُصَلِّ عليه، وكان عمر إذا مات ميت لم يصل عليه حتى يصل على حذيفة؛ لأن حذيفة كان قد علم أعيانهم، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجُرَاتٍ فَمَتَّحُوهُنَّ أَلَمْ يَعْلَمَنَّ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠]، فأمر بامتحانهن هنا وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمَنَّ بِإِيمَانِنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]. (٣)

* اختلاف الناس في معنى قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، هل هو إياس أو تخيير؟

١. فقال قوم: هو إياس بدليل ثلاثة أشياء:

أ. أنه قال: ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

ب. أنه قال: إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم مبالغة، كقول القائل: لو سألتني مائة مرة ما أجبتك.

(١) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص ٤/ ٣٥١.

(٢) السنن الكبرى، النسائي ٤/ ٢٦٨، كتاب: الجهاد، باب: وجوب الجهاد، حديث رقم: ٤٢٨٧. سنن ابن ماجه

كتاب: الإيمان، باب في الإيمان ١/ ٢٨، حديث رقم: ٧٢. [حكم الألباني: صحيح متواتر].

(٣) الإيمان، ابن تيمية ١٦٩.

ج. أنه علل ذلك بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٠]، وهذه العلة موجودة بعد الزيادة على السبعين، وحيث توجد العلة يوجد الحكم.

٢. وقال قوم: هو تخيير من الله ﷻ لنبيه ﷺ، والدليل عليه قوله ﷺ لعمر: "إني خيرت فاخترت؛ قد قيل لي: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت".^(١)

وهذا أقوى؛ لأن هذا نص صريح صحيح من النبي ﷺ في التخيير، وتلك استنباطات، والنص الصريح أقوى من الاستنباط.^(٢)

• سد باب الرحمة وإغلاقه في وجه المنافقين:

يعيش الإنسان بين الأمل والرجاء، طامعاً في رحمة الله ﷻ ومغفرته حتى وإن أخطأ يعود تائباً نادماً، ففي الحديث عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كل ابن آدم خطاء، فخير الخطائين التوابون، ولو أن لابن آدم واديين من مال، لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب".^(٣)

لكن هناك من حبسه الله ﷻ عن التوبة وأغلق أبواب رحمته في وجهه والعياذ بالله وهؤلاء هم المنافقون، الذين كانوا مثل السوس في جسد الأمة ينخرون فيه ويضعفونه دون أن يشعر بهم أحد فمنهم من روج الإشاعات، ومنهم من أعان على ضرب المقاومة، ومنهم من عطل وصول المساعدات للشعب المحاصر وترك المرضى دون علاج، وأغلق المعابر أمام الطلبة والحجاج والمرضى فهل لهم توبة؟ هل سيتجاوز الله ﷻ عن ذنوبهم؟ أو سيشفع لهم أي استغفار؟

(١) مسند أحمد ٢٥٥/١، مسند عمر بن الخطاب، حديث رقم: ٩٥.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ٢/ ٥٥٧ - ٥٥٩.

(٣) مسند أحمد ٢٠/ ٣٤٤، مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أنس بن مالك ﷺ، حديث رقم: ١٣٠٤٩، إسناده ضعيف وله أسانيد صحيحة قاله الأرئوط.

المطلب الثاني

فرح المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله ﷺ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن ذكر الله ﷺ بعض قبائح المنافقين من اعتذارهم عن الخروج للقتال في تبوك، ولمزهم في قسمة الصدقات، عاد إلى بيان حال أولئك الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو نوع آخر من قبائحهم، وهو فرحهم بالقعود وكرهتهم للجهاد"^(١)، ثم أخبر الله ﷺ عن عاقبة أمرهم وما سيلاقونه من عذابٍ شديد، جزاء على ما اقترفوه من الجرائم.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

ذمت الآيات المنافقين المتخلفين عن المشاركة في القتال في غزوة تبوك ذمًا واضحاً، وأخبرت عن مصيرهم السيء في الآخرة، وقد فرح أولئك المنافقون المخلفون في المدينة بقعودهم في بيوتهم، بعد أن تركهم رسول الله ﷺ عند خروجه إلى غزوة تبوك، وسبب فرحهم عدم إيمانهم بأن في الجهاد خيراً، وكرهيتهم للجهاد مع النبي ﷺ بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﷺ، والفرح بالإقامة يدل على كراهة الذهاب، فهم فرحوا بسبب التخلف، وكرهوا الذهاب إلى الجهاد، ولم يقتصر الأمر على فرحهم بأنفسهم، بل أغروا غيرهم بعدم الخروج، وقال بعضهم لبعض: (لا تخرجوا للجهاد؛ لأن غزوة تبوك في شدة الحر، وقد طابت الثمار والظلال). فرد الله ﷺ عليهم بأن نار جهنم التي أعدت للعصاة، والتي تصيرون إليها بمخالفتكم أشدُّ حرًّا مما فررتم منه من الحر، فلو كانوا يعقلون ذلك ويعتبرون به، لما خالفوا وقعدوا، ولما فرحوا بل حزنوا، ثم أخبر الله ﷺ عن عاقبة أمرهم جزاء على ما اقترفوه أو اكتسبوه من الجرائم والنفاق.^(٢)

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج الطبري وابن أبي حاتم بإسناديهما "عن ابن عباس قوله: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ

(١) التفسير المنير ١٠ / ٣٣٠.

(٢) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٣٣١.

أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ [التوبة: ٨١]، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرَ الناس أن ينبعثوا معه، وذلك في الصيف، فقال رجال: يا رسول الله، الحرُّ شديدٌ، ولا نستطيع الخروجَ، فلا تنفر في الحرِّ! فقال الله: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، فأمره الله ﷻ بالخروج".^(١)

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾: "أي المتروكون.
- ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ فيه وجهان:
- الأول: يعني مخالفة رسول الله ﷺ وهذا قول الأكثرين.
- والثاني: معناه بعد رسول الله ﷺ".^(٢)
- ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾: "أي وكره هؤلاء المخلفون أن يعزُّوا الكفار بأموالهم وأنفسهم.
- ﴿في سبيل الله﴾ يعني: في دين الله ﷻ الذي شرعه لعباده لينصروه، ميلاً إلى الدعة والخفض، وإيثاراً للراحة على التعب والمشقة، وشحاً بالمال أن ينفقوه في طاعة الله ﷻ.
- ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾: وذلك أن النبي ﷺ استنفرهم إلى هذه الغزوة، وهي غزوة تبوك، في حرٍّ شديدٍ، فقال المنافقون بعضهم لبعض: ﴿لا تنفروا في الحر﴾، فقال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد ﴿نار جهنم﴾ التي أعدّها الله ﷻ لمن خالف أمره وعصى رسوله ﴿أشدَّ حرًّا﴾ من هذا الحرِّ الذي تتواصلون بينكم أن لا تنفروا فيه، فالذي هو أشدَّ حرًّا أحرى أن يُحذر ويُنْتَقَى من الذي هو أقلهما أدّى.
- ﴿لو كانوا يفقهون﴾: لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله ﷻ وعظمه، ويتدبرون آي كتابه، ولكنهم لا يفقهون عن الله ﷻ، فهم يحذرون من الحرِّ أقله مكروهاً وأخفه أدّى، ويواقعون أشدهً مكروهاً وأعظمه على من يصلاه بلاءً".^(٣)

(١) جامع البيان ١٤ / ٤٠٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦ / ١٨٥٥، حديث رقم: ١٠٥٠٤.

(٢) النكت والعيون ٢ / ٣٨٦.

(٣) جامع البيان ١٤ / ٣٩٩.

٢. البلاغة:

أ. «فرح المخلفون بمقعدهم»: "إنَّ الفرح بالإقامة يدل على كراهية الذهاب، إلاَّ أنَّه أعاده للتأكيد، أو لعلَّ أن المراد أنَّ طبعه مال إلى الإقامة؛ لأجل إلفه البلدة، واستغنائه بأهله وولده، وكره الخروج إلى الغزو؛ لأنَّه تعريضٌ للمال والنفس للقتل، وأيضاً منعهم عن الخروج شدة الحرِّ في وقت خروج رسول الله ﷺ، وهو المراد من قوله: «لَا تَتَفَرَّوْا فِي الْحَرِّ»، فأجاب الله ﷻ عن هذا الأخير بقوله: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» أي: يعلمون^(١)، وسبب تسميتهم بالمخلفين لا بالمخلفين أي المتأخرين عن الجهاد؛ لأنهم تخلفوا عن الرسول ﷺ بعد خروجه إلى الجهاد من حيث إنهم لم ينهضوا، فبقوا وأقاموا، ولأن الرسول ﷺ منع أقواماً منهم من الخروج معهم، لعلمه بأنهم يفسدون ويشوشون؛ ولأن الله ﷻ لما منعهم في الآية التالية عن الخروج معه بقوله: ﴿فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]، صاروا بهذا السبب مخلفين.^(٢)

"وهذه الآية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ لهم، وفي ضمنها وعيد، وقوله (المُخَلَّفُونَ) لفظ يقتضي تحقيرهم، وأنهم الذين أبعدهم الله ﷻ من رضاه وهذا أمكن في هذا من أن يقال (المخلفون)، ولم يفرح إلا منافق، فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر، و"مقعد" مصدر بمعنى القعود.

ج. «قل نار جهنم أشد حراً»: "هنا الخبر مستعمل في التذكير بما هو معلوم تعريضاً بتجهيلهم؛ لأنهم حذروا من حر قليل، وأقحموا أنفسهم فيما يصير بهم إلى حر أشد. فيكون هذا التذكير كناية عن كونهم واقعين في نار جهنم؛ لأجل قعودهم عن الغزو في الحر، وفيه كناية عرضية عن كونهم صائرين إلى نار جهنم.

د. «لو كانوا يفقهون» تتميم للتجهيل والتذكير، أي يقال لهم ذلك لو كانوا يفقهون الذكرى، ولكنهم لا يفقهون، فلا تجدي فيهم الذكرى والموعظة، إذا ليس المراد لو كانوا يفقهون أن نار جهنم أشد حراً لأنه لا يخفى عليهم ولو كانوا يفقهون أنهم صائرون إلى النار ولكنهم لا يفقهون ذلك.^(٣)

هـ. «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً»: "اللفظ لفظ الأمر والمراد به: التوبيخ، قال الحسن: يعني: (فليضحكوا قليلاً في الدنيا، وليبكوا كثيراً في الآخرة في النار)."^(٤)

(١) اللباب ١٠ / ١٥٩.

(٢) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٣٣٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٨١.

(٤) بحر العلوم ٢ / ٧٨.

وقال ابن عباس وغيره قوله ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾: إشارة إلى مدة العمر في الدنيا، وفي قلة ضحكهم وجهان:

أولاً: أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد.

ثانياً: أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت قليل؛ لأن الفاني قليل.

والضحك هنا: كناية عن الفرح أو أريد ضحكهم فرحاً لاعتقادهم ترويح حيلتهم على النبي ﷺ إذ أذن لهم بالتخلف.^(١)

و. ﴿وَلْيُبْكُوا كَثِيرًا﴾ فيه وجهان:

١. أي في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهم فيه يبكون، فصار بكاءهم كثيراً، وهذا معنى قول الربيع بن خيثم.

٢. في النار على التأبيد؛ لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه، وهذا قول السدي. ويحتمل أن يريد بالضحك السرور، وبالبكاء الغم.^(٢)

وفيها إشارة إلى تأبيد الخلود في النار، ف جاء بلفظ الأمر، ومعناه الخبر عن حالهم، ويحتمل أن يكون صفة حالهم أي هم لما هم عليه من الخطر مع الله ﷻ، وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلاً وبكاءهم من أجل ذلك كثيراً، وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا على نحو قوله ﷺ لأمته "لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً".^(٣)

- والبكاء: كناية عن حزنهم في الآخرة فالأمر بالضحك وبالبكاء مستعمل في الإخبار بحصولهما قطعاً إذ جعلاً من أمر الله ﷻ أو هو أمر تكوين مثل قوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ [البقرة: ٢٤٣]، والمعنى أن فرحهم زائل وأن بكاءهم دائم.^(٤)

٣. القراءات:

"قرأ ابن مسعود ﴿لو كانوا يعلمون﴾".^(٥)

(١) ينظر: بحر العلوم ٢/ ٧٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٨٧. التحرير والتنوير ١٠/ ٢٨٢.

(٢) النكت والعيون ٢/ ٣٨٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٦٥ - ٦٦.

(٤) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٨٢.

(٥) بحر العلوم ٢/ ٧٨.

٤. الإعراب:

- «فليضحكوا...»: "أي إن الأولى بهم أن يضحكوا ويفرحوا قليلاً، ويبكوا كثيراً، وهو خبر عن حالهم وارد بصيغة الأمر، يقصد به التهديد وانتظار ما سيلاقون من عذابٍ شديد، جزاء على ما اقترفوه أو اكتسبوه من الجرائم والنفاق".^(١)
- «جزاء بما كانوا يكسبون»: "حال من ضميرهم، أي جزاء لهم، والمجعول جزاء هو البكاء المعاقب للضحك القليل؛ لأنه سلب نعمة بنقمة عظيمة.
- «وما كانوا يكسبون»: هو أعمال نفاقهم، واختير الموصول في التعبير عنه؛ لأنه أشمل مع الإيجاز".^(٢)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

● الشدائد تكشف معادن الرجال:

"تمتحن الأمة والجماعات والأفراد بالمحن والمواقف الصعبة أو الحرجة، فيعرف المحسن من المسيء، والمخلص من الخائن، والصادق من الكاذب، فيكون للمحنة فضل أو ميزة يكشف أحوال الناس، وتعرضهم للامتحان والاختبار، وهكذا غربلت الأحداث الجسام مواقف المعاصرين للنبي ﷺ، ومن تلك الأحداث الحاسمة غزوة تبوك التي حدثت في الصيف، ومن أجل مجابهة عدو قوي، كثير العدد، متفوق العدد والسلاح، وهذا ما سجّله القرآن الكريم، ليكون عبرة للأجيال، ودرساً بليغاً للجماعات والأفراد".^(٣)

فطريق الجنة صعبة محفوفة بالمكاره وعلى باغي الجنة وراغبها أن يتحمل ويصبر، وبصبره يحوزها وبجهاده يفوز بها، لكن المحن والشدائد لا يحتملها سوى الرجال أصحاب الإيمان الثابت، والعقيدة الراسخة.

● احتمال الشدائد أهون من العذاب والنار:

النفس البشرية مجبولة على الراحة وحب الخير، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣]، فقد يظن الشخص أنه بتحالفه مع الشيطان، واختيار طريق الدعة والراحة والعمالة والخيانة سيحقق له النجاة والسعادة وإذا ملأ حسابه المصرفي بالدولارات، وامتلك السيارات الفارهة،

(١) التفسير المنير ١٠ / ٣٣٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٨٢.

(٣) التفسير الوسيط ١ / ٨٩٥ - ٨٩٦.

والبيوت الفاخرة مقابل بيع وطنه، والتخاذل عن نصرته شعبه بل والمشاركة في حصاره، وتضييق الخناق عليهم سيكون العدو راضياً عنه وسيعطيه الجنة الزائفة.

لكنه باع الغالي بالرخيص واستبدل الباقي بالفاني؛ لأن النار في انتظاره، والعقوبة القاسية، والحساب العسير أمامه.

فعلينهم أن يفكروا ملياً، ويعيدوا حساباتهم، ويعودوا لرشدهم؛ لأن المتاع الزائل الذي يعيشه الآن سيؤول إلى قبيح عقاب، وعسير حساب.

فلا يفرح بالمنصب والكرسي الذي أخذه ماراً على جثث الشباب وولوغاً في دمائهم منتهكاً أعراضهم، ولا يهنأ يعيش وشعبه بأكمله يحاصر ويقتل؛ لأنه رفض التبعية والمذلة، فهؤلاء الضحايا لن يسامحوا في حقهم وسينتقم الله ﷻ من الظالمين في الدنيا والآخرة.

• اعتزال المؤمنين خوفاً من الأعداء:

"يعلم كثير من الناس أنّ الحق مع طائفة أو جماعة من المسلمين، ولكن الخوف على النفس أو المال أو الأهل يدفع بعض المنتسبين إلى الإسلام إلى اعتزال الجماعة المسلمة، وعدم تأييدها أو الجهاد معها، طلباً للراحة وخوفاً من الفتنة والامتحان والابتلاء في طريق الدعوة، ولا شك أن الخوف مما فطرت عليه النفس البشرية، ولكن هذا الخوف إما أن يجد مكانه الصحيح والطبيعي، وهو الخوف من الله ﷻ ومن عذابه، فعند ذلك يبادر المسلم إلى فعل الطاعات وترك المحرمات، بدافع الخوف من عذاب الله ﷻ، ورجاء ثوابه وعظيم جزائه، وإما أن ينحرف بتلك الصفة عن مسارها الصحيح فحينئذ يخشى ويخاف من أهل الزعامات الأرضية، حتى يُقدّم الخوف منهم على الخوف من الله ﷻ لقصر نظره، وضعف عقيدته، وهذا النوع من الخوف هو الذي ورد الذم لفاعله في الكتاب والسنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالخوف ليس عذراً في ترك الدعوة واعتزال الجماعة، فمن منا لا يخاف على نفسه وماله وأهله وعرضه؟ ولو كان مثل هذا الخوف يبيح ترك الدعوة واعتزال الجماعة لما نهض أحد بتكاليف الإسلام وقام بحق هذا الدين".^(١)

(١) الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ١/ ٤٠٥، ٤٠٨.

المطلب الثالث

أسباب رفض مشاركة المنافقين في القتال

قَالَ قَعَالِي: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨٣].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"بعد أن ذكر بعض سوءات المنافقين من اعتذارهم للمؤمنين عن الخروج معهم للقتال ولمزهم في قسمة الصدقات وفي إعطائها، عاد إلى الكلام في ذكر حال الذين تخلفوا عن القتال في غزوة تبوك وظلّوا في المدينة، وبيان ما يجب من معاملة هؤلاء بعد الرجوع إليها، وقد نزل ذلك أثناء السفر".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"فإن رَدَّكَ اللهُ -أيها الرسول- من غزوتك إلى جماعة من المنافقين الثابتين على النفاق، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة (تبوك) فقل لهم: ﴿لن تخرجوا معي أبداً﴾ في غزوة من الغزوات، ولن تقاتلوا معي عدواً من الأعداء؛ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ".^(٢)

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بإسناده "عن ابن عباس: لما أمر الله ﷺ رسوله بالخروج تخلف عنه رجال، فأدركتهم أنفسهم فقالوا: (والله ما صنعنا شيئاً)، فانطلق منهم ثلاثة، فلحقوا برسول الله ﷺ فلما أتوه تابوا، ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله ﷺ: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة: ٨٣]."^(٣)

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٧٣.

(٢) التفسير الميسر ١ / ٢٠٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦ / ١٨٥٦ - ١٨٥٧، حديث رقم: ١٠٢٠٣.

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: "أي إن رجعتك الله ﷻ من تبوك إلى طائفة من المنافقين الذين تخلفوا فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى.
- ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾: أي لن تخرجوا معي أبداً إلى الغزو، ولن تقاتلوا معي عدواً، ويقال: معناه، لن تخرجوا إلا مطيعين من غير أن تكون لهم شركة في الغنيمة.
- ﴿إِنْكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَ مَرَةً﴾: أي رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك".^(١)
- ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾: "أي اقعدوا مع المتخلفين الذين تخلفوا بغير عذر، أمثال النساء والصبيان والزمنى الذين يخلفون الذاهبين إلى السفر، ويقال: الخالف الذي يخلف الرجل في أهله وماله، ويقال: الخالف الذي خالف قومه، ويقال: الخالف الفاسد، ويقال: الخالف المرأة، والخوالف: النساء".^(٢)

٢. البلاغة:

- أ. ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: "جعل (الإرجاع) إلى طائفة من المنافقين المخلفين على وجه الإيجاز؛ لأن المقصود الإرجاع إلى الحديث معهم في مثل القصة المتحدث عنها بقرينة قوله: ﴿فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ﴾ ولما كان المقصود بيان معاملته مع طائفة، اختصر الكلام، فقيل: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، وليس المراد الإرجاع الحقيقي كما جرت عليه عبارات أكثر المفسرين وجعلوه الإرجاع من سفر تبوك مع أن السورة كلها نزلت بعد غزوة تبوك بل المراد المجازي، أي تكرر الخوض معهم مرة أخرى".^(٣)

ب. ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: "ذكر هنا طائفة منهم فقط لأمرين هما:

١. لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقاً".^(٤)
٢. "ولأن منهم من تاب عن النفاق، وندم على التخلف، أو اعتذر بعذر صحيح، وقيل: لم يكن المخلفون كلهم منافقين، فأراد بالطائفة: المنافقين منهم".^(٥)

(١) بحر العلوم ٢/ ٧٨ - ٧٩.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٧٨ - ٧٩، والوجيز ٤٧٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٨٣.

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٧٥.

(٥) الكشاف ٢/ ٢٩٧.

ج. "الجمع بين النفي ب(لن) وبين كلمة (أبداً): تأكيداً لمعنى (لن) لانتفاء خروجهم في المستقبل إلى الغزو مع المسلمين.

د. فعل: ﴿رضيتم﴾: يدل على أن ما ارتكبه من القعود عمل من شأنه أن ياباه الناس حتى أطلق على ارتكابه فعل رضي المشعر بالمحاولة والمراوضة جعلوا كالذي يحاول نفسه على عمل وتأبى حتى يرضيها كقوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨].

هـ. والفاء في ﴿فاقعدوا﴾ تفریع على إنكم رضيتم بالقعود، أي لما اخترتم القعود لأنفسكم فاقعدوا الآن لأنكم تحبون التخلف".^(١)

و. ﴿وأول مرة﴾: "هي الخروج إلى غزوة تبوك، وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله ﷻ أنه لم يدعم إليه إلا النفاق، بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين".^(٢)

٣. الإعراب:

- "الفاء في قوله تعالى ﴿فإن رجعت﴾: للتفریع على ما آذن به قوله: ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾ إذ فرع على الغضب عليهم وتهديدهم عقاباً آخر لهم، بإبعادهم عن مشاركة المسلمين في غزواتهم.

- انتصب ﴿أول مرة﴾ هنا على الظرفية؛ لأن المرة هنا لما كانت في زمن معروف لهم وهو زمن الخروج إلى تبوك ضمننت معنى الزمان، وانتصاب المصدر بالنيابة عن اسم الزمان شائع في كلامهم، بخلاف انتصابها في قوله: ﴿وَهُمْ بَكَدْءُكُمْ أَوْلَك مَرَّةً﴾ [التوبة: ١٣]، وفي قوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ۖ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وأول مرة هي غزوة تبوك التي تخلفوا عنها.

وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى نكرة اقتصر على الأفراد والتذكير، ولو كان المضاف إليه غير مفرد ولا مذكر؛ لأن في المضاف إليه دلالة على المقصود كافية.

- والفاء في ﴿فاقعدوا﴾ تفریع على إنكم رضيتم بالقعود، أي لما اخترتم القعود لأنفسكم فاقعدوا الآن لأنكم تحبون التخلف.

- و﴿الخالفين﴾ جمع خالف وهو الذي يخلف الغازي في أهله وكانوا يتركون لذلك من لا غناء له في الحرب. فكونهم مع الخالفين تعبير لهم".^(٣)

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٨٣ ، ٢٨٤.

(٢) الكشف ٢ / ٢٩٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٨٢ - ٢٨٤.

- "وجملة: ﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾: جملة مستأنفة؛ للتعداد عليهم والتوبيخ، أي إنكم تحبون القعود، وترضون به فقد زدكم منه".^(١)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• تعمد ترك الطاعة قد يسبب الحرمان منها:

"تكشف هذه الآيات عن وجه أولئك المنافقين، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وتفضح الأعدار الكاذبة التي كانوا يعتذرون بها، وترسم للنبي ﷺ الأسلوب الذي يعاملهم به، والموقف الذي يفقه منهم.

وفي هذه الآية تنديد ووعيد من الله ﷻ لهؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، وأن هذه الفرحة التي شاعت في نفوسهم حين بدا لهم أنهم أفلتوا من هذا البلاء الذي ابتلى به المؤمنون في هذه الغزوة.. من قلة الزاد، وبعد الشقة، ووقدة الحر هذه الفرحة لن يهنأوا طويلاً بها، بل ستعقبها حسرة وندامة، وعذاب شديد".^(٢)

ففي الدنيا فرص قد لا تأتي إلا مرة واحدة، واللبيب من اغتتم الفرصة واستثمرها واستفاد منها، وهناك من يضيعها ويفوت على نفسه خيراً وقيلاً ولن تعود هذه الفرصة مرة أخرى.

فمثلاً في رمضان الخير، والفضل والعطاء الإلهي في هذا الشهر والرحمة والمغفرة التي تشيع فيه، قد يتهاون البعض في اغتنام الفرصة واقتناص الجنة بالصوم والطاعة والصلاة وقراءة القرآن وصلة الأرحام والصدقة والتسامح ويمضي شهره منكباً على مشاهدة التلفاز ومتابعة برامجه وتضييع الصلاة، والتهاون في زيارة الأرحام وافتعال المشاكل، فهذا المسكين يضيع على نفسه فرصة ذهبية قد لا تعود فقد يكون العام المقبل في رمضان تحت التراب، أو محروم من صحته أو قد ختم الله ﷻ على قلبه والعياذ بالله ﷻ فلم يعد ينعم بطيب هذا الشهر، فأحياناً قد نجني على أنفسنا بأبدينا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

(١) التحرير والتوير ١٠ / ٢٨٣.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٥ / ٨٥٦.

المبحث الثالث
مقاصد وأهداف من سورة التوبة
من آية (٨٤-٨٧)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحذير المؤمنين من الصلاة على أموات المنافقين.

المطلب الثاني: مقاطعة أموال المنافقين وأولادهم.

المطلب الثالث: استئذان المنافقين في التخلف عن الجهاد ورضاهم به.

المطلب الأول

تحذير المؤمنين من الصلاة على أموات المنافقين

﴿قَالَ تَعَالَى: وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"ما تزال الآيات تتحدث عن مخازي المنافقين وسوء طريقتهم، فبعد أن بيّن ﷺ قبائحهم، بيّن بعض المواقف الحاسمة في معاملتهم، بعد رجوعه من غزوة تبوك، فمنعهم الله ﷻ من الخروج مع النبي ﷺ إلى الجهاد في غزوات أخرى؛ لأن خروجهم يؤدي إلى الفساد، ومنع النبي ﷺ من الصلاة على موتاهم؛ لأن الصلاة على الميت دعاء واستغفار واستشفاع له، والكافر ليس بأهل لذلك، ونهاه عن الاغترار بأموالهم، وأولادهم أو استحسان ما لديهم لأنها ليست لخيرهم، وإنما هي طريق لتعذيبهم بها في الدنيا، وانشغالهم بها عن الآخرة".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

ولا تصلّ أبها الرسول أبداً على أحد مات من المنافقين، ولا تقم على قبره عند دفنه لتدعو له؛ لأنهم كفروا بالله ﷻ وبرسوله ﷺ وماتوا وهم فاسقون، وعاشوا حياتهم كافرين بالله ﷻ ورسوله ﷺ، وماتوا وهم خارجون عن دين الله ﷻ، وهذا حكم عام في كل من علّم نفاقه.^(٢)

ثالثاً: سبب النزول:

- عن ابن عباس عن عمر أنه قال: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا؟ أعدد عليه بعض قوله، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الإنكار في براءة ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.^(٣)

- وأخرج أيضاً عن ابن عمر: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: آذني به حتى أصلي عليه فأذنه فلما أراد أن يصلي عليه جذبته عمر وقال: أليس الله قد نهاك أن تصلي على المنافقين؟! قال: أنا بين خيرتين ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾

(١) التفسير المنير ١٠/ ٣٣٥ ، ٣٣٦.

(٢) ينظر: التفسير الميسر ١/ ٢٠٠، والمنتخب ٢٧٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٨٥٧، حديث رقم: ١٠٢٠٥.

فلن يغفر الله لهم﴾ فصلى عليه، فنزلت ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾. فترك الصلاة عليهم.^(١)

- وفي قوله تعالى: ﴿ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾: أخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله ابن أبي ابن سلول ودعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام رسول الله فلما وقف على عدو الله عبد الله ابن أبي بن سلول قلت: القائل كذا وكذا والقائل كذا وكذا؟ أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت، قال آخر عني يا عمر، فإنني قد خيرت قد قيل: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فلو أعلم أي إن زدت على السبعين غفر له لزدت، قال: ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه فعجبت لي وجررتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله ﷻ.^(٢)

رابعاً: التفسير التحليلي للآية:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾: "المراد بالصلاة الدعاء، والاستغفار للميت فيشمل صلاة الجنازة أيضاً؛ لأنها مشتملة على الدعاء والاستغفار"^(٣)، "والمعنى أي ولا تصل أيها الرسول بعد الآن على أحد من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك، ولا تتولّ دفنه والدعاء له بالتنشيت كما تقوم على قبور المؤمنين عند دفنه"^(٤).
- ﴿ولا تقم على قبره﴾: "والمعنى أي لا تقف عليه عند دفنه؛ لأن المشاركة في دفن المسلم حق على المسلم على الكفاية كالصلاة عليه فترك النبي ﷺ الصلاة عليهم وحضور دفنهم إعلان بكفر من ترك ذلك له"^(٥).

(١) مسند أحمد ٣٠٨/٨، حديث رقم: ٤٦٨٠. حسن إسناده الأرنؤوط.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٥٧-١٨٥٨، وأسباب النزول ٢٥٦ - ٢٥٧، مسند أحمد ١/٢٥٤، حديث رقم: ٩٤. حسن إسناده الأرنؤوط.

(٣) التفسير المظهر ٤/٢٧٦.

(٤) تفسير المراغي ١٠/١٧٥.

(٥) التحرير والتنوير ١٠/٢٨٥.

– «وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ»: "أي ماتوا على حال الفسق والتمرد على الحقائق، وأشد من التعبير بالفسق في حالهم بأنه أشد الكفر؛ لأنهم كافرون ومخادعون وغشاشون، فهم تمردوا على الله ﷻ وتمردوا على كل خلق كريم، والله ﷻ أعلم بهم".^(١)

٢. البلاغة:

أ. «إنهم كفروا بالله ورسوله»: "الآية فيها تعليل للنهي عن الصلاة، والقيام على قبره، أي لا تصل عليهم أبداً لأنهم كفروا بالله ﷻ".

ب. «وماتوا وهم فاسقون»: وإنما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر؛ لأن الكافر قد يكون عدلاً في دينه بأن يؤدي الأمانة، ولا يضمّر لأحد سوءاً، وقد يكون خبيثاً في نفسه كثير الكذب والمكر والنفاق والخداع والجبن وإضرار السوء للغير والخبث، وهي مستقبحة في كل دين عند كل أحد".^(٢)

٣. الإعراب:

– «أبداً»: "ظرف ل" تصل"، وقيل: ظرف "لمات" يعني: مات موتاً مؤبداً على الكفر فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى، وبهذا المعنى قال الله ﷻ «لا يموت فيها ولا يحيى» «ولا نَقَمَ عَلَى قَبْرِهِ» للدفن أو للزيارة قيل كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره، ودعا له، ولذا ورد النهي عن القيام على قبره".^(٣)

– «إنهم كفروا بالله ورسوله»: جملة تعليلية للنهي عن صلاة الجنائز، والقيام على قبور هؤلاء المنافقين^(٤)، والمعنى: لا تصل عليهم أبداً؛ لأنهم كفروا بالله ﷻ ورسوله ﷺ، ولأنهم ماتوا وهم فاسقون.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• حرمة غسل الكافر والصلاة عليه والقيام على دفنه:

"لقد نهى الله ﷻ رسوله ﷺ عن الصلاة على موتى الكفار"^(٥)؛ "لأنهم كفروا وماتوا وهم خارجون من حظيرة الإسلام مفارقون أمر الله ﷻ ونهيه"^(٦)، "ولأن الصلاة على الميت دعاء له بالخير

(١) زهرة التفاسير ٧ / ٣٤٠٠.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ٥ / ٣٦٢.

(٣) التفسير المظهر ٤ / ٢٧٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٠ / ٢٨٥، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام ٣٤٣.

(٥) أوضح التفاسير ١ / ٢٣٦.

(٦) تفسير المراغي ١٠ / ١٧٦.

يناله يوم القيامة؛ ولأنها استغفار، والاستغفار للمنافق منهي عنه، ولأنه يجب أن يتميز المؤمن عن الكافر، والصلاة عليه فارق بين المؤمن والمنافق".^(١)

"وهي مفروضة على موتى المؤمنين - صالحين كانوا أو من أهل الكبائر - ما لم يكونوا من البغاة وأهل الضلالات؛ إلا الشهيد؛ فإنه يُصلى عليه، ولا يغسل؛ وذلك لأن الغسل لمحو النجاسات والقاذورات؛ والشهيد يبعث يوم القيامة بدمه تشريفاً له، وإشادة بموقفه المجيد، والصلاة على الميت دعاء له بالأجر وغفران الذنب؛ والشهيد مأجور مغفور".^(٢)

• كيفية التعامل مع المنافق بعد موته:

وجوب المقاطعة للمنافق في حياته بعد انفضاح أمره، والحذر من التعامل أو الاستئناس برأيه وخبرته، فمن الواجب مخالفتهم والابتعاد عنهم وذلك لضرورة سلامة الدين والدنيا. وتستمر المقاطعة حتى بعد موت هذا المنافق فلا نصلي عليه ولا ندفنه في مقابر المسلمين ولا نقف على قبره للدعاء له أو الاستغفار.

(١) زهرة التفاسير ٧ / ٣٣٩٨.

(٢) أوضح التفاسير ١ / ٢٣٦.

المطلب الثاني

مقاطعة أموال المنافقين وأولادهم

﴿قَالَ تَعَالَى: وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾
[التوبة: ٨٥].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بينت الآيات منع الله ﷻ النبي ﷺ من الصلاة على موتى المنافقين، وذكر ما يدل على شقاوتهم في الحياة الآخرة كان ذلك قد يثير في نفوس الناس أن المنافقين حصلوا سعادة الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد وخسروا الآخرة، وربما كان في ذلك حيرة لبعض المسلمين أن يقولوا: كيف من الله ﷻ عليهم بالأموال والأولاد وهم أعداؤه. فأعقب بعد ذلك نهيه عن الاعتزاز بأموالهم وأولادهم أو استحسان ما لديهم؛ لأنها ليست لخيرهم، وإنما هي طريق لتعذيبهم بها في الدنيا، وانشغالهم بها عن الآخرة، فأعلم الله ﷻ المسلمين أن تلك الأموال والأولاد وإن كانت في صورة النعمة فهي لهم نقمة وعذاب، وأن الله ﷻ عذبهم بها في الدنيا بأن سلبهم طمأنينة البال عليها لأنهم لما اكتسبوا عداوة الرسول والمسلمين كانوا يحذرون أن يغري الله رسوله بهم فيستأصلهم، ثم جعل ذلك مستمراً إلى موتهم على الكفر الذي يصيرون به إلى العذاب الأبدي. (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

ولا يُثير عجبك - أيها الرسول - ما تراهم فيه من وفرة المال، وكثرة الأولاد مع سخطنا عليهم، فلم يكن ذلك عن إيتارهم بالخير، بل لتنفيذ ما أراد الله ﷻ من شقائهم في الدنيا بالانهماك في جمع المال، وما يلحقهم في ذلك من الهموم والمصائب، ولتنفيذ ما أراد الله ﷻ من مفارقتهم للدنيا كافرين، وقد خسروا الأولى والآخرة. (٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآية:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾: "أي ولا تعجبك، يا محمد، أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره، من أجل كثرة ماله وولده، فإني إنما أعطيته ما

(١) ينظر: التفسير المنير ١٠ / ٣٣٦.

(٢) ينظر: المنتخب ٢٧٤.

أعطيته من ذلك؛ لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم، وبما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات.

– «وتزهد أنفسهم»: أي وليموت فتخرج نفسه من جسده فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالاً عليه حينئذٍ، ووبالاً عليه في الآخرة، بموته جاحداً توحيد الله ﷻ، ونبوة نبيه محمد ﷺ " (١).

٢. البلاغة:

أ. «ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم»: قد أشير إليه سابقاً فما معنى التكرار؟

الجواب من وجهين:

أولاً: أنه للتأكيد.

ثانياً: أن الآيتين نزلتا في طائفتين من المنافقين دون طائفة واحدة. (٢)

ب. " المخالفة والفرق بين الألفاظ في قوله تعالى: «ولا تعجبك أموالهم وأولادهم» إلخ وفي الآية التي سبق ذكرها وهي «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون» فأما سر التكرار والحكمة فيه فهو: أن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولاً وتأكيد، كأنما يريد أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه، وأن يعتقد أن العمل به مهم وإن أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه، وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب واستهواءً لها هو الاشتغال بالأموال والأولاد، وما كان بهذه المثابة من التغيير والإغواء يجب التحذير منه مرة بعد مرة.

* وأما سر المخالفة والفرق بين بعض ألفاظ الآيتين فنبيين وجهه فيما يلي:

١- قال تعالى في الآية الأولى «فلا تعجبك» بالفاء وقال هنا: «ولا تعجبك» بالواو، والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله: «ولا ينفقون إلا وهم كارهون» وصفهم بكونهم كارهين للإنفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد فحسن العطف عليه بالفاء تعقياً وترتيباً، وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بالواو.

٢- قال الله ﷻ في الآية الأولى: «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم» وأسقط حرف (لا) في الثانية فقال «وأولادهم» والسبب أن حرف (لا) دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا

(١) جامع البيان ١٤ / ٤١٠ ، ٤١١ .

(٢) ينظر: تفسير السمعاني ٢ / ٣٣٥ .

معجبين بكثرة الأموال والأولاد وإعجابهم بأولادهم أكثر وفي إسقاط حرف (لا) هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين.

٣- وقال ﷺ في الآية الأولى: «إنما يريد الله ليعذبهم» بحرف اللام وقال هنا: «أن يعذبهم» بحرف (أن) والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله ﷻ محال وإنه وإن ورد فيه حرف اللام فمعناه (أن) كقوله: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله» فإن معناه: وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله ﷻ.

٤- وقال تعالى في الآية الأولى: «في الحياة الدنيا» وقال هنا:

«في الدنيا» والفائدة في إسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة والمهانة إلى حيث إنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهاً على كمال نهما^(١).

٥- "حذف (الحياة) ها هنا اكتفاء بما ذكر هنالك في الآية السابق ذكرها وقيل تنبيهاً على أن الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها"^(٢).

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• الاحتراز من الإعجاب بأحوال الكافرين المادية:

يجب على المؤمنين الحذر كل الحذر من الإعجاب بأحوال الكافرين المادية خاصة الإعجاب بتطورهم العلمي الذي نشأه في عصرنا الحالي فواجب على المسلم أن يأخذ منه ما يوافق الشريعة الإسلامية والاستفادة من تقدماتهم العلمية في المجالات المختلفة من حساب وفلك وطب وغيرها من العلوم التي لا يمكن الاستغناء عنها في هذا الزمان ولكن إلى جانب ذلك عليه الاحتراز مما لا يوافق شرعنا الإسلامي، ونشاهد في الآونة الأخيرة إقبال الكثير من شباب الأمة على الإعجاب بعبادات الكفار وتقاليدهم وثقافتهم وأزيائهم الخاصة التي أصبحت دخيلة علينا، وقد حذرنا رسول الأنام من ذلك، من زمن فعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "من تشبهه بقوم فهو منهم"^(٣).

(١) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣ / ٥١٤.

(٣) سنن أبي داود ٤ / ٤٤، كتاب: اللباس، باب: في لبس الشهرة، حديث رقم: ٤٠٣١. [حكم الألباني: حسن صحيح].

المطلب الثالث

استئذان المنافقين في التخلف عن الجهاد ورضاهم به

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٨٦-٨٧].
أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن بيّن ﷺ أن المنافقين عملوا الحيل والتمسوا المعاذير للتخلف عن رسول الله ﷺ والقعود عن الغزو قفى على ذلك بأن أبان أنه إذا أنزلت سورة فيها أمر بالإيمان والجهاد مع الرسول ﷺ استأذن أولوا الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو وقالوا لرسول الله ﷺ: دعنا نكن مع الضعفاء والزمنى العاجزين عن القتال".^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

"تبين هذه الآية أنه من شدة نفاقهم، وبغضهم لله ﷻ ورسوله ﷺ إذا أنزلت سورة من القرآن ناطقة أن آمنوا أيها المكلفون بالله ﷻ وجاهدوا مع رسوله ﷺ في سبيله استأذنتك أولوا الطول والسعة منهم أي صناديدهم وعظماؤهم خوفاً على أموالهم وأنفسهم وقالوا " ذرنا ودعنا نكن مع القاعدتين المعذورين الغير القادرين"^(٢)، "حيث رضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء، وهن الخوالف بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاماً، كما قال الله ﷻ، عنهم في الآية الأخرى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ﴾﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٣٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٣١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْ تَنْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾﴾ [محمد: ٢٠-٢٢]^(٣)، "وبالجملة قد رضوا أولئك الغواة مع قوتهم وسعتهم بأن يكونوا مع الخوالف أي الضعفاء الفاقدين للقوة والسعة وما ذلك إلا أن طبع وخنم على قلوبهم بالكفر والضلال فهم لا يفقهون قبح ما جاءوا به من المخالفة والقعود مع أولئك المعذورين، ولذلك لم يأتوا بالمأمور ولم يمتثلوا به".^(٤)

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٧٨.

(٢) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣١٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ١٩٦-١٩٧.

(٤) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ١ / ٣١٤.

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- «وإذا أنزلت سورة» يعني: سورة براءة.
- «أن آمنوا بالله» يعني: يأمرهم فيها أن صدقوا بقلوبكم كما أقررتم بلسانكم، وجاهدوا مع رسوله.
- «استأذنتك أولوا الطول منهم»، يعني: استأذنتك في القعود أهل السعة والغنى من المنافقين".^(١)
- «وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين» يعني: دعنا واذن لنا نتخلف، ونقعد مع القاعدين، الذين هم ضعفاء الناس ومرضاهم، وممن لا يقدر على الخروج معك في السفر، الذين تخلفوا في المدينة عن الجهاد.^(٢)
- «ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف»، يعني: بأن يجالسوا النساء بالمدينة. يقال: (الخوالف) هم خساس الناس ودناتهم، يقال: خالف أهله، إذا كان دونهم.
- «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون»: أي ختم الله ﷻ على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون التوحيد، ويقال: لا يعلمون ثواب الخروج إلى الجهاد.^(٣)

٢. البلاغة:

أ. «أولي الطول منهم»: "خصهم بالذكر لفائدتين:

- أولاً: لأن الذم لهم ألزم؛ لكونهم قادرين على السفر والجهاد، ولا سيما بعد سماع القرآن".^(٤)
- ثانياً: أن من لا مال له ولا قدرة على السفر لا يحتاج إلى الاستئذان لأنه معذور.
- هؤلاء رضوا لأنفسهم بأن يكونوا مع الخوالف من النساء، وفي هذا طعن برجولتهم، وتشبيه لهم بالنساء".^(٥)
- ب. «مع الخوالف»: فيها استعارة، إذ شبه النساء المقيمات في البيوت بعد رحيل الرجال بالخوالف، وهي الأعمدة التي تكون في أواخر البيوت؛ لكثرة لزوم الخوالف للبيوت، وفي هذا طعن برجولتهم، وتشبيه لهم بالنساء.^(٦)

(١) بحر العلوم ٢ / ٨٠.

(٢) ينظر: بحر العلوم ٢ / ٨٠، وجامع البيان ١٤ / ٤١١ - ٤١٢.

(٣) ينظر: بحر العلوم ٢ / ٨٠.

(٤) نظم الدرر ٨ / ٥٧٠، والتفسير المنير ١٠ / ٣٤٣.

(٥) التفسير المنير ١٠ / ٣٤٣.

(٦) ينظر: المرجع السابق ١٠ / ٣٤١، ٣٤٣.

٣. الإعراب:

- «أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ»: "أَنْ مفسرةً لما في الإنزال من معنى القولِ والوحي أو مصدريةً حذف عنها الجارُّ أي (بأن آمنوا)".^(١)
- «رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ»: "جملة استئنافية مسوقة؛ لبيان سوء صنيعهم"^(٢)، "وقصد منها التعجيب من دناءة نفوسهم وقلة رجولتهم؛ بأنهم رضوا لأنفسهم بأن يكونوا تبعاً للنساء".^(٣)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• مشروعية الاستئذان للحاجة الملحة:

يطراً على الإنسان بعض الأسباب التي تجعله يتخلف عن الجهاد رغم حرصه الشديد على المشاركة فيه، والدين الإسلامي دين يسر وليس دين عسر فهو يقبل الأعذار من أصحاب النوايا الخالصة والصادقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وحالهم أنهم بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله ﷻ والتقرب إليه، ومآلهم تحصيل الخيرات أي منافع الدارين، والفوز بالجنة والتخلص من العقاب والعذاب، وذلك الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، وهو المرتبة الرفيعة والدرجة العالية.

• حرمة الاستئذان للتخلف عن الجهاد مع القدرة عليه:

"إِنَّ رُؤُوسَ الْمُنَافِقِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْجِهَادِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ، قَدْ تَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، رَضُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْمَذَلَّةَ وَالْمَهَانَةَ بِالْقَعُودِ مَعَ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْجِهَادِ، وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى طَبَعِ اللَّهِ ﷻ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَأَصْبَحُوا لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَا بَيْنَ الْمَصْلُحَةِ وَالضَّرْرِ، وَمآلُهُمْ انْعِدَامُ الْخَيْرِ فِيهِمْ"^(٤)، وما أشبه اليوم بالأمس فنرى في زماننا الحالي الكثير من أصحاب الثروة رؤوس الأموال وعندهم الأهلية والقدرة على الجهاد إلا أنهم يتخلفون عنه، ولا يبذلون ولو بالقليل من أموالهم التي يكتنزونها - إلا من رحم الله - في سبيل الله ﷻ.

(١) إرشاد العقل السليم ٤ / ٩٠.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٤٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٨٩.

(٤) التفسير المنير ١٠ / ٣٤٤.

المبحث الرابع
مقاصد وأهداف سورة التوبة
من آية (٨٨-٩٢)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حال المؤمنين عند دعوتهم للجهاد وبيان
ما أعد الله ﷻ لهم.

المطلب الثاني: نفاق الأعراب واستئذانهم للتخلف عن
الجهاد.

المطلب الثالث: صور من أصحاب الأعذار المقبولة في
الجهاد.

المطلب الأول

حال المؤمنين في الجهاد وبيان ما أعدده الله ﷻ لهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنُكِنِّي الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ سَجْدًا تَدْعُونَ وَنُقَلِّبُ أَعْيُنَهُمْ لِيَتَذَكَّرَ اللَّهُ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله ﷻ ذم المنافقين، بيّن ثناء المؤمنين، وما لهم في آخرتهم، فقال: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا...﴾ من بيان حالهم ومآلهم، في جنات الفردوس والدرجات العلى.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

بيّن الله ﷻ أن الرسول والذين آمنوا معه وجاهدوا في سبيل الله ﷻ، وبنلوا أرواحهم رخيصة من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ، وقد تهللت وجوههم بشراً وسروراً؛ لأنهم وجدوا الفرصة سانحة لتحصيل ثواب الجهاد في سبيل الله ﷻ، وهذا ما كان إلا من مقتضى إيمانهم الخالص الراسخ في قلوبهم.

وأولئك البعيدون في درجات الكمال والجلال لهم الخيرات التي لا يعلمها إلا الله ﷻ في الدنيا كسرف النصر، ومحو الكفر والتمتع بالغنيمة والسيادة في الأرض، وأولئك هم المفلحون السعداء^(٢)، "الذين أعدَّ الله ﷻ لهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكنين فيها أبداً، وذلك هو الفلاح العظيم".^(٣)

ثالثاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- ﴿لهم الخيرات﴾: "أي في الدنيا بالنصر والغنيمة، وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها.
- ﴿وأولئك هم المفلحون﴾: أي الفائزون بالسلامة من المخوف، والظفر بالمحبوب".^(٤)

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٩٧.

(٢) ينظر: التفسير الواضح ١/ ٩١٨.

(٣) التفسير الميسر ١/ ٢٠١.

(٤) أيسر التفاسير ٢/ ٤٠٩.

١. البلاغة:

- «والذين آمنوا معه»: تعريض بأن الذين لم يجاهدوا دون عذر ليسوا بمؤمنين.
- والإيتيان باسم الإشارة «أولئك»: لإفادة أن استحقاقهم الخيرات والفلاح كان لأجل جهادهم.
- «أعد الله لهم»: الإعداد هنا بمعنى التهيئة، وفيه إشعار بالعناية والتهمم بشأنهم". (١)

٢. الإعراب:

- "قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْكِنَ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: "افتتاح الكلام بحرف الاستدراك (لكن) يؤذن بأن مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله فلما كان قعود المنافقين عن الجهاد مسبباً على كفرهم بالرسول ﷺ، كان المؤمنون على الضد من ذلك، وابتدئ وصف أحوالهم بوصف حال الرسول ﷺ؛ لأن تعلقهم به واتباعهم إياه هو أصل كمالهم وخيرهم، فقيل: «لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا»، وقوله: «معه»: في موضع الحال من الذين؛ لتدل على أنهم أتباع له في كل حال وفي كل أمر، فإيمانهم معه؛ لأنهم آمنوا به عند دعوته إياهم، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم معه، وفيه إشارة إلى أن الخيرات المبتوثة لهم في الدنيا والآخرة تابعة لخيراته ومقاماته". (٢)

- "قَالَ تَعَالَى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ بَحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: جملة مستأنفة؛ لبيان مآلهم الطيب". (٣)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ﷻ:

المجاهدون هم أنصار الدين، وهم الذين خرجوا في سبيل الله ﷻ، يقاتلون من كفر بالله ﷻ وصد عن سبيله، فهم الذين يقاتلون الطواغيت اعلاءً لكلمة الله ﷻ، ويكون الدين كله لله ﷻ، إن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدارين، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوتَ بِنَاءِ الْآخِرَةِ وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَوْ قُتِلَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، فَالجهاد هو التجارة الربحية التي يُتاجر صاحبها فيها مع ربه ﷻ بدون رأس مال، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَنَاتِيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَصَدَّقُوا نَجِيحًا مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۝ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١]، وَقَالَ

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) المرجع السابق ١٠ / ٢٩٠ - ٢٩١.

(٣) إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٤٩.

أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، إن الرباط في ثغور الجهاد من أعظم القربات، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"^(١)، وما ورد عن الرسول ﷺ أيضاً عن سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان"^(٢)، فشتان بين من ربط نفسه في ثغر من الثغور، يُتوقع فيه نزول العدو، مجاهداً في سبيل الله ﷻ، مترصباً بأعداء الله ﷻ، مقوياً لشوكة المجاهدين، كل حركاته وسكناته أجر، أكله وشربه ونومه ومشيه وحراسته ورصده وقتاله؛ أجر عند الله ﷻ، فشتان بينه وبين من قعد عن الجهاد، يلتمس لنفسه أقبح الأعذار.

إنَّ كل صاحب مال ليس له عذر في ترك الجهاد به، بخلاف الجهاد بالنفس، فإن أصنافاً من الناس معذورون في ترك الجهاد بالنفس، لكنهم ليسوا معذورين في جهاد المال، فعن خريم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: "من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبع مائة ضعف"^(٣).

• بيان عظم الأجر وعظيم الجزاء لأهل الجهاد:

إن عظيم الأجر والثواب للمجاهدين لا ينالونه فقط في الآخرة بل أيضاً لهم في الحياة الدنيا مكانتهم وقدسيتهم في قلوب الناس من الدعوات والاحترام والتقدير لهم على ما يبذلونه في حياة الناس، والفلاح فيها كالعزة والكرامة والنصر والتمكين في أرض الله ﷻ التي لا يرثها إلا عباده الصالحون، والجنات ثواب الآخرة والفوز العظيم هو المرتبة الرفيعة والدرجة العالية.

(١) صحيح البخاري ٤/ ٣٥، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٩٢.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٥٢٠، كتاب: الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله ﷻ، حديث رقم: ١٦٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٦٧، كتاب: أبواب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله، حديث رقم:

١٦٢٥. [حكم الألباني: صحيح].

المطلب الثاني

نفاق الأعراب واستئذانهم للتخلف عن الجهاد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٠].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بيّن الله ﷻ حال منافقي الحضر في المدينة وشرح أحوالهم شرع في بيان أحوال المنافقين من أعراب البدو الذين طلبوا الإذن بالتخلف والذين تخلفوا بغير إذن.^(١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

جاء رسول الله ﷺ المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في القعود عن المجيء إلى رسول الله ﷺ والجهاد معه، والذين كذبوا الله ﷻ ورسوله ﷺ وقالوا الكذب، واعتذروا بالأعدار الباطلة، والذين لم يعتذروا، بل كذبوا بالله ﷻ ورسوله ﷺ سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ﷻ ونبوة نبيه محمد ﷺ منهم، ثم أوعدهم الله ﷻ بعذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار، وإنما قال (منهم) لأنه ﷻ علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في إيمانه فاستثناهم الله ﷻ من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه.^(٢)

ثالثاً: التفسير التحليلي:

١. شرح المفردات اللغوية:

﴿المعذرون﴾: أي المقصرون، يعني: أنهم قصروا وتوانوا ولم يجدوا، ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ويتوهم أن له عذراً ولا عذر له.^(٣)

"واللفظ يحتمل قولين:

أ. أنه يكون المحق، فهو بمعنى المعذر أو المعذور لأن له عذراً.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٦ / ١٢٠، والبحر المحيط ٥ / ٤٨١، وغرائب القرآن ٣ / ٥١٧، والتفسير المنير ١٠ /

٣٤٥، وتفسير المراعي ١٠ / ١٨٠.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٤ / ٤١٦، وفتح القدير ٢ / ٤٤٦، ولباب التأويل ٢ / ٣٩٥.

(٣) ينظر: لباب التأويل ٢ / ٣٩٥، وزاد المسير ٢ / ٢٨٧، وإعراب القرآن وبيانه ٤ / ١٥٠.

ب. أنه غير المحق وهو الذي يعتذر ولا عذر له، وليس بهم علة تمنعهم من الجهاد".^(١)
الراجح: ما ترتضيه الباحثة ما ذكره الزحيلي: " أن سياق الكلام يدل على أنهم مذمومون لا عذر لهم لأنهم جاؤوا ليؤذن لهم، ولو كانوا من الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون لم يحتاجوا أن يستأذنوا. فهم الذين يعتذرون بالباطل، كقوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٩٤]".^(٢)

﴿الْأَعْرَابُ﴾: "سكان البادية، وهم أخص من العربي إذ العربي من تكلم باللغة العربية سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة".^(٣)

٢. البلاغة:

أ. "يجوز أن يكون اختيار صيغة ﴿المعذرين﴾ من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر والذين كذبوا فيه".^(٤)

ب. "قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ﴾: السين أنت هنا لتأكيد وقوع الفعل في المستقبل".^(٥)

٣. القراءات:

- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ﴾: اختلف القراء في (المعذرون) على النحو الآتي:

أولاً: قرأ يعقوب (المعذرون) بسكون العين، وكسر الذال مخففة.

التوجيه: قرأ بذلك على أنه اسم فاعل من (أعذر) الرباعي.

ثانياً: قرأ الباقر (المعذرون) بفتح العين، وكسر الذال مشددة.

التوجيه: هذه القراءة توجيهها يحتمل أمرين:

أ. أن تكون اسم فاعل من (عذر) مضعف العين.

(١) التفسير الواضح ١/ ٩١٩، تأويلات أهل السنة ٥/ ٤٤٤، والتفسير المنير ١٠/ ٣٤٥.

(٢) التفسير المنير ١٠/ ٣٤٥.

(٣) إعراب القرآن وبيانه ٤/ ١٥٠، وتفسير المراغي ١٠/ ١٨٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٩٢.

(٥) زهرة التفاسير ٧/ ٣٤٠٩.

ب. أن تكون اسم فاعل من (اعتذر) ثم أدغمت التاء في الذال، لوجود التقارب بينهما في المخرج.^(١)

يقول النيسابوري: "أنه إذا أخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين، وإذا أخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين فاحتُمل الأمران".^(٢)

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

• مصير المنافقين المتخلفين عن الجهاد:

"دلت الآية على أن مصير المنافقين الذين كذبوا الله ﷻ ورسوله ﷺ بادعائهم الإيمان، والكاذبين من المعتذرين هو العقاب في نار جهنم، بسبب عدم إيمانهم، وبسبب كذبهم، وكل من الكفر أو ادعاء الإيمان في الظاهر، والكذب التابع له أمر عظيم يستحق فاعله العقوبة عليه".^(٣)

• أعذار النفاق:

المنافقون دائماً لهم أعذار واهية، لأنهم لا عذر حقيقي لهم، فهم يختلقونها، وظهور النفاق كان في بادئ الأمر بالمدينة المنورة عندما دخلها الإسلام، ووجد نفاق في الأعراب عندما عمّ الإسلام، فهو يتسع باتساع عموم الإسلام وشموله، لأن النفاق يكون إذا كان كفر مع وجود قوة للحق، وقد بين الله ﷻ الأعذار التي من شأنها أن تقبل، والأعذار التي لا يمكن أن تقبل، وبذلك يتميز العذر الحقيقي عن أعذار المنافقين التي لم يكن لها مبرر^(٤)، وها نحن في زمننا الحالي وفي واقعا الذي نعيشه نرى كيفية النفاق على حقيقته من العملاء الذين يناصرون المقاومة والمجاهدين بعد ظهور الكفاءات والقوة في الحروب، ولكن في حقيقتهم يكئون لهم الغدر، ولا يفعلون ذلك إلا خوفاً على أنفسهم ومصالحهم الشخصية.

(١) ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٨٢، وشرح طيبة النشر، ابن الجزري ص: ٢٤٦، والكنز في القراءات العشر ٢ / ٤٩٨، وفريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات ٢ / ٨٤٦، وشرح طيبة النشر للنويري ٢ / ٣٦١.

(٢) غرائب القرآن ٣ / ٥١٧.

(٣) التفسير المنير ١٠ / ٣٤٦.

(٤) ينظر: خاتم النبيين ﷺ ٣ / ١٠٥٩، ١٠٥٨.

المطلب الثالث

صور من أصحاب الأعدار المقبولة في الجهاد

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيْتَخِمَهُمْ قُلْتُ لَا أَحَدٌ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلْيَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩١-٩٢﴾.

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

"بعد أن ذكر المعذرين والذين كذبوا الله ﷺ ورسوله ﷺ، وذكر وعيدهم على سوء صنيعهم فقى على ذلك بذكر أصناف ثلاثة أعدارهم مقبولة، ثم أتبع هذا بذكر شر الأعدار وهو استئذان الأغنياء". (١)

ثانياً: المعنى الإجمالي:

بيّن الله ﷻ في الآيات الكريمة أنه ليس على أهل الأعدار من الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج إثم في القعود إذا أخلصوا الله ﷻ ورسوله ﷺ، وعملوا بشرعه، ما على من أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، وهو ناصح لله ﷻ، ورسوله ﷺ من طريق يعاقب من قبله ويؤاخذ عليه، والله ﷻ غفور للمحسنين، رحيم بهم، وكذلك لا إثم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم بحملهم إلى الجهاد، الذين قلت لهم يا محمد: لا أجد ما أحملك عليه من الدواب، فانصرفوا عنك، وقد فاضت أعينهم دمعاً أسفاً على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون، وما يحملهم لو خرجوا للجهاد في سبيل الله ﷻ، فهؤلاء هم المحسنون، والله ﷻ كثير الغفران واسع الرحمة. (٢)

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج الطبري بإسناده "عن ابن عباس قوله: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾، إلى قوله: ﴿حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه، فيهم "عبد الله بن مغفل المزني"، فقالوا: يا رسول الله، احملنا. فقال لهم رسول الله ﷺ: والله ما أجد ما أحملك عليه! فتولوا ولهم بكاء، وعزيرٌ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقةً ولا محملاً، فلما رأى الله ﷻ حرصهم على محبته ومحبة رسوله ﷺ، أنزل

(١) تفسير المراغي ١٠ / ١٨١.

(٢) ينظر: التفسير الميسر ١ / ٢٠١، المنتخب ٢٧٥.

عذرهم في الآية الكريمة"، وقيل: إنها نزلت في "عائذ بن عمرو المُزني"، وقال بعضهم في "عبد الله بن مغفل"^(١)، وعلى كل حال إن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

رابعاً: التفسير التحليلي للآيات:

١. شرح المفردات اللغوية:

- قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ اختلفوا في الضعفاء على عدة أقوال وهي:

أ. هم المجانين، والضعف: نقصان عقولهم.

ب. هم الصبيان.

ج. هم النسوان.

الراجح: ما تراه الباحثة على الرغم من اختلاف الأقوال في معنى كلمة (الضعفاء) إلا أنها تنطبق عليهم جميعاً وتشمل الأصناف الثلاثة السابق ذكرهم.

- قوله: ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾: الذين لا يجدون: هم الفقراء، والحرج: الضيق.^(٢)

- قوله ﷺ: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: إذا أخلصوا أعمالهم من الغشّ لهما.

- قوله: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾: من طريق بالعقاب، لأنه قد سُدَّ طريقه بإحسانه.^(٣)

٢. البلاغة:

أ. ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾: "وضع الظاهر موضع الضمير، للدلالة على أنهم من جملة المحسنين غير المعاتبين بالتخلف.

ب. ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾: عطف على الضعفاء، أو على المحسنين، وهو من عطف الخاص على العام اعتناء بشأنهم، وهو مبتدأ معطوف على ما قبله بغير واو^(٤)، "والحكمة في التعبير (بالإتيان) لأجل الحمل والاعتذار عنه بعدم وجدان ما يحمل عليه من دابة أو غيرها: هي إفادة العموم ليشمل الدابة والسيارة والطيارة وغيرها".^(٥)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٨٦٣، حديث رقم: ١٠٢٠٥، وجامع البيان ١٤/ ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني ٢/ ٣٣٧.

(٣) الوجيز، الواحدي ٤٧٧.

(٤) التفسير المنير ١٠/ ٣٤٧.

(٥) التفسير الواضح ١/ ٩٢١.

٣. الإعراب:

- «ما على المحسنين من سبيل»: "فقوله (من سبيل) فاعل بالجار قبله لاعتماده على النفي، ويجوز أن يكون مبتدأ، والجار قبله خبره. أي: ما على المحسنين سبيل. والمعنى: أنه لا إثم عليه بسبب القعود عن الجهاد.
- قوله: «ولا على الذين»: فيه أوجه:
- أ. أن يكون معطوفاً على (الضعفاء)، أي: ليس على الضعفاء، ولا على الذين إذا ما أتوك، فيكونون داخلين في خبر (ليس) مخبراً بمتعلقهم عن اسمها، وهو (حرج).
- ب. أن يكون معطوفاً على (المحسنين) فيكونون داخلين فيما أخبر به من قوله: (من سبيل)، فإن (من سبيل) يحتمل أن يكون مبتدأ، وأن يكون اسم (ما) الحجازية.
- ج. أن يكون (ولا على الذين) خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: ولا على الذين إذا ما أتوك .. إلى آخر الصلة، حرج، أو سبيل وحذف لدلالة الكلام عليه، قاله أبو البقاء. ولا حاجة إليه، لأنه تقدير مستغنى عنه إذ قدر شيئاً يقوم مقامه هذا الموجود في اللفظ والمعنى".^(١)

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

• أصحاب الأعذار المقبولة للتخلف عن الجهاد:

الجهاد في سبيل الله ﷻ ماضٍ إلى يوم القيامة لرد عادية المعتدين، واستخلاص الحق من المغتصبين، وتأمين الأرض، والمتقاعسون عن الجهاد نوعان: رجل مأزور لقدرته عليه وتركه له، ورجل معذور للحيلولة بينه وبين الجهاد، ولا يعني العذر التخلي عن القضية، بل يبقى واجباً على المعذور تهيئة الناس وتوعيتهم بحقوقهم المسلوبة من أعدائهم، ومن عذر فإنه لا يعذر عن الدعاء فإنه سلاح ماضٍ لا يقدر أحد على منعه، وعلى الغني جهاد بالمال.

إنَّ الجهاد نروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى يوم القيامة، لا يوقفه عدل عادل ولا جور جائر، فقد جاء في الحديث عن جابر بن سمرّة، رفعه قال: "لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة حتى تقوم الساعة"^(٢)، فالمسلمون اليوم يجب عليهم الجهاد، وخاصة أهل البلاد التي استولى عليها المغتصبون، كما هي الحال في فلسطين والعراق وأفغانستان.

(١) اللباب ١٠ / ١٧١ - ١٧٢.

(٢) مسند أحمد ٣٤ / ٤٣٩، مسند البصريين، حديث جابر بن سمرّة السوائي، حديث رقم: ٢٠٨٥٩. [حكم الأرنؤاوط: صحيح لغيره].

قد جاء عن خير الأنام في الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة نفاق"^(١)، فأصحاب الأعدار الشرعية ممن لهم رغبة صادقة في الجهاد، ولكنهم عجزوا عن الوصول إلى ساحاته إما لإكراه، أو حبس، أو مرض، أو عدم قدرة على النفقة، وما شاكل ذلك من الأعدار المقبولة شرعاً، فهؤلاء نرجو أن يكتب الله ﷻ لهم أجر المجاهدين.

• الدين النصيحة:

عن تميم الداري^(٢) أن النبي ﷺ، قال: "الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: "الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"^(٣)، والنصح لأئمة المسلمين يكون بترك الخروج عليهم، وإرشادهم إلى الحق، وتثبيتهم فيما أغفلوه من أمر المسلمين، ولزوم طاعتهم، والقيام بواجب حقهم، والنصح للعامة يكون بترك معاداتهم وإرشادهم، وحب الصالحين منهم، والدعاء لجميعهم، وإرادة الخير لكافتهم، فيجب عليهم أن لا يثيروا الفتن، ويسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين ويقوموا بإصلاح مهمات بيوتهم، ويسعوا في إيصال الأخبار السارة من بيوتهم إليهم، ويخلصوا الإيمان والعمل لله ﷻ، فهذه أمور جارية مجرى الإعانة على الجهاد.^(٤)

• مظاهر الخلق البشري يتجلى في تواضعه ﷺ ورحمته بالمؤمنين:

لقد تعامل نبي الرحمة ﷺ مع كل الأمور التي واجهته بطريقة فذة، وبسنة مطهرة أخرجت لنا كنوزاً هائلة من فنون التعامل ومن آداب العلاقات، وبرز في كل مجالات حياته العنصر الأخلاقي، كعنصر مؤثر تماماً علي كل اختياراته، فلا يخلو موقف ولا حدث ولا قول من خلقٍ كريمٍ وأدبٍ رفيع، حتى وصل الي قمة الكمال البشري في أصعب المواقف التي واجهته، وأقصى الظروف والمحن، فيجب علينا التحلي بهديه ﷺ واتباع سنته حتي نتمكن من النصر والتمكين.

(١) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، باب: من مات ولم يغزو ٤٩/٦، حديث رقم: ٤٩٦٦، ومسند أحمد ١٤/

٤٥٣، مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٨٦٥.

(٢) تميم الداري: صاحب رسول الله ﷺ، أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي، الفلسطيني، والدار: بطن من لخم، ولخم فخذ من يعرب بن قحطان، وفد تميم الداري سنة تسع، وأسلم فيها، ولتميم عدة أحاديث، وكان عابداً، تلاءً لكتاب الله، حدث عنه: ابن عباس، وأنس بن مالك، وكثير بن مرة، وآخرون. [ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٧٥].

(٣) صحيح مسلم ١/ ٧٤، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٩٥.

(٤) ينظر: اللباب ١٠/ ١٧٠.

• صفاء أرواح ورقة قلوب أصحاب الرسول ﷺ:

إن رقة القلوب وخشوعها وانكسارها لخالقها وبارئها منحة من الرحمن وعطية من الله ﷻ تستوجب العفو والغفران، وتكون حرزاً متيناً وحصناً حصيناً مكيناً من الغي والعصيان، وما رق قلب لله ﷻ إلا كان صاحبه سابقاً إلى الخيرات مشمراً في الطاعات والمرضاة، وما رق قلب لله ﷻ وانكسر إلا وجدته أحرص ما يكون على طاعة الله ﷻ ومحبته، وما دخلت الرقة إلى القلب إلا وجدته مطمئناً بذكر الله يلهج لسانه بشكره والثناء عليه ﷻ، ويكون صاحبه أبعد ما يكون عن معاصي الله ﷻ، القلب الرقيق قلب ذليل أمام عظمة الله ﷻ، وبطش الله ﷻ، ولذلك ما ألف الإنسان صحبة - لا خير في صحبتها - إلا قسى قلبه عن ذكر الله ﷻ، ولا طلب الأخياري إلا رققوا قلبه الله الواحد القهار، ولا حرص على مجالسهم إلا جاءت الرقة شاء أم أبى، جاءت لكي تسكن سويداء قلبه فتخرجه عبداً صالحاً مفلحاً قد جعل الآخرة نصب عينيه، لذلك ينبغي للإنسان إذا عاشر الأشرار أن يعاشرهم بحذر، وأن يكون ذلك على قدر الحاجة حتى يسلم له دينه، فرأس المال في هذه الدنيا هو الدين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد:

الحمد لله الذي أتم عليّ النعم، ووالى بفضل المنن، أحمده أولاً وأخيراً أن أعانني ووفقني ويسر لي إتمام هذه الرسالة بالصورة التي أرجو بها مرضاة ربي، وأن تكون نافعة للمسلمين، والوصول إلى خاتمتها، بعد دراسة ممتعة لآيات الحزب العشرين من القرآن الكريم، واستخلاص وبيان ما فيه من المقاصد والأهداف، واستنباط أهم الهدايات منه، ومن خلال هذه الدراسة للآيات الكريمة توصلت الباحثة لمجموعة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

أولاً: النتائج:

١. إنَّ علم مقاصد السور يُعين على فهم كتاب الله ﷻ فهماً صحيحاً، ويُعين على استخراج دقائق المعاني، ويوصل إلى معرفة الحقّ في تفسير كلام الله ﷻ.
٢. إنَّ مقاصد وأهداف القرآن الكريم متعددة وشاملة لجميع نواحي الحياة فهي لا تنحصر في جانبٍ واحدٍ.
٣. القرآن الكريم يشتمل على قواعد مهمة لكل شئون الحياة وذلك للسير على ضوئها سواء على مستوى الفرد نفسه أو العلاقات بين أفراد الأمة.
٤. أنّ غزوة تبوك من أعظم الغزوات التي كان لها كبير الأثر في التربية، وتنقية الصف المسلم.
٥. التركيز على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين بارز بين ثنايا السورة.
٦. الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين حصاده النصر والتمكين والفوز برضا رب العالمين.
٧. الإسلام يعيش غربة وهجمة غير مسبوقه تحالف فيها الأعداء قاطبة وأعانهم عليها حكام العرب وتواطأ معهم بعض العلماء والخطباء والمتقنين.
٨. بيان حقيقة المنافقين، وخبث بواطنهم، وبيان مدى خطورتهم على المجتمع الإسلامي، وأنهم أشدّ خطراً على وحدة المجتمع وتماسكه من الكفار، وأنّ النفاق مرض عضال يفت في عضد الأمة متأصل في النفس البشرية لا يحده زمان ولا مكان.
٩. عدم الانخداع والاعتزاز بالمظاهر الخادعة والأبّهة الزائفة والنفوذ والسيطرة التي يتباهى بها المنافقون وأعداء الدين، لأنها ستكون وبالاً عليهم في الدنيا وعذاباً في الآخرة.

١٠. تحقير الله ﷻ من شأن المنافقين وإهانتهم عندما منعهم من الغزو مع المؤمنين، إذلالاً لهم كونهم خذلوا المؤمنين، فهم لا يستحقون شرف الصلاة عليهم، ولا الشفاعة، ولا طلب الرحمة لهم؛ ليتبين للمؤمنين مآلهم والخزي الذي نالوه في الدنيا والآخرة.
١١. عتاب الله ﷻ هو عتاب فيه محبة ورعاية أولاً بأول لأناس يستحقون العتاب وذلك بهدف التوجيه والتصحيح حسب شرعه لا بهدف اللوم فقط.
١٢. الجهاد فريضة واجبة لا يسقط بالتقادم، وهو ماضٍ ليوم الدين لانتزاع الحقوق وردِّ الظلم.
١٣. المعية الإلهية تتحقق بامتثال أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه بصدق وإخلاص.

ثانياً: أهم التوصيات:

- في ضوء الدراسة التي قمتُ بها، والنتائج التي توصلتُ إليها، خرجت بالتوصيات التالية:
١. القرآن الكريم مَعِينٌ لا ينضب على مر العصور والأزمنة، فيا حبذا لو وقفنا عند أهدافه ومقاصده؛ لإدراك أوامره ونواهيه ومعانيه.
 ٢. ضرورة عودة الأمة بقوة إلى القرآن الكريم في جميع نواحي الحياة، وتغيير ما بداخلها من قيم وعقائد فاسدة، ليُحقَّق اللهُ ﷻ وعده وذلك من خلال تغيير واقع الأمة للأفضل.
 ٣. أوصي الباحثين بإخلاص التواصل مع كتاب الله ﷻ تلاوة وتدبيراً وتطبيقاً.
 ٤. وجوب محبة النبي ﷺ وطاعته ونصرته والتزام هديه وتطبيق سنته.
 ٥. لا بد من ترسيخ مفهوم الجهاد في نفوس المسلمين، باعتباره أساس عزتهم، ومصدر قوتهم، ومركز سيادتهم.
 ٦. ننصح أخواتنا وأخواننا الباحثين وطلبة العلوم الشرعية، ببذل المزيد من الجهود لاستخراج الكنوز الثمينة من بطون الآيات القرآنية، خاصة فيما يتعلق بمواضيع القرآن الكريم، دستور الأمة الخالد، وعنوان عزِّتها ورفعتها، وربطها بواقع الأمة، للخروج بحلول عملية لأزماتها الحالية.
 ٧. نوصي أساتذة الجامعات والقائمين عليها، بدراسات أكثر تخصصاً لكل مواضيع القرآن الكريم بحيث تنفرج في كل جانب من جوانبه التي تناولها القرآن، وتوجيه طلبة العلم في الدراسات العليا لها، حتى يتم ربط هذه الأمة بدينها وتراثها.
 ٨. أوصي نفسي بتقوى الله ﷻ والعمل على مرضاته ولزوم طاعته، وأحذرها من عصيانه ومخالفة أمره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

ويشتمل على

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
البقرة		
١٣٨	١٠	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا ... ﴾
١٣٨	١١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾
١٣٨	١٢	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾
١٤٤	١٧	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ﴾
١٥٧	٤٤	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾
٨٩	٤٥	﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾
٨٢	٨١	﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ نَسْتَهُ فَأُولَٰئِكَ ... ﴾
٥١	٢١٦	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ... ﴾
١٦١	٢١٧	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾
١٩٣	٢٤٣	﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾
٩٤	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ ... ﴾
٢٦	٢٨١	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ... ﴾
٢١٠	٢٨٦	﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
آل عمران		
١٢٣	٧٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي ... ﴾
٥٦	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ... ﴾
١٩٥	١٧٥	﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
٩٧	١٧٨	﴿ إِنَّمَا نُعَلِّمُهُمْ لِيزَادُوا إِثْمًا ﴾
٢١٤	٢٠٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ ... ﴾
النساء		
١٢٨	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ... ﴾
١٠٧	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا ... ﴾
١٤	١٠٥	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ﴾
١٢٣	١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ... ﴾
١٣٢ ، ٩٣	١٤٠	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ ... ﴾
١٢٨ ، ٩٨ ، ٩٢	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾
١٦٦	١٤٦	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ ... ﴾
٢٠	١٦٥	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ... ﴾
٩٣	١٦٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٦	١٧٦	﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾
المائدة		
٨٩	٢٧	﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
الأنعام		
١٢٦	٣٤	﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَمْسَلِينَ﴾
الأعراف		
١٣٣	١٨٠	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ﴾
الأنفال		
٣٠	٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ...﴾
٣٠	٤-٣	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ ...﴾
١٢٣	١٣	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاُخِذَ اللَّهُ ...﴾
٣٠	٣٤	﴿وَمَا لَهُمْ آلَاءٌ يَعَدِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ ...﴾
٣٠	٤١	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ...﴾
٢٩	٧٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ...﴾
التوبة		
٢٩	٤-١	﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي ..﴾
٤٢	٥	﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٩٨	١٣	﴿وَهُمْ بِكَدِّكُمْ أَوْلَىٰ مَرْفَىٰ﴾
٨٧	١٤	﴿فَتَلَوْتُمُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ ...﴾
٣٤	٣٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ ...﴾
٤٠	٣٦	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ ...﴾
٤٤	٣٧	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾
١٩٨ ، ٦٦ ، ٤٩	٣٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾
٥٨	٤١	﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾
٦٢	٤٢	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾
٦٦	٤٣	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعُونَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ...﴾
٧٢	٤٦	﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ لِيُعَاقِبَهُمْ ...﴾
٥٩	٤٧	﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾
٧٧	٤٨	﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا لِفِتْنَةٍ مِّن قَبْلِ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ ...﴾
٧٩	٤٩	﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أُنذِرْنِي وَلَا تَفْتِنِّي ؕ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ...﴾
٨٦	٥٠	﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِّن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾
٢١٣ ، ٨٤	٥٢	﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضِي بِكُمْ أَن ...﴾
٨٩	٥٣	﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يَقْبَلَ مِنكُمْ إِلَّا نَفْسُكُمْ قَوْمًا ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٥	٥٥	﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ ... ﴾
٩٩	٥٦	﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ ... ﴾
١٠٤ ، ١٠٣	٥٨	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ ... ﴾
١٠٨ ، ٣٠	٦٠	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ ... ﴾
١١٥	٦١	﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ ... ﴾
١٢٠	٦٢	﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ ... ﴾
١٢٥ ، ٩٢	٦٤	﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقِينَ أَنْ نُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ... ﴾
١٣٢	٦٥	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ ... ﴾
١٣٢	٦٦	﴿ لَا تَسْتَدْرِبُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾
١٣٦	٦٧	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ... ﴾
١٤١	٦٨	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ... ﴾
١٤٧	٧٠	﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ ... ﴾
١٥٢	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾
١٥٩	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَدُهُمْ ... ﴾
١٦٣	٧٤	﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ ... ﴾
١٧٠	٧٥	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٧٤	٧٧	﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا ... ﴾
١٨٢ ، ١٧٩	٧٩	﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ... ﴾
١٨٨ ، ١٨٥ ١٩٨	٨٠	﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ... ﴾
١٩٠	٨١	﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا ... ﴾
١٩٦ ، ١٩٢ ١٩٦	٨٣	﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا ... ﴾
٢٠١ ، ٩٣	٨٤	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ... ﴾
٢٠٥	٨٥	﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ ... ﴾
٢٠٨	٨٦	﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا ... ﴾
٢١٢	٨٨	﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ... ﴾
٢١٥	٩٠	﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ ... ﴾
٢١٨ ، ٦٠	٩١	﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا ... ﴾
٢١٦	٩٤	﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾
١٨٨	١٠١	﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ... ﴾
أ	١٠٥	﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾
٢١٤	١١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتِك لَهُمْ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨٧	١١٣	﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾
٣١	١٢٦	﴿ أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ... ﴾
٣١	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ... ﴾
يونس		
٣١	٤-١	﴿ الرَّءْيَا لَيْتَ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا ... ﴾
١٥٧	٢٦	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمِ زِيَادَةٌ ﴾
هود		
١٤٩	١٠١	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾
يوسف		
١٧٣	٨٨	﴿ وَصَدَقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾
الرعد		
٥٦	١٧	﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ ... ﴾
الحجر		
١	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
النحل		
٢٣٢	٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾
١٩٩	١١٨	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الكهف		
١٥٠	٢٩	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا ... ﴾
مريم		
٩٤	٥٩	﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾
١٥٣	٦١	﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾
٩١	٧٥	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾
١٢٧	٧٧	﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾
١٢٧	٨٠	﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾
العنكبوت		
٢٠	٤٥	﴿ إِنَّا بِنَاءِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
الأحزاب		
١٣٨	١٢	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾
٢٠٨	١٩	﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنْ ... ﴾
١١٨	٥٣	﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئُ مِنْكُمْ ﴾
١١٨	٥٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ ... ﴾
٩٢	٦٠	﴿ لَئِن لَّمْ يَنهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
فاطر		
٤٧	٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ ... ﴾
٣٨	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
ص		
١٩	٢٩	﴿ كَتَبْنَا آيَاتِنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَذَّبُوهَا بِإِذْنِنَا وَلِيَسْتَدْكُرُوا لَهَا آيَاتِنَا ﴾
الزمر		
١٣٤	٥٣	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ ... ﴾
١٨٢	٥٦	﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾
الشورى		
١٣٧	٤٠	﴿ وَحِزْبًا مِّنْ سِنِّيَّةٍ مِّثْلَهَا ﴾
محمد		
٢٠٨	٢٠	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ... ﴾
١٢٧	٣٠	﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَّفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ ... ﴾
١٢٣	٣٢	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ ... ﴾
الفتح		
٦١	١٧	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الحجرات		
١١٨	٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ... ﴾
١٨٢	١١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً ... ﴾
الذاريات		
٢٠	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
النجم		
١٠٧	٤	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَعِيُّ يَوْمَىٰ ﴾
١٤٨	٥٣	﴿ وَالْمُؤَنَّفِكَ ءَاهُوَىٰ ﴾
الحديد		
٩٣	١٣	﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِن قُرْبِكُمْ قِيلَ ... ﴾
الحشر		
١٢٣	٤	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَن يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
١٠٧	٧	﴿ وَمَا ءَأَنتُمْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ ... ﴾
١٣٩	١٢	﴿ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ... ﴾
المتحنة		
١٨٨	١٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ إِنَّ اللَّهَ طَّالِمٌ ... ﴾
الصف		
٢١٣	١٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ تَعَزُّوهِ تُجِجِكُمْ مِّن عَذَابِ ٱلْإِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
المنافقون		
١٨٥	٦	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾
التغابن		
٣٨	١٥	﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
المعارج		
١٩٤	١٩	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعًا﴾
١٩٤	٢٠	﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾
١٩٤	٢١	﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾
١٩٤	٢٢	﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾
١٩٤	٢٣	﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾
الإنسان		
١٥٠	٣	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
الأعلى		
١٣٣	١	﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾
الفجر		
٣٨	١٩	﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا﴾
البلد		
١٥٠	١٠	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الليل		
١٧٣	٥	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾
البيئة		
٩٣	٥	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا ... ﴾
الهمزة		
١٨٢	١	﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لَمَزَةٌ ﴾
الماعون		
٩٤	٤	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	الصفحة
١-	أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي	٥٦
٢-	اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت، ووديعة بن ثابت فأرادوا	١١٦
٣-	أَرَبُّ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ	٦٥
٤-	ألا أخبركم برأس الأمر وعموده؟ " قلت: بلى	٩٤
٥-	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ " ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول	١٢٢
٦-	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	١٤
٧-	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ،	١٨٨
٨-	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	١٥٥
٩-	أن جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت وقعوا في	١٢٠
١٠-	أن رجلاً كان يقال له: ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم	١٧٤
١١-	أن رسول الله خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم: أن أجمعوا صدقاتكم! فجمع	١٧٩
١٢-	أن رسول الله لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد؛	٥٠
١٣-	أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا معه، وذلك في الصيف، فقال رجل:	٢١٨
١٤-	أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات	٢١
١٥-	إن كان ما جاء به محمد حقاً، لنحن أشرُّ من الحُمُر! "، فقال له ابن امرأته:	١٦٣
١٦-	إنه سيأتىكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث	٢٣٨
١٧-	إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي النَّبِيِّ، فَإِنَّهُ	٦٥

م	طرف الحديث	الصفحة
١٨-	بيننا رسول الله يسير في غزوته إلى تبوك، وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا	١٣٠
١٩-	تباً للذهب! تباً للفضة! يقولها ثلاثاً، قال: فشق ذلك على أصحاب	٣٥
٢٠-	حدّركم أن تُحدّثوا في الإسلام حدّثاً، وقد علم أنه سيفعل ذلك	١٤١
٢١-	الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: "الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم	٢٢١
٢٢-	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع	٢١٤
٢٣-	رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه	٢١٤
٢٤-	عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يختر على قلب بشر لا يسكنها غير	١٥٣
٢٥-	العهد الذي بيننا وبينهم ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر"	٩٤
٢٦-	قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب	١٢٩
٢٧-	كل ابن آدم خطاء، فخير الخطائين التوابون، ولو أن لابن آدم	١٨٩
٢٨-	لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي	٢١
٢٩-	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم	١٦١
٣٠-	لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة حتى تقوم الساعة	٢٢٠
٣١-	لما أمر الله ﷺ رسوله بالخروج تخلف عنه رجال، فأدركتهم أنفسهم	١٩٦
٣٢-	لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى النبي فقال: أعطني قميصك حتى	٢٠١
٣٣-	لما توفي عبد الله بن أبي دُعي رسول الله للصلاة عليه فقام إليه، فلما وقف	١٨٦
٣٤-	لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي	٥٥
٣٥-	مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى	١٥٦

م	طرف الحديث	الصفحة
٣٦-	من أراد أن ينظر إلى الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث	١١٥
٣٧-	من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبع مائة ضعف	٢١٤
٣٨-	من تشبه بقوم فهو منهم	٢٠٧
٣٩-	من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن	٦١
٤٠-	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،	١٣٢
٤١-	من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة نفاق	٢٢١
٤٢-	ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: ثم قال	١٧١
٤٣-	ويحك، من يعدل إذا لم أعدل؟ فأنزل الله تعالى الآية	١٠٨
٤٤-	يا جد، هل لك في جلال بني الأصفر؟ قال جد: أو تأذن لي يا	٨٠
٤٥-	يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا؟ أعدد عليه بعض	٢٠١

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
١٧١	أبو أمامة الباهلي
١٣٣	أبو بكر بن المنذر
١٠٤	أبو سعيد الخدري
١٧٢	الأصمعي
١٨١	الأعرج
٢٦	البراء بن عازب
٢٢١	تميم الداري
١٧١	ثعلبة بن حاطب
٧٩	الجد بن قيس
١١٦	الجلال بن سويد
١٧٢	الزجاج
٧٤	زر بن حبيش
٣٥	سالم بن أبي الجعد
١١٦	السُّدي
١٧	الشاطبي
٧٤	عاصم بن أبي النجود
١١٦	عامر بن قيس

الصفحة	اسم العلم
١٦	عثمان بن جني الموصلي
١٧	علل الفارسي
١٧٢	الفراء
١٧٢	الليث بن سعد
١٧	محمد الطاهر بن عاشور
١١٥	نبتل بن الحارث
١٣٣	النوي

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

١. إتقان البرهان في علوم القرآن: فضل حسن عباس، مطبعة: دار الفرقان - الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.
٤. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطاء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦. الأساس في التفسير: سعيد حوى، الناشر: دار السلام، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٧. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.
٩. إعراب القرآن وبيانه إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار الإمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت). الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

١٠. إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية_ بيروت_ الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
١١. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.
١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٣. أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكاتبها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.
١٤. آيات عتاب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في ضوء العصمة والاجتهاد: د. عويد بن عياد بن عايد المطرفي، الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة -، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٥. إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
١٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٥.
١٧. الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٦ هـ/ ١٤١٦ م.
١٨. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
١٩. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢٠. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجيري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة -، الطبعة: ١٤١٩هـ.
٢١. البدع الحولية: عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، الناشر: دار الفضيحة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٢٢. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان -.
٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٢٤. تاريخ المدينة لابن شبة: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهمي محمد شلتوت، عام النشر: ١٣٩٩هـ.
٢٥. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٦. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد الجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٧. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس -، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
٢٨. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٩. تحفة الأريب، أبو حيان تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: سمير المجذوب، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٠. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب - رحمه الله -: علوي بن عبد القادر السقّاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٣١. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض-، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.
٣٢. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت-، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.
٣٣. تعظيم قدر الصلاة: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرزوي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.
٣٤. تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٥. التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة-، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
٣٦. تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧ م.
٣٧. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت-، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
٣٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٣٩. تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة-، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤٠. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة ١٤١٩ هـ.
٤١. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٢. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.
٤٣. تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية-، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٤. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة-.
٤٥. تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٤٦. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٤٧. التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - باكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.

- ٤٨ . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق-، الطبعة: الثانية ١٤١٨ هـ.
- ٤٩ . التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية-، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٥٠ . تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٥١ . التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ .
- ٥٢ . التفسير الوسيط للزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق-، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ٥٣ . التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة-، الطبعة: الأولى.
- ٥٤ . تنبيه القارئ لتقوية ما ضعفه الألباني (ويليه: تنبيه القارئ لتضعيف ما قواه الألباني): عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش (المتوفى: ١٤٠٩ هـ)، تقديم: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على طبعها وتصحيحها: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العليان للنشر والنسخ والتصوير والتجليد، بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٥٥ . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨ هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان.
- ٥٦ . تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم: شيخ الإسلام ابن تيمية، هدَّبه وخرَّج أحاديثه: شحاتة محمد صقر، الناشر: مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر).
- ٥٧ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٨. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٥٩. الجامع الكبير = سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨.
٦٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٦٢. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.
٦٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
٦٤. الجواهر المضوية: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى بمصر، ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.
٦٥. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥هـ.
٦٦. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف (الأولى): عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٦٨. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٦٩. دَرْجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧٠. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٧٢. روضة الطالبين وعمدة المفتين روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٧٣. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٧٤. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
٧٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

٧٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٧٧. سنن ابن ماجة سنن ابن ماجه ت الأرئووط، المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرئووط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٧٨. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٧٩. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٨٠. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرئووط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى.
٨١. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٨٢. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: علي محمد محمد الصلّابي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٣. شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القنبيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

٨٤. شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين التُّوَيْري (المتوفى: ٨٥٧هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد بأسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٨٥. شرح طيبة النشر في القراءات: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ض- الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠.
٨٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت -، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨٧. صفة التفاسير: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٨٨. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٨٩. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.
٩٠. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض: د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
٩١. علم مقاصد السور: محمد عبد الله ربيعة، جامعة القصيم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٩٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٣. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٩٤. غرائب القرآن و رغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٩٥. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٩٦. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٩٧. فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات: محمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، الناشر: دار البيان العربي - القاهرة -، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٨. فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله): أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي التثاء الألويسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ)، تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٩٩. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
١٠٠. في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، مصر - القاهرة - المكتب المصري الحديث، الطبعة: الأولى.
١٠١. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت - القاهرة -، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢ هـ.
١٠٢. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان -، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠٣. القرآن الكريم وبهامشه التسهيل لقراءات التنزيل من الشاطبية والدرة مذيلاً بمنظومتي الشاطبية والدرة: محمد فهد خاروف، تقديم ومراجعة: محمد كريم راجح، دار البيروتي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٠٤. القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.
١٠٥. كتاب الإيمان: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.
١٠٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت -، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٠٧. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٠٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان -، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٠٩. الكنز في القراءات العشر: أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١١٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، الطبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١١١. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.

١١٢. الباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١١٣. لسان العرب المؤلف محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
١١٤. لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
١١٥. مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م
١١٦. المجتبي من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ.
١١٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ..
١١٨. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.
١١٩. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
١٢٠. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٢٢. مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
١٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٢٤. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢ هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، من ١٩٨٨ م - ٢٠٠٩ م.
١٢٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٢٦. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى": إبراهيم بن عمر بن حسن الرياط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
١٢٧. المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١ هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.
١٢٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
١٢٩. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١ هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٣٠. المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
١٣١. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
١٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٣٣. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
١٣٤. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٣٥. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين): أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٣٦. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
١٣٧. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علاء الفاسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٣م.
١٣٨. المقاصد العامة للشريعة: يوسف حامد العلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الرياض -، الطبعة: الثانية، ١٥١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٣٩. المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٤٠. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤١. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن عبد الله بن محمد الجلود، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤٢. موسوعة الفقه الإسلامي: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري - الناشر: بيت الأفكار الدولية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٤٣. الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) - الناشر: مؤسسة سجل العرب - الطبعة: ١٤٠٥هـ.
١٤٤. الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت -، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٤٥. موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.
١٤٦. نظرات في كتاب الله: حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٦٨هـ)، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٤٧. نظرية المقاصد عند ابن عاشور: إسماعيل الحسني، ط١: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
١٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٤٩. نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
١٥٠. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: ٢٠٠٣/٠١/٣٠.
١٥١. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٥٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	الإهداء
ت	شكر وتقدير
١	المقدمة
١	أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٢	ثانياً: أهداف البحث
٢	ثالثاً: الدراسات السابقة
٣	رابعاً: منهج البحث
٣	خامساً: خطة البحث
التمهيد	
١١	المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف:
١٢	المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها، ويشتمل على:
١٢	أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية.
١٣	ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية.
١٦	المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها، ويشتمل على:
١٦	أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.
١٨	ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.
٢٣	المبحث الثاني: تعريف عام بسورة التوبة:
٢٤	المطلب الأول: أسماء السورة وعدد آياتها.

الصفحة	الموضوع
٢٦	المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.
٢٧	المطلب الثالث: جو نزول السورة.
٢٨	المطلب الرابع: محور السورة وخطوطها الرئيسية.
٢٩	المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.
الفصل الأول	
التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الأول من الحزب العشرين	
٣٣	المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٣٤-٣٧)
٣٤	المطلب الأول: صد الرهبان والأخبار عن سبيل الله ﷺ.
٤٠	المطلب الثاني: عدة الشهور في حكم الله ﷺ.
٤٤	المطلب الثالث: تحريم النسئ.
٤٨	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٣٨-٤٠)
٤٩	المطلب الأول: الحث على الجهاد في سبيل الله ﷺ.
٥٣	المطلب الثاني: التحذير من ترك الجهاد ومعجزة الغار في الهجرة.
٥٧	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٤١-٤٥)
٥٨	المطلب الأول: وجوب النفير للجهاد في سبيل الله ﷺ.
٦٢	المطلب الثاني: مواقف المنافقين من الجهاد والمجاهدين.
٦٦	المطلب الثالث: الإذن للمنافقين في القعود عن الجهاد.
الفصل الثاني	
التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الثاني من الحزب العشرين	
٧١	المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٤٦-٥٢)
٧٢	المطلب الأول: موقف المنافقين من الإعداد للغزو.

الصفحة	الموضوع
٧٧	المطلب الثاني: خطر خروج المنافقين للقتال.
٧٩	المطلب الثالث: اعتذار المنافقين وأسبابه.
٨٤	المطلب الرابع: بغض المنافقين للمؤمنين وتريصهم بهم.
٨٨	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٥٢-٥٧)
٨٩	المطلب الأول: إحباط ثواب المنافقين.
٩٥	المطلب الثاني: عدم الاغترار بأموال المنافقين.
٩٩	المطلب الثالث: حلف المنافقين الأيمان الكاذبة وخوفهم الشديد.
١٠٢	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٥٨-٦٠)
١٠٣	المطلب الأول: لمز النبي ﷺ في تقسيم الصدقات.
١٠٨	المطلب الثاني: مصارف الصدقات.
الفصل الثالث	
التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الثالث من الحزب العشرين	
١١٤	المبحث الأول: المقاصد والأهداف من سورة التوبة الآيات (٦١-٦٦)
١١٥	المطلب الأول: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ.
١٢٠	المطلب الثاني: مصير المحاربين لله والرسول ﷺ.
١٢٥	المطلب الثالث: تخوف المنافقين عند نزول القرآن فاضحاً لهم.
١٢٩	المطلب الرابع: استهزاء المنافقين بالله ورسوله.
١٣٥	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٦٧-٧٠)
١٣٦	المطلب الأول: صفات المنافقين.
١٤١	المطلب الثاني: مصير المنافقين في الآخرة.
١٤٧	المطلب الثالث: ضرب الأمثال للمنافقين للاعتبار من أحوالهم.

الصفحة	الموضوع
١٥١	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٧١-٧٤)
١٥٢	المطلب الأول: صفات المؤمنين ومصيرهم في الآخرة.
١٥٩	المطلب الثاني: جهاد الكافرين والمنافقين والإغلاظ عليهم.
١٦٣	المطلب الثالث: حث المنافقين على التوبة وتحذيرهم من التولي.
الفصل الرابع	
التفسير التحليلي لأهداف ومقاصد الربع الرابع من الحزب العشرين	
١٦٩	المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٧٥-٧٩)
١٧٠	المطلب الأول: المنافقون وخيانة العهد.
١٧٤	المطلب الثاني: مجازاة و تهديد الله للمنافقين.
١٧٩	المطلب الثالث: لمز المنافقين للمؤمنين في الصدقات.
١٨٤	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٨٠-٨٣)
١٨٥	المطلب الأول: عدم قبول الاستغفار للمنافقين.
١٩٠	المطلب الثاني: فرح المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله ﷺ.
١٩٦	المطلب الثالث: أسباب رفض مشاركة المنافقين في القتال.
٢٠٠	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف من سورة التوبة من آية (٨٤-٨٧)
٢٠١	المطلب الأول: تحذير المؤمنين من الصلاة على أموات المنافقين.
٢٠٥	المطلب الثاني: مقاطعة أموال المنافقين وأولادهم.
٢٠٨	المطلب الثالث: استئذان المنافقين في التخلف عن الجهاد ورضاهم به.
٢١١	المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من آية (٨٨-٩٢)
٢١٢	المطلب الأول: حال المؤمنين عند دعوتهم للجهاد وبيان ما أعد الله ﷻ لهم.
٢١٥	المطلب الثاني: نفاق الأعراب واستئذانهم للتخلف عن الجهاد.

الصفحة	الموضوع
٢١٨	المطلب الثالث: صور من أصحاب الأعذار المقبولة في الجهاد.
٢٢٣	الخاتمة، النتائج والتوصيات.
٢٢٥	الفهارس
٢٢٦	١- فهرس الآيات القرآنية .
٢٣٨	٢- فهرس أطراف الأحاديث النبوية.
٢٤١	٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
٢٤٣	٤- فهرس المصادر والمراجع.
٢٦٠	٥- فهرس المحتويات.
٢٦٥	ملخص الدراسة باللغة العربية
٢٦٦	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

تم بحمد الله ﷻ وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، والتي بعنوان: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم الحزب العشرين من القرآن الكريم (سورة التوبة الآيات: ٣٤ - ٩٢)، والمكونة من: مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة.

تحدثت الباحثة في التمهيد عن التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، وبيّنت طرق معرفتها وأهم المصنفات التي تناولتها، ثم تحدثت عن التعريف بسورة التوبة، وكذلك بيان المناسبات فيها، ثم تناولت في الفصول الأربعة المقاصد والأهداف في الحزب العشرين، مقسمةً هذه الفصول لعدة مباحث، متضمنة عدة مطالب، كل مطلبٍ منها يحمل هدفاً أو مقصداً من مقاصد وأهداف القرآن الكريم في السورة.

وقد سلكت الباحثة خلال بحثها المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، حيث تناولت في كل مطلبٍ من المطالب، عدة عناوين، وهي مرتبة على النحو التالي: مناسبة الآية لما قبلها، والمعنى الإجمالي للآية، وسبب النزول، والتفسير التحليلي للآية من: شرح المفردات اللغوية، والبلاغة، والإعراب، وأوجه القراءات، وأخيراً تحقيق الهدف والمقصد في الآيات.

وفي نهاية الرسالة ذكرت الباحثة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال البحث، ثم ذكرت مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهدٍ ممكن.

Abstract

By the praise of Allah and his reconcile this research was completed, which titled: Analytical study of the purposes and objectives of the holy Quran Hizb twenty (Surat al- Tawba verses (34 - 92), which consisting of: introduction, introductory chapter, four chapters, and the conclusion.

The researcher mentioned at the introduction the definition of the analytical study: language, Idiomatically, and writing.

She also talks about the definition of Surat al- Atawba, also as well as the statement of occasions where, then the researcher mentioned in four chapters about the purposes and goals of Hizb twenty, divided these chapters to several categories, including several requirements, each requirement holds an aim of the purposes and objectives of the Holy Quran in this Al- Surah.

The researcher followed during her research analytical method of interpretation, where she has had in all the demand of demands, and several headings, which are on this order: suitable destination for the previous, The reason to go down if there, and analytical interpretation of the intent such: the meanings of words, the syntax, the statement of aspects of the rhetoric, and aspects of the readings, and finally achieve the goal and destination in the verses.

At the end of the research, the researcher mentioned the most important conclusions and recommendations reached during the search, then mentioned group indexes to facilitate access to information with minimal effort.